تطور الفكر الإعلامى في ظل حرب إكتوبر

« دراسة فى الرأى العام والإتصال الجماهيرى »

دكتور / محمد نصر مهنا

أستاذ العلوم السياسية

ووكيل كلية التجارة

جامعة أسيوط

مركز الإسكندرية للكتاب

تلفاكس / ٤٨٤٦٥٠٨

تطور الفكر الاعلامي في ظل حرب أكتوبر

«دراسة في الرأى العام والاتصال الجماهيرى»

دكتور / محمد نصر مهنا

أستاذ العلوم السياسية

ووكيل كلية التجارة

جامعة أسيوط

١٩٩٧

مركز الأسكندرية للكتاب

٤٦ شارع الدكتور مصطفى مشرفة - الأسكندرية

تلفاكس / ٤٨٢٦٥٠٨



إهــــــداء

إلى مصمم وصاحب الضربة الجوية
المفاجئة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣
المجيدة
الرئيس / محمد حسنى مبارك

آية بر ويمن ووعد
علىّ أحفظ الود وأوفى بالعهد

توطئه

يزمع مركز الاسكندرية للكتاب اصدار سلسلة عن الاتصال والاعلام وقياس الرأى العام، والكتاب الذى بين أيدينا هو الكتاب الثانى فى هذه السلسلة والتى بدأت بكتاب مدخل إلى الإعلام وتكنولوچيا الأتصال الجماهيرى فى عالم متغير. وتأتى أهمية حرب اكتوبر ١٩٧٣ من ثنايا ما أثارته من ردود فعل سابقة أو لاحقة على حرب ١٩٦٧، سواء تعلق ذلك بجهود السلام التى يؤازرها الإعلام الدولى والعربى فى المنطقة أو معالم التغيير الجيوبولتيكى فى المنطقة وانعكاساتها.

إن الرأى العام العالمى يشكل ظاهرة فى عالم اليوم، وهو بمثابة حقيقة واقعة من ثنايا ردود أفعال الأحداث والمشكلات الدولية، وفى هذا السياق يستأثر الاعلام الجماهيرى والدولى باهتمام الباحثين والكتاب بمختلف آرائهم وتوجهاتهم ؛ ومن الثابت أن الخطب التى تلقى فى المحافل الدولية للدفاع عن وجهة نظر معينة، وقراءة الصحف التى تكتب بغير لغة وطنها والإذاعات الموجهة وماتبثه القنوات الفضائية فى ارسالها .. كل هذه الوسائل الإعلامية قد ارتبطت بالإعلام العربى والدولى يشارك القضية الفلسطينية فى تطورها ولاسيما فى الفترة موضوع الدراسة ١٩٦٧ - ١٩٧٦، حيث شغلت هذه القضية - منذ بداية القرن العشرين - كل شعوب العالم لما عاناه الشعب الفلسطينى من ويلات الاحتلال الاسرائيلى؛ وتحيز معظم الدول الكبرى بأجهزة إعلامها فى مواقفها تجاه هذا الشعب العريق.

إن الرأى العام العالمى - باعتباره الرأى السائد يبين غالبية شعوب العالم تجاه قضية فلسطين - قد أضاف فى ما بين ١٩٦٧ - ١٩٧٦ خاصة بصماته المؤثرة على منطقة الشرق الأوسط والارتباط التاريخى بين شعوب المنطقة على اختلاف أو تشابه ثقافاتها وربما يفسر ذلك الاحداث الضخمة التى وقعت خلال هذه الفترة وصولاً إلى حرب ١٩٧٣ التى شقت طريقها وسط النيران عبر قناة السويس والجولان، وكان طابع المفاجأة هو سر نجاحها حيث وفق العرب فى التمتع بالمبادرة فى

الحركة، فكانت أول فعل عربى فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى على حين كانت الحروب السابقة - على الصعيد العربى - مجرد ردود أفعال لمبادرات اسرائيلية.

لقد كانت حرب اكتوبر ١٩٧٣ فى جوهرها أول حرب تحرير ضد الاحتلال الاسرائيلى للأراضى العربية وخاصة فى يونيو ١٩٦٧ والذى حققت اسرائيل من خلالها نصراً عسكرياً فاق كل التقديرات، غير أننا نبادر إلى القول إن القيادة الاسرائيلية قد أخطأت عندما تصورت أن حرب يونيو ١٩٦٧- أو مايطلق عليه بالجولة العربية الاسرائيلية الثالثة - هى الحرب التى انهت كل الحروب بينما كان المسرح العربى يفرز تطورات وتفاعلات تؤكد أن العرب لن يقبلوا بدور الطرف السلبى فى الصراع، غير أن الاسرائيليين زرعوا اعتقاداً عاماً بالمنطقة العربية بعد يونيو ١٩٦٧ - بل وبالعالم كله - بأن الحرب الثالثة كانت آخر الحروب فى الصراع العربى الاسرائيلى وأن المسألة لاتعدو أن تكون مسألة وقت لكى يفرض "السلام الاسرائيلى" ويسلم العرب بالأمر الواقع، بل ويستسلمون له.

ولما كانت القضية الفلسطينية هى الشرارة الأولى فى تاريخ اشتعال الصراع العربى - الاسرائيلى، فإن مسألة الكيان الفلسطينى كانت مثار جدل شديد على المسرح السياسى الاسرائيلى فى أعقاب يونيو ١٩٦٧ حيث دارت حول الكيان الفلسطينى مناقشات واسعة ، وما إذا كانت القضية الفلسطينية ذاتها هى قضية إنسانية أم قومية ؟ وما إذا كان من صالح اسرائيل الموافقة على إقامة كيان فلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة أم لا ؟

والواقع أن هذا الجدل - الذى اشتد خاصة بعد بروز المقاومة الفلسطينية وما استتبعه من آثار - قد دفع بالنخبة الاسرائيلية - أو بعضاً منها على الأصح - إلى التسليم بالطبيعة القومية للقضية الفلسطينية رغم محاولات الاستخفاف الاسرائيلى بالمقاومة والأقلال والتهوين من شأنها.

في هذا السياق تأتى أهمية الكتاب الذى بين أيدينا بعد مرور حوالى ربع قرن على حرب اكتوبر ١٩٧٣ ليناقش دور الإعلام الدولى والعربى فى الفترة من ١٩٦٧ حتى ١٩٧٦ والذى يعالج فى ثنايا خمسة فصول على النحو الآتى :

الفصل الأول : دور الإعلام العربى والدولى فى المواجهة العربية الاسرائيلية بعد يونيو ١٩٦٧

الفصل الثانى : الاعلام الشعبى والجماهيرى العالمى

الفصل الثالث : الإعلام الإقليمى والدولى بعد يونيو ١٩٦٧

الفصل الرابع : الإعلام الفلسطينى

الفصل الخامس : الإعلام المصرى وردود الفعل فى عام ١٩٧٦

وتعرضت الدراسة فى تفصيل غير قليل لاهتمام الاعلام الأمريكى فى الفترة ١٩٦٧ - ١٩٧٣ ومابعدها بمسألة الكيان الفلسطينى، وتابعت القيادة الاسرائيلية باهتمام بعثة ""«فيشر"» الأمريكية؛ ومشروع "جوتليب" لجامعة نيويورك والتصريحات الأمريكية المتناثرة من ضرورة توفير حل عادل لمشكلة الشعب الفلسطينى، ليس هذا فحسب، بل إنه قد ظهر اهتمام مماثل من جانب الرأى العام الاسرائيلى عن ثنايا معاهد استطلاعات الرأى هناك - بالموافقة على قيام دولة فلسطينية بشكل أو بآخر.

على أن معالم التوجهات السابقة لم يُخْفِ تجاهل الحرس القديم فى اسرائيل ، إن مشكلة اللاجئين الفلسطنين سيذوبون أو يستوعبون فى الدول العربية المجاورة لاسرائيل، وبالتالى ستتوقف القضية الفلسطينية ؛ والتوجه الآخر يتلخص فى "«احتواء"» المشكلة الفلسطينية ليس فقط كمشكلة انسانية بل كمشكلة قومية أيضا للشعب الفلسطينى الذى تمسك دائما بهويته - على حد قول "هاركابى" - رغم مرور الوقت على القضية الفلسطينية؛ أضف إلى ذلك زيادة اهتمام الإعلام الدولى

بالقضية الفلسطينية، غير أن توجهاً اسرائيلياً ثالثاً قد التقى مؤيدوه على الاعتراف بالطبيعة القومية للمشكلة الفلسطينية وبما يرتبه هذا من الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني فى تقرير مصيره وفى إنشاء الكيان الفلسطيني المعبر عن طموحاته القومية .. هذا التوجه لاقى التشجيع من "يورى أفنيرى" - أو مايطلق عليه الباحثون: اتجاه قوى الرفض فى اسرائيل - حيث دعا افنيرى إلى إتاحة الفرصة أمام اللاجئين الفلسطينيين للأختيار مابين التعويضات أو إعادة التوطين وصولاً إلى حل سياسى شامل للقضية الفلسطينية.

إن من الأهمية بمكان أيضاح إنه بالرغم من التوجهات الاسرائيلية السابقة فإن النخبة الاسرائيلية قد استمرت بعد عام ١٩٦٧ فى مشاريع الاستيطان فى كل من الأراضى العربية المحتلة وفى الأراضى التى تخص الشعب الفلسطيني أيضا والتى لم يقدر لاسرائيل الاستيلاء عليها فى موجات التوسع السابقة، على نحو ماستتعرض له الدراسة التى بين أيدينا حيث غيرت اسرائيل المعالم الطبيعية والسكانية لهذه المناطق.

هذه هى المحاور الرئيسية التى تناقشها هذه الصفحات المطوية فى تطور الفكر الاعلامى العربى والربط مابين حرب اكتوبر ١٩٧٣ والقضية الفلسطينية من ثنايا متغير مستقل هو دور الاعلام الدولى حيث تمت معالجتها بنظرة تكاملية وفى سياق منهج نقدى حتى عام ١٩٧٦ وفى اطار مقارن وتحليلى لا يقنع بالسرد وإنما يتجاوزه إلى التقويم.

هذه هى المرحلة التاريخية التى شملتها الدراسة ١٩٦٧-١٩٧٦ وذلك على النحو الذى تم تفسيره فى الكتاب، وبالطبع فإن حرب اكتوبر ١٩٧٣ قد مثلت نقطة تحول حاسمة وأثرت تأثيراً حاسماً على القضية الفلسطينية - قضية القرن العشرين الفذة - والتى وجدت فيما بعد ١٩٧٦ طريقها للحل على حسب ما ارتضاه الفلسطينيون أنفسهم.غير أننا نبادر إلى التساؤل عما إذا كانت توجهات الاعلام

الدولي ـ وخاصة الأمريكي منها ـ هل هو حل مفروض أم مشكلة مفروضة لا تزال تبحث عن حل .

إننا بهذا الكتاب الذى يبحث فى تطور الفكر الاعلامى العربى نساهم بجهد متواضع فى حقل الدراسات الاعلامية والسياسية بالوطن العربى فى محاولة لتفسير الظواهر إقليمياً وعالمياً وفى نفس الوقت تهيئة مناخ فكرى استقبل فى الفترة اللاحقة لعام ١٩٧٦ روحاً جديدة تماماً فى سير القضية الفلسطينية المعاصرة حيث الطلاب فى الجامعات العربية لديهم الحماس المتدفق للتعرف على آفاق المستقبل، لكن ذلك ينبغى أن يعتمد بالدرجة الأولى على تفسير وتحليل الفكر الاعلامى فى تاريخ القضية الفلسطينية عموماً وفى الفترة ١٩٦٧-١٩٧٦ على وجه الخصوص كى يمكن استيعاب أهمية الأحداث والتطورات اللاحقة من ثنايا المعالجة الاعلامية دولياً وعربياً .

وسوف يلاحظ القارىء والدارس محاولتنا لتبسيط المعلومات العلمية وفى نفس الوقت توثيقها من خلال ثبت بالمصادر والمراجع التى تمت الاستعانة بها.

والله وحده الموفق والمستعان ،،،،،،

دكتور/ محمد نصر مهنا

الفصل الأول

دور الإعلام الدولى والعربى فى المواجهة العربية الاسرائيلية بعد عام ١٩٦٧

بانتهاء الحرب الثالثة فى الصراع العربى الصهيونى، امتد الاحتلال الاسرائيلى ليشمل كل الأرض الفسلطينية بالاضافة إلى اجزاء من التراب المصرى (سيناء) والتراب السورى (الجولان)، وحققت اسرائيل بذلك نصراً عسكرياً فاق كل التقديرات، لكن الخطأ تحقق عندما تصورت القيادة أن الجولة الثالثة هى الحرب التى انهت كل الحروب بينما كان المسرح العربى يفرز تطورات وتفاعلات تؤكد أن الجانب العربى لم يقبل بعد بدور الطرف السلبى فى الصراع، وجاء الرد العربى بعد الحرب بثلاثة اشهر بالرفض، ففى اغسطس ١٩٦٧ جاءت قرارات قمة الخرطوم تعلق لاتنازلات ولا مفاوضة ولا صلح.

وحينما استخلصت مصر نتيجة مفادها أن الجيش الاسرائيلى لايستطيع الاستمرار فى تحمل أى خسائر فى الأرواح حتى ولو كانت على مستوى منخفض نسبياً، بدأت المرحلة الثانية، وهكذا فتح المصريون اعتباراً من ٨ مارس ١٩٦٨ نيران المدفعية الكثيفة على طول قناة السويس، ومع حلول عام ١٩٦٩ كانت اسرائيل قد اصيبت بخسائر كبيرة فى الأرواح وتمثلت المرحلة الثالثة فى الغارات الاسرائيلية على مواقع المدفعية المصرية وصورايخ أرض - جو، وأخذت الطائرات الاسرائيلية تحلق فى دوريات فوق قطاع يمتد ٣٠ ميلاً غرب القناة حتى تمنع أى حشود مصرية تستطيع تهديد القوات - الاسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة(١).

ووقع الخطأ المشئوم - على حد وصف مجلة Military Review الامريكية خلال المرحلة الرابعة حينما قامت اسرائيل بغارات العمق فوق مصر ثم قامت بتصعيدها، ففى يناير ١٩٧٠ طار "عبدالناصر" إلى موسكو وطلب من السوفيت صواريخ وطائرات حديثة، ولم تنقض الأشهر الثلاثة التالية حتى اكتشف الاسرائيليون عمق

المأزق الذى وقعوا فيه وما ترتب عليه من نتائج، فقد حدث تغير فى الميزان الاستراتيجى لصالح مصر فى الشرق الأوسط. وعليه خسرت اسرائيل سلاحها الأساسى ضد العرب، وهو القدرة على تسديد ضربة وقائية رادعة ضد مصر، وزادت شكوك الاسرائيليين من أن سوريا يمكن أن تحصل هى الأخرى على طائرات وصواريخ مماثلة، وسرعان ماوجدت اسرائيل أن هذه الشكوك قد أصبحت حقيقة واقعة، وللخروج من هذا المأزق وجدت اسرائيل أن عليها اختيار أحد بديلين تصعيد شامل للحرب أو خلق تهدئة تستهدف تعديل الميزة الاستراتيجية للجانب العربى.

وفى النهاية بدأت الولايات المتحدة تشعر بالقلق من احتمال حدوث مواجهة بينها وبين الاتحاد السوفيتى السابق إذا اختارت البديل الأول وكان ذلك أول انحراف محدد فى السياسة الامريكية والاعلام الامريكى بالتالى عن التطابق مع السياسة الاسرائيلية منذ أكثر من عشرين عاماً، وهنا بدأت المرحلة الخامسة بتراكم الضغط الامريكى على اسرائيل لتهدئة - الموقف والوصول إلى هذا الهدف فقدمت الولايات المتحدة فى يونيو ١٩٧٠ عن طريق وزير خارجتها (ويليام روجرز) مقترحاتها التى عرفت باسم "مبادرة روجرز" وجاءت المرحلة السادسة أى مرحلة وقف اطلاق النار أو مرحلة تبريد الموقف فى الشرق الأوسط، ودون الدخول فى تفاصيل كفيلة بالانتهاء بنا إلى متاهات فقد بدا واضحاً آنذاك أن المواجهة العربية الاسرائيلية محكومة باعتبارات اهمها اعتبار الدعم الذى تحصل عليه دول المواجهة هو أقصى مايمكن أن تقدمه الدول العربية المنتجة للبترول، وبعبارة أخرى فإن مسئولية ازالة أثار العدوان ظلت ملقاة بصورة قاطعة على دول المواجهة وحدها، فرغم أن شعار قومية المعركة قد طرح بشدة وبحماس لنقل المواجهة من نطاقها المحدود إلى حيث تدخل اطارها القومى الشامل فإن تلك الدعوة ارتطمت بالواقع ولم تحرز تقدماً ذا بال ، وتساءل الاعلام الفلسطينى ممثلاً فى المرحوم أحمد الشقيرى عما قدمته الدول العربية البترولية لدول المواجهة، ان مصر على سبيل المثال - قد قدمت أكثر من ٦٠٪ من ميزانيتها عام ١٩٦٧ بالاضافة إلى اكثر من ٢٠ ألف شهيد فى هذه المعركة ....

فماذا قدمت الدول العربية البترولية للشعب المصرى الذى تحمل اعباء القضية لحما ودماً وعظماً[٢].

وقد استمرت الاجابة على هذا السؤال فى غير صالح الجانب المصرى تماماً طوال السنوات التالية، فقد كان مجموع القروض التى استدانتها مصر من الدول العربية البترولية ١٤٤ مليون جنية استرلينى، وهذا المبلغ لايرقى إلى قيمة الفوائد - مجرد الفوائد - على الديون المصرية والتى بلغت ١٧٨ مليون جنيه استرلينى فوائد على القروض من دول العالم المختلفة[٣] وبالتالى فان هذه الارقام هى أبلغ من عشرات البحوث فى توضيح العبء الاقتصادى الذى تحمله الشعب المصرى، وأيضا فى توضيح ليس فقط ضالة - وإنما يكاد يكون انعدام المساعدة العربية، فان مبلغ الـ ١٤٤ مليون جنيه، وهى قيمة القروض من الدول العربية البترولية، لايمكن ان يقارن بدخول تلك الشقيقات العربية أو حتى بمجرد الزيادة الناتجة فى تلك الدخول نتيجة الحرب، وهنا نستنتج مدى ضالة المبلغ الذى أعطى كقرض لبلد يحرس بدماء ابنائه وبقوت يومه حياة الأمة العربية كلها حتى ليخيل إلينا أن الاعتذار عن قبول هذا القرض كان اكرم لنا وأجدى.

وإذا عدنا لمبادرة روجرز ثانية فاننا نجد أن رد فعلها جاء بالنسبة لمصر كمجرد لاختبار نوايا الولايات المتحدة فى الأزمة، أما الرأى العام العربى فقد انقسم على نفسه، ولقد جاء هذا كله على حساب الجانب العربى فى المواجهة.

ثم جاءت احداث الأردن الدامية فى صيف وخريف ١٩٧٠، فقد وقعت اشتباكات منذ شهر يونيو فى الدرقة شمال عمان بين جماعة الفدائيين المنتمين للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وقوات الصاعقة ثم امتدت إلى العاصمة حيث استمرت إلى أن وافق الملك حسين على قبول طلبات الفدائيين، ولكن سرعان ماعادت الفتنة إلى الانطلاق وعادت الاشتباكات والمشاكل وأوفدت جامعة الدول العربية لجنة رباعية لاجراء مباحثات مع قادة المقاومة والملك حسين وانتهت المفاوضات بتوقيع اتفاق بين المقاومة والملك، غير انه فى ١٨ سبتمبر تجددت الاشتباكات والقتال الدامى بين

الجيش والمقاومة الفلسطينية ثم امتدت المعارك إلى معظم مدن الأردن وأغلقت الموانى والمطارات وتحرك الأسطول السادس فى البحر الأبيض المتوسط وأرسل الملوك والرؤساء العرب المجتمعون فى القاهرة لبحث المأساة وفداً برئاسة الرئيس جعفر نميرى للتحقيق فى الحوادث واستمع الملوك والرؤساء إلى تقرير عن حقيقة الموقف أعطى انطباعاً عاماً بأن هناك مخطط لإبادة المقاومة وتوصل الملوك والرؤساء إلى اتفاق بين حكومة الأردن والمقاومة عرف باسم "اتفاق القاهرة" ولم يدم هذا الاتفاق طويلاً اذ سرعان ماتفاقمت الاحداث بين حكومة الأردن والمقاومة الفلسطينية وانتهت بالتخلص من عناصر المقاومة الذين كانوا يتمركزون فى الأردن.

وهكذا انتهت احداث صفحة محزنة قاتمة من تاريخ مشكلة فلسطين استغلت فيها الأموال العربية لقتل الأرواح العربية، ومات فيها من العرب بيد العرب أكثر مما مات بيد العدو منذ هزيمة ١٩٦٧ واستعملت فيها من الأسلحة والمفرقعات ماوصفته إحدى وكالات الأنباء بانه كان كافياً لهدم مدن العدو وقراه وكان هذا الحادث من أكبر المآسى التى عاشتها العروبة خلال هذه الفترة، وكان من أقسى المحن التى مرت بها المقاومة الفلسطينية "بصرف النظر عن كل الاعتبارات والمبررات التى ساقتها الحكومة الأردنية لتبرير موقفها"(٤).

وقد ترتب على هذه الاحداث أيضا انسحاب القوات العراقية من الأردن مؤدية بذلك إلى انهيار الجبهة الشرقية.

على أن الجانب العربى لم يغلق الباب أمام تسوية سلمية بالرغم من أن التسوية السلمية قد اتضح انها لايمكن أن تتم إلا من خلال عمل مسلح تلعب الدور الرئيسى فيه الجيوش العربية ذات التسليح الحديث والتدريب الممتاز بالاضافة إلى دعم وتطوير المقاومة الفلسطينية لتصل إلى مستوى جيش التحرير وإن يتم ذلك كله من خلال تأييد الرأى العام العربى الذى استطاعت اسرائيل باساليبها الذكية من ناحية والاستفادة من اخطاء الاعلام العربى من ناحية أخرى أن يجتذب إلى صنعها قطاعات ضخمة منه حيث مهدت لعدوان ١٩٦٧ فى الداخل وفئات الرأى العام

العالمى فى الخارج، وبعد ذلك تولت السياسة الصهيونية امر تبرير العدوان وحاولت طمس معالمه فى المحافل الدولية وأمام الرأى العام العالمى أمام ضجيج الدعاية والدعوة للسلام، والحقيقة أن العقيدة الصهيونية وماتولد عنها من استراتيجية عسكرية سياسية قد وضعت المجتمع الاسرائيلى فى ظروف وشروط وحالات بحيث تدفعه إلى الحرب دفعا متبنية النظرية النازية فى العلاقة بين السياسة والحرب، وقد شحنت العقيدة الصهيونية الطاقة القتالية للمجتمع الاسرائيلى وغذته بافكار العدوان على العرب ومن ثم استمرت العلاقات العربية الاسرائيلية احادية البعد بمعنى انها علاقات اقتصرت على الحوار المسلح فى ميدان القتال، وبالتالى اصبح المجتمع الاسرائيلى مجتمعاً اسبارطياً متحفزاً يقدم ضرورات الأمن على كل ماعداها ويعيش كقلعة صلبة مزروعة وسط منطقة معادية وفى ذلك يقول الاستاذ """"تالمون" استاذ التاريخ المعاصر بالجامعة العبرية: «منذ جيلين أو ثلاثة أجيال عشنا بايمان مشبع بالقلق باننا محاطون باعداء هدفهم القضاء علينا وانهم لن يتوانوا عن تحقيق هذا الهدف ابدا .. وقد استمرت اعتبارات الأمن هدياً لنا حيثما توجهنا وفى كل زمان وأصبح كل شىء يخضع للقضية الأمنية"[٥].

ومن خلال هذا المفهوم سيطر جنرالات اسرائيل على مقدرات البلاد ونقلوا مفاهيمهم واساليبهم إلى الحكومة، وأصبح الأمن محور كل نشاطات الحكومة وتضخم مفهوم "«الحدود الأمنة" »لتبرير الاحتفاظ بالأراضى العربية وعرقلة الجهود السلمية حتى لو قبل العرب بمبدأ المفاوضات المباشرة ووقعوا اتفاقية سلام مقابل الأرض ويذكر الاستاذ "تالمون" بهذا الصدد انه "«كلما كانت الرغبة فى الضم تزداد، كان علينا فأكثر ان نؤمن بانه لاخطر من الخارج، وكلما استمرت الهدنة برزت احتمالات الضم، اضف إلى ذلك أن الاستيطان والضم صوراً بانهما ادوات لتدعيم الأمن، وبمفهوم معين بديل للحرب وضمان ضدها[٦].

وفى الفترة منذ عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٧٣ استطاع مخططو "السياسة الأمنية" وأصحاب فكرة ضم الأراضى العربية تدعيم افكارهم بالعديد من الحجج

منها: إن الولايات المتحدة مضطرة لدعم اسرائيل لأن استراتيجيتها فى المنطقة مبنية على ضرورة الاستناد إلى دولة قوية تضمن مصالحها وتقف فى وجه التغلغل السوفيتى وانه من الممكن الضغط على الاتحاد السوفيتى - وخاصة بالنسبة لمسألتى الهجرة ودعم العربْ - سيما اذا ما استخدم النفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة بهدف جعل واشنطن تربط الاتفاقات الاقتصادية الأمريكية - الروسية بالموقف السياسى السوفيتى من النزاع[٧]، وانه من المتعذر على العرب اتباع سياسة نفطية ضاغطة على الغرب وعلى الولايات المتحدة بصورة خاصة وان الزمن يلعب لصالح اسرائيل فهو يساعد على التقارب مع عرب المناطق المحتلة. ويفتت المعسكر العربى ويبعده عن الاتحاد السوفيتى ويجعل العالم يعترف بالحقائق الجديدة التى يتم خلقها فى المناطق المحتلة وان مرور الزمن على الاحتلال دون اطلاق نار يعتبر تسوية جزئية بل هى فى الواقع تسوية عملية[٨]، وإن الاحتفاظ بالمناطق واسكانها بمهاجرين جدد يضمن لاسرائيل مساحة استراتيجية تخدم امنها أكثر من أى سلام أو ضمانات دولية، فشرم الشيخ بدون سلام أفضل من السلام بدون شرم الشيخ[٩] وإن باستطاعة اسرائيل أن تدافع عن نفسها بنفسها ضد قوى العالم العربى مجتمعة ولأية فترة ممكنة - خمس أو عشرين أو خمسين سنة - "«مادمنا لانحرم من المعدات اللازمة لدفــاعنا"[١٠] "كذلك فان الثغرة فى المستوى العلمى والتكنولوجى بين اسرائيل والدول العربية كبيرة جداً وآخذه فى الاتساع " » فالعرب متأخرون عن اسرائيل فى العلوم والتكنولوجيا مائة سنة[١١]" وإن الخروج من مشكلة وجود الشعب الفلسطينى لاتحل بالاعتراف به كشعب له حقوقه، بل تحل بتجاهله، ونفى وجوده، والمطالبة بادماجه داخل المجتمعات العربية المحيطة باسرائيل.

غير أن هذه الأفكار قد لاقت معارضة داخل اسرائيل ذاتها وكانت حجج المعارضين تقول بأن هذه السياسة تستفز المسلمين الراغبين فى تحرير القدس كما تستفز الرأى العام العالمى كله، فضلاً عن أن الولايات المتحدة والدول الصناعية بصورة عامة حساسة ازاء - الطاقة التى تتطور بسرعة وإن الضغط على العرب

والاستهانة بمشاعرهم سيدفعانهم إلى الوحدة لاسترداد الكرامة والأرض، وإن ضم عرب المناطق المحتلة سيضيف إلى دولة اسرائيل شعباً معادياً يتزايد بسرعة بالغة ويشكل لغماً قابلاً للانفجار فى كل لحظة وإن تجاهل الشعب الفلسطينى لاينبغى وجوده بل يحفزه على متابعة النضال والتمسك بهويته وإن الدعم الامريكى المطلق لايمكن ان يستمر اذا ماتعارضت المصالح الامريكية بشكل جذرى مع مصالح اسرائيل، وأن الزمن يلعب لصالح العرب كما يلعب لصالح اسرائيل خاصة وأن العرب مقدمون على امتلاك ثروة كبيرة يمكنهم تسخيرها للتقدم ويشكل يحرم اسرائيل من أهم عوامل تفوقها العسكرى على العرب وإن الاحتفاظ بالمناطق والحدود الأمنة لايضمن الأمن فى ظروف الحرب الحديثة والأسلحة المتطورة بعيدة المدى.

لكن هذه الانتقادات لم تلق آذاناً صاغية وبقى تأثير الجنرالات واسعاً، وتابع الثلاثى: مائير - جاليلى - دايان - رسم خططهم العدوانية متجاهلين مسار التطورات المحلية والعالمية، حتى أن الجنرال الفرنسى "«اندرية بوفر" »عبر عن ذلك بقوله "عانت اسرائيل من داء عانينا منه جميعاً غداة الحرب العالمية الثانية وهو داء المنتصرين الذين يظنون أن الأقدار فى صفهم وأن كل شىء أصبح ميسراً لهم".

أما عن أوضاع الفكر العربى بعد النكسة، فقد جاءت حرب يونيو لتعرض من جديد على المثقفين والمفكرين العرب مشكلة الوطن العربى وبدأ العقل العربى يعيد النظر فى العديد من القضايا التى طرحتها من قبل نكبة عام ١٩٤٨ نفسها، وكان طبيعياً أن يعايش الفكر العربى كارثة عام ١٩٦٧ التى تعرضت لها الأمة العربية باحثاً عن الأسباب، وعما اذا كانت القوات المسلحة العربية ضحية من ضحايا الهزيمة أم هى سبب من اسبابها(١٢).

وبالرغم من الخلافات العديدة فى الاتجاهات الفكرية والتيارات العقائدية، فقد اسفرت هزيمة ١٩٦٧ عن تبلور رؤيا عربية للصراع تحددت ابعادها فى أن خطر العدوان الصهيونى قد تجاوز فلسطين واصبح يهدد كيان الأمة العربية كلها، ومن هنا فان بروز الشعب الفلسطينى - بعد غيبة عشرين عاماً عن ساحة النضال المسلح

- قد أضاف إلى عناصر الصراع عاملاً له أهميته القصوى وأثره الواضح على مجراه ونتائجه، وإن قوى الثورة والتحرر العربي كانت تخوض صراعها المصيري ضد الامبريالية والصهيونية بغير استراتيجية على الاطلاق أو ربما يمكن القول تجاوزاً باستراتيجية رد الفعل وهي استراتيجية عاجزة لايمكن أن ينتج عنها - كما ثبت تاريخياً وواقعياً - سوى انقلاب موازين القوى في الصراع لحساب العدو الذي تحكم سلوكه استراتيجية شاملة، وإن تفسير النكبة والنكسة ليس قوة العدو بقدر ماهو الضعف العربي وسواء أخذنا بالمنهج التحليلي الجدلي أو بالمنهج المثالي فإن كلاهما يتفق على أن الاسباب الداخلية هي العامل الاساسي في تحليل أي حدث تاريخي، ومن ثم فلايمكن لنا أن نفسر تطورا تاريخياً طويلاً كهذا ببساطة "أن نرجع كل الأخطاء إلى دور الاستعمار أو الخيانة فقط" فالتحدي الاسرائيلي الصهيوني رغم كل الأثار المخربة والضارة التي انتجها قد اسهم - يقيناً - في انضاج حركة التطور في مجتمعنا العربي وتنقية الروح العربية من ادرانها.

ومن ناحية أخرى فقد اتضح انه وإن كان الحشد العربي الشامل للمعركة أمر أساسي ومطلب ملح فإن الظروف المتطورة لايمكن أن تنتظر حتى يتم ذلك الحشد في صورته الكاملة، بل إن تكامل هذا الحشد لن يتم في الواقع بغير انضاج ظروف موضوعية من خلال استمرار النضال نفسه، ومن ثم فقد بذلت محاولات عديدة لتنقية الجو العربي من الخلافات التي تمثلت في شكل حساسيات افرزتها ضغائن وصراعات ايديولوجية وتطلعات زعامة ومتاجرات حزبية.

اثر المتغيرات الدولية

في الفترة مابعد عام ١٩٦٧ وحتى الحرب الرابعة التي كانت في جوهرها أول حرب تحرير ضد الصهيونية والاحتلال الاسرائيلي أو بمعنى آخر كانت حرب اكتوبر هي أول فعل عربي قتالي ضد اسرائيل ... في هذه الفترة ساد مسرح السياسة الدولية متغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية وسلوكية عامة، فسادت سياسة

الوفاق العالمى بين دولتى الاليجارشيه الدولية وهما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى السابق، وقد انتقلت بهما هذه السياسة من مرحلة التعايش السلمى إلى مرحلة أكثر ايجابية وهى مرحلة الانفتاح العالمى المتبادل مما أثر تأثيراً عميقاً على طبيعة المشكلات الدولية وأساليب معالجتها وخاصة مشكلة الشرق الأوسط.

ولم يكن الأمر سهلاً، ففى الفترة مابعد ١٩٦٧ منيت السياسة الأمريكية بهزيمتين عالميتين: الأولى فى حرب الهند وباكستان، والثانية فى حرب فيتنام ولم تكن الولايات المتحدة بحال على استعداد لتقبل نكسة ثالثة لسياستها فى الشرق الأوسط ومن هنا فقد ظلت منغمسة لأذنيها فى علاقاتها باسرائيل.

أما الموقف السوفيتى فقد كان مذبذباً وغير واضح تماماً، وربما لم يكن العرب أيضا غير واضحين من وجهة نظر السوفيت وهو ما يستدعى من وقفة للتحليل والتفسير لما يثيره الموقف السوفيتى من تساؤلات فلقد تصور السوفيت وحلفاؤهم فى أوربا الشرقية أن تسوية الأوضاع فى الشرق الأوسط نتيجة حرب يونيو ١٩٦٧ تقتضى الوصول إليها عن طريق حل سلمى لاعسكرى، أى بضرورة تجنب حدوث مجابهة عسكرية شاملة بين العرب واسرائيل أو بين الاتحاد السوفيتى السابق والولايات المتحدة وكان هذا على مايبدو هو أهم وأخطر مانتج عن اجتماع جلاسبورو بالولايات المتحدة بين الرئيس الأمريكى "جونسون" ورئيس الوزراء السوفيتى الأسبق " كوسيجين" فى ١٣/٦/١٩٦٧.

وبخصوص الشعب العربى الفلسطينى فإن الاتحاد السوفيتى السابق ودول أوروبا الشرقية التى تدور فى فلكه لم يوضحوا ما المقصود بمراعاة حقوقه ومصالح الشعب الفلسطينى المشروعة، وأغلب الظن أن السوفيت قد تجاهلوا تماماً نشاطات المقاومة الفلسطينية ولم يوافقوا على مادعى "بالحرب الشعبية" وكانوا متحفظين فى موقفهم من منظمة التحرير الفلسطينية، بل أشاروا على العرب بإيقاف أنشطة المقاومة الفلسطنية.

ومن ناحية أخرى فقد كان لحرب يونيو ١٩٦٧ تأثير عميق على العلاقة بين الحكومة السوفيتية واليهود السوفيت واسرائيل، وهذه الظروف المتعددة بالاضافة إلى المشكلة المتصلة بها وهى مشكلة موقف السوفيت تجاه يهود العالم والرأى العام العالمى والاحزاب الشيوعية تشكل أرضية لمناقشتنا، ولا يوجد أدنى شك أن اليهود السوفيت بأغلبيتهم قد تأثروا من نتائج هذه الحرب بمشاعر تختلف عن تلك المشاعر التى ربما كان زعماء الكرملين يكنونها للعرب[١٣]. ويقدم لنا أحد الباحثين الفقرات التالية التى تشهد على ذلك:

"حسنا: انهم لم يسمحوا لأنفسهم - أى الاسرائيليون - بأن يقتلعهم العرب كما كانوا أمام هتلر، وعلى توفر عدد كبير من الجنود اليهود الممتازين فى الجيش الأحمر، وحتى أن كثيراً منهم قد وصلوا إلى درجة أبطال الاتحاد السوفيتى .. ولازال هناك الشعور السيىء ... إنه شيء طبيعى أن يعتقد بأن سفك دم اليهود حلال ... وإذا حدث أن اتبع العرب خطوات هتلر وقام العرب بذبح كل يهود اسرائيل فقد تنتشر العدوى «سوف نكون قد وصلنا إلى درجة جديدة من معاداة السامية" » .

كذلك فقد غمر الرأى العام السوفيتى وقتئذ العطف تجاه اسرائيل عقب انتصارها عام ١٩٦٧ ونستدل على ذلك من قول الباحث المذكور : «"لقد ظهر الآن ولأول مرة أن اليهود قادرون على الرفس بشدة - يعنى الاسرائيليون - فى الوجه ومن ثم فقد ساد احترام معين تجاه الجنود اليهود .. وكما هو الحال فى روسيا حيث نكن دائما احتراماً عظيماً للجنود الأكفاء والطيارين وهو ما اثبته الاسرائيليون .. وإذا كان هذا هو الاتجاه لدى الانسان الشيوعى الذى يدعو إلى التذويب كحل لمشكلة اليهود فهل يتبقى هناك أى شك عن مشاعر باقى اليهود السوفيت.

وبالاضافة إلى ذلك نجد ان تقارير الطلبة الاجانب فى روسيا والمراسلين الغربيين والسياح فى الاتحاد السوفيتى والمطرودين السوفيت والسياح السوفيت فى الخارج تشير إلى تعاطف غير اليهود تعاطفاً كبيراً مع اسرائيل كما يبدون تأثرهم من نصرها العسكرى وتضليل العرب والدبلوماسية السوفيتية لهم.

غير أن هذه المصادر لاحظت كذلك التفاقم الخطير فى وضع اليهود السوفيت وقد أدلى طالب أسيوى سبق له الاقامة فى موسكو بحديث جاء فيه "«انه من الطبيعى أن بعض الطلبة اليهود كانوا يحتفلون سراً بنصر اسرائيل وكانوا مدركين من أن اليهود لو خسروا الحرب فسوف تكون نهايتهم على يد العرب .. وعندما علمت السلطات بذلك وبهذه الاحتفالات قامت بتفتيش واسع النطاق عن المشتركين فيها[١٤].

وفى موسكو كانت هناك اشاعات عن وجود ضغط على الشخصيات اليهودية كى توقع على ادانة عامة للعدوان الاسرائيلى ولكن بعض اليهود السوفيت الميسورين رفضوا التوقيع عليها[١٥].

وتدل أحدث الوثائق الاحصائية على النسبة العالية للطلبة والفنيين[١٦] والاحصائيين والاكاديمين والعلميين وقتئذ اليهود فى الاتحاد السوفيتى وهى نسبة لها ثقلها بدون شك خاصة إذا أضيفت لها اليهود السوفيت المنتمين للحزب الشيوعى السوفيتى .

(١) بيانات عن اليهود فى الاتحاد السوفيتي فى الفترة مابعد خروشوف

	٦٣ / ٦٤	٦٧ / ٦٨
١) الطلبة فى التعليم العالى بمافيهم المتظمون والمنتسبون (بالألف)	٨٢٦٠٠	١١٠٠٠
نسبة اليهود	٪٢.٥	٪٢.٥٥
٢) طلبة فى مدارس ثانوية متخصصة (بالألف)	٥١٣٠٠	٤٦٧٠٠
نسبة اليهود	٪١.٧٢	٪١.١٢
٣) الفنيون المتخصصون من ذوى المؤهلات العالية (بالألف)	٣٢٢٧٠٠	٣٢٧٨٠٠
نسبة اليهود	٪٧.١	٪٦.٢٧
٤)العاملون الأكاديميون والعلميون (بالألف)	٥٠٩١٥	٥٨٩٥٢
نسبة اليهود	٪٨.٣	٪٧.٦٥
٥) الاخصائيون الحاصلون على تعليم ثانوى (بالألف)	١٥٩٧٠٠	١٦٩٣٠٠
نسبة اليهود	٪٢.٤	٪٢.٢
٦) مجموع الاحصائيين اليهود والطلبة فى الاتحاد السوفيتى	٦١٦٣٠٠	٦٥٣٨٠٠
البند ١، ٢، ٣، ٥ ومعظم البند ٤ بالألف		
النسبة الكلية لليهود	٪٣.٥	٪٠.٣

(٢) عدد اليهود فى الحزب الشيوعى السوفيتى ١٩٥٩ - ١٩٦٣

	اليهود فى الحزب	عضوية اليهود فى الحزب من الألف	عدد السكان اليهود
اقليم بيلوردسيا	٦.٤ (١٩٦٢)	١٤.٤٣٢	١٥٠
اقليم مولدافيا	٦.٣ (١٩٦٣)	٣.٧٧٣	٩٥
اقيم اوزبكستان	٢.٩ (١٩٥٩)	٦.٥١٠	٩٤
اقليم اوكرانيا	٤.٥ (-)	٦١.٦٩٥	٨٤٠
	٢.٥	١٥٨.٤٥٠	٨٧٥
المجمـــوع	٣	٢٤٤.٨٦٠	٢.٥٤٠٠٠
المتوسط فى الاتحاد السوفيتى باكمله	٢.٨	٢٦٠.٠٠٠	٢.٢٦٨٠٠٠

نسبة اليهود المئوية فى الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى فى الأعوام بين ١٩٢٢ - ١٩٦٩

١٩٢٢	١٩٢٧	١٩٤٠	١٩٦١	١٩٦٥	١٩٦٩
٥,٢٪	٤,٣٪	٤,٣-٤,٩٪	٢,٨	١,٥-١,٧	١,٥

وتؤكد التقارير ان عدداً من المواطنين السوفيت فى الاتحاد السوفيتى السابق والطلبة قد قبض عليهم واتهموا بالصهيونية ولكن ليس هناك دليل على القبض على أى شخصية سوفيتية يهودية مشهورة ولا على فصلها، وحتى بعد ان وصلت الدعاية السوفيتية الهجومية بعد الحرب مستوى لم يسبق له مثيل ضد اسرائيل والصهيونية ماأضعف مركز اليهود السوفيت. وكانت أغلب موضوعات الدعاية السوفيتية تدور حول مايلى:

(أ) تصوير الزعماء الاسرائيلين، الدوائر الحاكمة على انهم شركاء واصدقاء للنازى ولألمانيا الغربية، كما وأن الزعماء الاسرائيليين يمكن وصفهم أيضا على انهم حلفاء للنازية الجديدة وللنازيين الجدد.

(ب) قبل علم ١٩٦٧ صرحت المصادر السوفيتية أن "السياسات للدوائر الحاكمة فى تل أبيب تهدد المصالح الحيوية للشعب ومصير بلدهم".

وأشار السوفيت فى رعايتهم انهم يعرضون وجود اسرائيل للخطر كدولة ومن ثم يشيرون إلى إمكانية التصفية النهائية لاسرائيل.

(جـ) يقال أن اسرائيل عازمة على انشاء "« امبراطورية من النيل إلى الفرات" » يكون فيها الاسرائيليون بمثابة شعب الله المختار بلا علة أو سبب « وان اسرائيل جزء متكامل "مع الامبريالية العالمية" »وهدفها هو انشاء حكم امبريالى فى العالم كله.

(د) ان اسرائيل لم تعد تحاول تسميم عقول Paison the minds المواطنين السوفيت فحسب بل تحاول انشاء "«طابور خامس" » داخل الدول الاشتراكية، وإن اسرائيل والصهيونية هما " ضد الشيوعية بطبيعتهم" واعداء أقوياء للمعسكر الاشتراكى.. الخ

(هـ) توصف أغلب المنظمات اليهودية بلا استثناء وكذلك الأوساط اليهودية العالمية والجاليات اليهودية فى كثير من الدول بانها "البورجوازية اليهودية الأكثر رجعية" أو " المليونيرات اليهود الأغنياء الذين يحكمون القوى العظمى فى الغرب والذين كثروا فى الصحافة والاذاعة السوفيتية ويوجد اختلاف بسيط بين هذه الاتهامات وبعض الصفات المماثلة فى بروتوكولات حكماء صهيون "Protocols of the elders of zion"

(و) اصبحت اليهودية والتى كانت توصف لوقت طويل على انها دين رجعى بانها الأن دين يدعو إلى استبعاد كل الشعوب الأخرى.

وهكذا ركزت الدعاية السوفيتية جهدها فى النقاط السابقة انطلاقاً من إيمان السوفيت بالعقيدة الماركسية اللينينية للمسألة اليهودية والحركة الصهيونية ولكن

يبدو أن النظر يغيب أثناء العمل بحيث تتغلب العوامل الاستراتيجية على المبادىء الايديولوجية وهنا يحل التناقص الجوهرى فى المواقف وهو ما ينطبق تماماً على موقف الاتحاد السوفيتى من المشكلة الفلسطينية واسرائيل، وتستدل على ذلك من الخطاب الذى القاه،ألكس كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى فى١٩ / ٦ / ١٩٦٧ أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة وقال فيه "... لكل شعب الحق فى تكوين دولة وطنية مستقلة خاصة به وهذا هو أحد المبادىء الاساسية فى سياسة الاتحاد السوفيتى، وانطلاقا من هذا المبدأ بالذات كنا قد حددنا علاقتنا باسرائيل كدولة عندما اعطينا صوتنا تأييداً لقرار هيئة الأمم المتحدة فى عام ١٩٤٧ الخاص بتكوين دولتين مستقلتين - يهودية عربية - على أرض فلسطين التى كانت تحت الانتداب الانجليزى، كما أقام الاتحاد السوفيتى علاقات دبلوماسية مع اسرائيل"(١٧).

أى أن الاتحاد السوفيتى السابق تجاهل عن عمد التحليل الماركسى اللينينى وأقر بشرعية وجود دولة اسرائيل وحقها فى العيش بأمن وسلام ضمن وجودها المستقل، غير قابلة للإزالة والتخلى عن حمايتها(١٨).

الا إن الاتحاد السوفيتى السابق من جهة أخرى كان قد أعطى السلاح العربى وأثناء الأزمة التى استحكمت خلال عام ١٩٦٧ وفى أثناء القتال وكذا بعد وقف اطلاق النار ظل نشاط الاتحاد السوفيتى يعمل بطريقة محدودة لصالح العرب وإن كان قد بعث لهم بالمستشارين لمساعدتهم فى تشغيل المعدات الضخمة التى قدمها لهم ومنذ يوم ٢٣ من يونيو كان "بودجورنى رئيس جمهوريات الاتحاد السوفيتى قد توجه إلى القاهرة على الرغم من المرارة التى لابد أن أحس بها عندما تحقق من الكيفية العاجزة التى استخدمت بها مصر المعدات السوفيتية، ويقال أن بعض الخبراء الامريكيين قاموا بمعاينة المعدات الحربية التى استولى عليها الاسرائيليون، وأرسلت عينات من تلك المعدات إلى الولايات المتحدة(١٩). وبالرغم من ذلك فقد أمد السوفيت مصر بمعدات حربية جديدة وعادت الدبابات وطائرات الميج ٢١ وبالسوخوى تأخذ طريقها مرة أخرى إلى مصر وسوريا وقد أنشأت طائرات الانتينوف

جسراً جوياً للتعجيل بوصول هذه المعدات.

وحينما نشبت الحوادث الأولى فى منطقة السويس وظهرالخوف من احتمال نشوء الفكرة لدى الاسرائيلين فى اجتياز قناة السويس أرسل الاتحاد السوفيتى إلى بورسعيد وإلى الاسكندرية اسطولاً بحرياً بهدف الحيلولة دون تنفيذ هذه النية من قبل الاسرائيليين .

وفى مجلس الأمن وأمام الجمعية العامة للأمم المتحدة لم ينقطع العون السوفيتى لحظة واحدة عن العرب، وإن كان أثر هذا العون فى تحقيقه ضئيلاً، ولكن إذا كان الاتحاذ السوفيتى قد أظهر صبراً ومداومة فى تحالفه مع العرب فهو لم يكن على استعداد ابداً لتخطى حدود معينة ولم يكن فى نيته قط أن يضحى من أجل العرب بالسياسة التى درج عليها وهى سياسة التعايش السلمى مع الولايات المتحدة الأمريكية وبالفعل انصرف الامريكيون والسوفيت خلال لقاء "جلاسبوردو" إلى اعداد مشروع قرار مشترك بين الطرفين، لذلك وبدلاً من أن يجد الرئيسان "بومدين" الجزائر و"عارف" العراق فى موسكو مايشجعهما على المضى فى آرائهما الحماسية، تلقيا النصح بالتزام جانب الاعتدال. ويقال انه عندما راح الرئيس "بومدين" يشرح ماتنطوى عليه سياسة التعايش السلمى مع الولايات المتحدة من مضار رد عليه "كوسيجين" قائلاً : وماظنك بالحرب النووية، واكثر من ذلك نشرت جريدة "برافدا" بعد بضعة أيام من لقاء "جلاسيوردو" أى فى يوم ٣ من أغسطس مقالاً نددت فيه "بالنداءات الهستيرية" التى يطلقها بعض الزعماء العرب المتطرفين.

وعلى الرغم من الهزيمة التى حاقت بالعرب فان الاوضاع فى الشرق الاوسط كانت تبدو مرضية تماماً فى نظر السوفيت حيث ازداد التيار العربى المعادى للغرب ونجا النظام شبه الشيوعى فى سوريا من السقوط بسبب الحرب بل واصبح من الممكن اذا ساعدت الظروف الاقدام على تغيير البناء الاجتماعى فى مصر - ذلك الحليف العنيد للسوفيت - وتحويله إلى دولة اشتركية خالية من الروابط العاطفية الاسلامية

وصارت اعياد الثورة السوفيتية وذكرى الزعماء السوفيت الراحلين مثل لينين يحتفل بها في أوساط القوات المسلحة والتنظيم السياسي في مصر، وبالرغم من ذلك فلم يكن الاتحاد السوفيتي على استعداد لمواجهة المخاطر بتأييده للميول العسكرية لدى المتطرفين من العرب، وفي حين تشددت السياسة الامريكية فقد بدا الاتحاد السوفيتي وكأنه يميل نحو تأييد الأخذ بحل يقترب كثيراً من الحل الذى تنادى به الولايات المتحدة والذى تقدم به اقتراح مشترك بينهما إلى هيئة الأمم المتحدة وهو يقضي - بسحب القوات الاسرائيلية خلف حدود قريبة من حدود ٥ من يونيو وذلك في مقابل تنازل العرب عن حالة الحرب غير انه حدثت تطورات هامة على الجانب العربي حيث توالت الاحداث فزادت الجروح عمقاً واستنزفت من ماء الوجه اكثر مما استنزفت من الدماء، فقد كانت النكسة أول مصدر من مصادر المحن والمشكلات وكان أول الاحداث واخطرها والتى انتج لها الرأى العام العربي هو ماكشفت عنه الهزيمة من قيادة لاهية - وخطط حمقاء واستعدادات صورية وكانت أول مرة تنشر فيها أنباء تتناول ماكان يدور من تساؤلات وشائعات يوم ٤ سبتمبر ١٩٦٧، وربما ظل الرأى العام العربي مكمماً لولا أن بعض وكالات الأنباء العالمية تناولت الموضوع بصورة أصبح من اللازم معها توضيح الحقيقة التى أسفرت عن محاكمات المسئولين عن التقصير الذى أدى إلى النكسة، والتحقيق مع الذين دبروا ورتبوا عملية محاولة الاستيلاء على القيادة العليا للقوات المسلحة وأخيراً التحقيق في انحرافات جهاز المخابرات العامة عن مهمته الأصلية.

وقد شدت هذه المحاكمات انتباه الرأى العام العالمي والعربي كله وبدلاً من ان تضمد المحاكمات نزيف الجروح والقلوب فان اسرارها قد فجرت المشاعر لما حوته من معلومات قيمة اثارت مئات الاسئلة لعل اهمها فيما يتعلق بمجال هذه الدراسة عن التأثير العام للاعلام هو كيف كان يمكن أن تصل مجريات الأمور إلى هذه الدرجة من عدم تقدير المسئولية مما أدى إلى التضحية بأرواح عشرات الألوف من الشهداء وتشريد عشرات الآلاف الجدد من العرب واستيلاء العدو على الأرض الفلسطينية

باكملها وتسلطه على اعداد كبيرة من شعب فلسطين بالاضافة إلى احتلال العدو لأجزاء من التراب المصرى والتراب السورى.

ومن الاحداث التى زادت الجروح عمقاً أيضا على الجانب العربى الهجوم على مطار بيروت فى ٢٨ ديسمبر ١٩٦٨ وحادث مصنع أبى زعبل فى ١٢ فبراير ١٩٧٠ وحادث بحر البقر فى ٨ من ابريل ١٩٧٠ ثم احداث ايلول الأسود فى الأردن فى خريف ١٩٧٠، وأخيراً موت عبدالناصر الذى جاء رد فعله رهيباً قاسياً فى العالم العربى، فقد كان عبدالناصر دون شك رمز تحول خطير فى الصراع العربى الاسرائيلى، فالذين احبوا عبدالناصر والذين كرهوه على السواء لن يجدوا مفراً وهم يؤرخون ويحللون الصراع العربى الاسرائيلى من أن يقسموا معه هذا الصراع قسمة حاسمة إلى مرحلتين:

قبل عبدالناصر وبعد عبدالناصر - على حد قول أحد الكتاب المعاصرين[٢٠] وذلك بالرغم من أن عبدالناصر كان من الأشخاص الذين يعيشون على اعصابهم المشدودة دائما وبالتالى فكل من اقترب منه كان يختص هذا الاحساس المتوتر ويتشربه تماما مما أدى إلى انعكاس هذا التوتر والقلق والتوجس على علاجه للصراع العربى الاسرائيلى والمشكلة الفلسطينية خصوصاً وبالتالى على الرأى العام العربى الذى ساده التمزق والانهماك فى عمليات النقد الذاتى، ثم جاءت وفاة عبدالناصر والبحث عن قائد جديد وبطل لكى تفجر الصراع على السلطة فى مصر حاداً ومدوياً حتى تم تقويم الحكم وتصفية مركز القوى وماتبعه من اعادة بناء المؤسسات الدستورية فى مصر[٢١]، وكان ذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى شخصية المرحوم الرئيس أنور السادات نفسه الذى علمته طبيعته الريفية الهادئة إن يتجنب كل مامن شأنه أن يوتر أعصابه بقدر الأمكان ولكن مع الأصرار الموضوعى لتحقيق الهدف المنشود[٢٢] وهو ما انعكس فيما بعد فى اسلوب علاجه للصراع العربى الاسرائيلى والمشكلة الفلسطينية من ثنايا ردود فعل أجهزة الاعلام العربية والعالمية.

وعموماً فقد جاءت احداث مراكز القوى فى مصر[٢٣] وما اتضح من تآمرها ضد السلطة ثم انهماك الرئيس السادات نفسه فى خلاف حاد مع السوفيت وخبرائهم فى مصر وتحريرالأرادة، وقد غاب عن السوفيت التفسير المصرى لاعفاء الخبراء السوفيت حيث الصفة السياسية لهذا القرار كانت أوسع بكثير من الصفة العسكرية اذ انه حقق فى نظر الرأى العام العالمى كله الشخصية المستقلة لمصر، وعلى الجانب السوفيتى فقد أتى ذلك كله بنتيجة عكسية تماماً حيث جاء قرار اعفاء الخبراء السوفيت[٢٤] كالشعرة التى قصمت ظهر البعير فى العلاقات السوفيتية المصرية خاصة وقد سبق أن أدين معظم اصدقاء السوفيت فى مصر.

ويقال بأن الرئيس السادات لو أحسن معاملة السوفيت لكانوا قد خلقوا من مصر قوة عسكرية قادرة على تحرير فلسطين والأرض العربية غير أن المرحوم الرئيس السادات قد نفى ذلك بشدة وللتدليل على راية فقد استعرض الحقائق التالية : ذكر الرئيس السادات انه فى عام ١٩٧٢ كان هو الحليف الوحيد للسوفيت فى مصر بدليل انه خطب فى مجلس الشعب انئذ موجها اللوم للرسميين فى مصر حيث ذكر لهم ان الذى يريد ان يتعاون معه ومع السوفيت فأهلاً وسهلاً والذى لايرغب فى هذا التعاون فلاحاجة به للبقاء فى الحكم، وأضاف الرئيس السادات ان ذلك كان موقفه بالرغم من ان السوفيت كانوا قد خيبوا ظنه فى عام الحسم - أى عام ١٩٧١ - عندما رفضوا اعطاءه السلاح وعلى حد قوله : "لكننا حاربنا بسلاح السوفيت والذى كسب الحرب هو الذى استخدم السلاح نفسه لأننى كنت عشر خطوات وراء اسرائيل وثلاث خطوات وراء سوريا اذ انه بعد سحب الخبراء السوفيت من مصر وصلت إلى سوريا اسلحة روسية كثيفة ومتقدمة تكنولوجيا ... ولقد زرت الروس اربع مرات وخذلونا فى عام الحسم ومع ذلك كنت ادافع عنهم ...

ثم جاء اعلان قيام اتحاد الجمهوريات العربية، إلا انه - من جهة فان ماأطلق عليهم السادات مراكز القوى فى مصر كانوا ضد هذا الاتجاه، ومن جهة أخرى فان الاتحاد السوفيتى كعادته دائما - وقد وقف امام محاولات الوحدة العربية عموماً -

حيث اعتبرها السوفيت - حجر عثرة لاعتقادهم بأن نمو الحركة الشيوعية فى ظل تفتت الدول العربية أفضل بكثير منه فى حالة الوحدة العربية، وربما أدت معارضة السوفيت لهذا - الاتحاد من وراء سيتار أن بلغ الصراع على السلطة فى مصر أشده وهو مافطن إليه السادات حيث ابلغ السوفيت انه قرر تصفية على صبرى من القيادة، وقد اعتبره السادات أمراً داخلياً بحتاً حيث لم يسمح ابدا بالصراع الداخلى ولما كان السوفيت متشككين بطبيعتهم وحتى لايؤول هذا فى الغرب فقد ذكر السادات للسوفيت انهم انما يتعاملون مع الحكومة المصرية ومعه شخصياً وليس مع أشخاص آخرين، ومن هنا فقد ابلغ السادات السفير السوفيتى فى القاهرة فى احدى مقابلاته حينئذ قائلاً " أريد أن تبلغ موسكو وأرجو ألا تعتبر هذا اجراءاً ضدكم وأنه أمر محلى ولايخصكم "وهنا سأله السفير السوفيتى: ومتى ستصفى على صبرى؟ فأجاب السادات: خلال شهر أو أثنين حسب الظروف.

وقد فوجىء السادات بالرئيس "بودجورنى" يصل إلى القاهرة فى نفس الشهر الذى تمت فيه تصفية على صبرى ويطلب عقد معاهدة كان السادات وعبدالناصر من قبله - يلحان على السوفيت فى عقدها وكان السوفيت يرفضون حتى أن عبدالناصر فى عام وفاته ذكر لهم فى الكرملين « "اذا كنتم خايفين من المعاهدة ... مستعدين نعملها حلف" » لكن السوفيت رفضوا[٢٥].

وبالرغم من إلحاح السوفيت بعد تصفية مراكز القوى فى مصر لعقد المعاهدة فإن السادات طلب تأجيل ذلك حتى تتم انتخابات الاتحاد الاشتراكى فى مصر كى يناقش مع مجلس الشعب المصرى هذه المعاهدة قبل الموافقة عليها، لكن السوفيت رفضوا. وذكر "بود جورنى" للسادات انه حضر برجاء مصحوب بان المكتب السياسى فى موسكو اتخذ قراراً ويريد هذه المعاهدة، وهنا استدعى السادات وزير خارجيته وذكر له أن السوفيت يرغبون فى عقد المعاهدة وتم بالفعل اعدادها والتوقيع عليها من واقع حرص مصر على العلاقة مع الاتحاد السوفيتى بالرغم من أن أحداً فى مصر لم يكن يريد هذه الاتفاقية، لكنه السادات على حد قول اراد أن يطمئن السوفيت

وأكثر من ذلك فقد جدد لهم التسهيلات البحرية التى كان عبدالناصر قد منحها لهم[٢٦].

وبالرغم من ذلك فقد اعتبر السوفيت تصفية على صبرى وبقية مراكز القوى فى مصر وقرار سحب الخبراء بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير فى العلاقات السوفيتية المصرية، كما سبقت الاشارة فمن ناحية كانت مصر فى موقف هى أحوج ما تكون فيه إلى مزيد من السلاح السوفيتى وعلى الجانب السوفيتى وجد السوفيت اصدقاءهم بالسجن، فإذا اضفنا إلى ذلك سياسة الوفاق مع الولايات المتحدة الامريكية والتى كانت تتطلب من السوفيت ان يوفروا مناخاً صالحاً لاستمرار وازدهار هذه السياسة، ومن هنا فقد اخذت العلاقات السوفيتية المصرية تعانى من حالة فتور وانكماش واضحة على الرغم من توقيع معاهدة الصداقة بين الاتحاد السوفيتى فى اعقاب "حركة" ١٥مايو١٩٧١" التصحيحية، وقد انعكس ذلك فيما بعد على المماطلة والتسويف من جانب السوفيت تجاه امداد مصر بالأسلحة الضرورية لاستكمال الاستعدادات لتحرير الأرض، حيث نقل عن السادات قوله : "« كنا نتفق مع السوفيت على اعطائنا السلاح، وفى اخر يوم لاينفذوا ما وعدوا به"[٢٧].

ومن الغريب ان أجهزة الاعلام الاسرائيلية ترى عكس ذلك تماماً فهى تفسر هذه العلاقة بين السوفيت والسادات بانها عملية تورية كبيرة قد حدثت، بمعنى أن السادات قد تعمد اظهار أن هناك برود سياسى تجاه السوفيت بعد خروج الخبراء من التشكيلات العسكرية المصرية عام ١٩٧٢ بينما استمر - طبقا للرؤيا الاسرائيلية - تدفق السلاح السوفيتى لمصر، وفى هذا ذهب "«حاييم هرتزوج" » رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية السابق والمعلق العسكرى باذاعة اسرائيل إلى اعتبار ذلك جزءاً من خطة مدبرة، لدرجة انه صرح فيما بعد: "أن انسحاب الخبراء السوفيت من مصر لم يكن سوى عملية للتمويه وذرا للرمال فى عيون الغرب واسرائيل وقد نجحت هذه الخطة[٢٨].

غير أن السادات قد كشف تفصيلاً فيما بعد أبعاد الموقف السوفيتي تجاه مصر إبان هذه الفترة موضحاً النقاط التالية :

أولاً : أن محور الخلافات بين مصر والاتحاد السوفيتي حتى عام ١٩٧٢ كان : صفقة الأسلحة التي وعد بها السوفيت عبدالناصر والتي كان مفروضاً أن تتضمن اسلحة الكترونية وأسلحة رادعة ولكنها لم تصل ابداً.

ثانياً : أن عبدالناصر كان قد أعلن قبوله لمبادرة "روجرز" على مائدة المفاوضات مع السوفيت في موسكو عندما تأكد من تسويفهم في إرسال السلاح لمصر ... بينما كانت اللجنة السياسية للاتحاد الاشتراكي قد اتخذت توصية برفض المبادرة في اجتماع عقده السادات خلال غياب عبدالناصر في موسكو.

ثالثاً : أن السوفيت عاقبوا عبدالناصر بأن منعوا عنه الذخيرة ابتداء من عام ١٩٦٩ لأنه بدأ حرب الاستنزاف دون ارادتهم وأن هذه الذخائر لم تصل إلى مصر إلا بعد حرب اكتوبر بستة أيام.

رابعاً : أنه بالرغم من أربعة زيارات متتابعة قام بها السادات للإتحاد السوفيتي طلباً للسلاح لم يف الاتحاد السوفيتي بأي من وعوده لأن ماكان يهمه ليس تحرير الأرض المحتلة وإنما استمرار وجوده في المنطقة.

خامساً : انه منذ الزيارة الأولى للسادات بعد توليه الحكم أكد للقادة السوفيت، وفي محاضر رسمية أن مصر ترفض اسلوب التسويف في التعامل وإنها حريصة على أن تكون قرارتها مصرية مائة في المائة.

سادساً : أن الفتور في العلاقات المصرية السوفيتية كانت عندما أكد "بريجينيف" للسادات خلال زيارته لموسكو انه متفق مع مصر في أن الحل السلمي لن يتحقق بدون المعركة ثم أعلن بعد ذلك في بيان مشترك مع "نيكسون" حرص الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة على الاسترخاء العسكري في المنطقة.

سابعاً : أن مصر لم تحاول رغم المعاناة الشديدة فى علاقاتها مع السوفيت أن تطعنهم وراء الظهر ولم تجر أى اتصال بالأمريكيين قبل طرد الخبراء السوفيت(٢٩).

أما أجهزة الاعلام الغربية فقد كانت مشغولة بالسلام والرخاء والوحدة، واقتنعت أوربا الشرقية بوجهة نظر العرب ولم تتوانى عن تأييدهم نظرياً - بالطبع وهذا التأييد هو ما استطاعت ان تفعله، وتعاطفت أفريقيا هى الأخرى مع العرب وتعاظم تأثير منظمة الوحدة الأفريقية إلى حد أن كونت لجنة الرؤساء الأفارقة الأربعة وقامت هذه اللجنة بالاتصال بالأطراف المعنية فى نوفمبر ١٩٧١ ولكن اسرائيل امتنعت عن اعلان نيتها فى عدم ضم الأراضى العربية وبهذا فشلت مهمة الرؤساء الأفارقة، وفى الحقيقة فقد كان لدى افريقيا مشكلاتها الملحة التى تتصل بتدعيم الاستقلال وتأمين النظم الجديدة.

أما الدول غير المنحازة فقد بدأت تغير من فلسفتها حيث أخذت سياسة عدم الانحياز تعانى الفشل بعد حرب الهند وباكستان واستناد كل منهما على إحدى القوتين العظميين وقتئذ، ولم يعد عدم الانحياز اتجاهاً عملياً سهلاً فى عالم المصالح.

وإلى جانب هذا كله فقد رأت معظم قطاعات الرأى العام العالمى وأبرزته وأجهزه الاعلام العالمية أن العرب على حق، غير أن الأزمة كانت راكدة فى بحيرة السياسة الدولية وكانت المشكلة الكبرى هى كيف يمكن تحريكها ؟

كذلك فقد ظهرت قوى سياسية جديدة فى العالم فتقدمت الصين الشعبية لتحتل مكانها السياسى فى المجتمع الدولى الذى ظل شاغراً مدة طويلة كما بدأ تعاون جديد وثيق بينها وبين الولايات المتحدة انهى مرحلة التوتر فى العلاقات بين البلدين وفتح المجال واسعا أمام القيام بمزيد من التفاهم السياسى والاقتصادى بين البلدين.

وعموماً فقد اصبح مثلث العلاقات الدولية يبدو والولايات المتحدة عند قمته ويمتد منها إلى طرفى القاعدة ضلعان قويان من العلاقات يصلاها بكل من موسكو

وبكين بينما الضلع الثالث الأفقى عند القاعدة والذى يربط موسكو وبكين معاً يبدو أقل وضوحاً وأقل تماسكاً.

ومن جهة أخرى بدأت سياسة الوفاق العالمى تنتج أثارها فى التخفيف من حدة الصراعات والخلافات التى ظلت قائمة منذ الحرب العالمية الثانية في أوربا وأسيا فانتهى الصراع بين كل من ألمانيا الشرقية والغربية وبين ألمانيا الغربية وبولندا وتشيكوسلوفاكيا، وتحسنت علاقات ألمانيا الغربية بالاتحاد السوفيتي السابق كما انتهت الحرب الفيتنامية باقرار السلام.

أما الدول العربية المنتجة للبترول فقد بدأت تظهر كقوة مؤثرة فى عالم الطاقة والاقتصاد، كما قوى الاتجاه العالمى نحو إقامة الوحدات السياسية والاقتصادية الكبيرة ومثال ذلك ماتم فى أوربا الغربية وأوربا الشرقية وهكذا بدأ عالم الوحدات الكبيرة.

كذلك كان من ابرز المتغيرات الدولية فى هذه الفترة الانفتاح الاقتصادى العالمى وقيام المصالح المشتركة بين الدول ذات الأنظمة الاقتصادية المتباينة وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى، وهكذا تقدمت الاعتبارات الاقتصادية العلمية على الاعتبارات اليديولوجية النظرية فاتسع التعاون لبن الغرب والشرق واتخذ ابعاداً متعددة، وقد استتبع هذا التحول أن بدأت الدول الرأسمالية تعدل تشريعاتها التى كانت تحرم التعامل الاقتصادى مع البلاد الشيوعية، كما عدلت بعض الدول الاشتراكية قوانينها بما يسمح للاستثمارات الأجنبية بالمساهمة فى النشاط الاقتصادى الوطنى.

وقد أدت سياسة الوفاق هذه إلى أن أصبحت الولايات المتحدة أكثر جرأة فى دعم اسرائيل سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، كذلك فقد اضعفت سياسة الوفاق من قوة الأمم المتحدة وأخذت الولايات المتحدة تستبعد مشكلة الشرق الأوسط من الأمم المتحدة – فى محاولة حلها باعتبارها جزءاً من استراتيجية الدولتين الكبيرتين،

وبذلك أصبح الاتحاد السوفيتى السابق ملزماً بمراجعة الولايات المتحدة فى كثير من المواقف مثل رفع قيود الهجرة إلى اسرائيل عن اليهود السوفيت.

وعلى مستوى الصراع العربى الاسرائيلى كان واضحاً أن الموقف العربى أصبحت تظله الشرعية الدولية فى حين أنها تنحسر تماماً عن الموقف الاسرائيلى، وهذه وضعية جديدة لم تكن متوافرة فى أى من الحروب الثلاثة السابقة، ولأول مرة تقف اسرائيل فى المجال الدولى - معزولة أمام الشرعية الدولية والرأى العام العالمى، وأخيراً فلقد كان واضحاً أن الحرب الرابعة ستكون إحدى الحروب الإقليمية فى ظل الوفاق الدولى الذى تحقق من خلال العلاقات الأمريكية السوفيتية الجديدة، وبالتالى ستكون أرضية اختيار، مثلما كانت قبلها حرب شبه القارة الهندية الحركة المعقدة بين العملاقين من أجل المحافظة على سياسة الوفاق.

ومن هنا أهتم الرئيس الراحل أنور السادات باتباع اسلوب الشورى والدبلوماسية الهادئة مع القادة العرب مع احترام وتقدير كامل لظروف كل بلد عربى، وفى حديث له يوم ٢٣ يوليو ١٩٧٣ قبيل الحرب، أكد وجهة النظر هذه بقوله "«ان مقوفنا من وحدة العمل العربى هو إننا نرحب بكل تعاون وتنسيق بين القوى العربية على امتداد مناطقها الجغرافية وعلى تباين انظمتها الاجتماعية، ففى لحظات المصير العربى، ينبغى أن نرتفع فوق كل الصراعات وفوق كل الخلافات لنذكر الخطر الواحد الذى يتهددنا جميعاً بغير تفرقة أو تمييز، كذلك فقد اعتنق السادات المبدأ العام القائل بأن المشكلة الفلسطينية هى محور الصراع العربى الاسرائيلى وقبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ نقل عنه قوله "وإذا كانت مشكلة فلسطين قد أصبحت فى الضمير العربى جزءاً لايتجزأ من نضال أى شعب من شعوب أمتنا فإنها بالنسبة للشعب المصرى جزء لايتجزأ من حياته نفسها"(٣٠)

وعلى هذا الأساس أعلنت مصر معارضتها للمشروع الذى كان الملك حسين قد دعا إليه وعرف باسم "« المملكة العربية المتحدة" »لانه كان على حد تعبير الرئيس

السادات "«ينسف قضية فلسطين من أساسها ويحولها إلى مجرد مشكلة حدود مع اسرائيل" »[٣١].

وانطلاقاً من مفهوم اسلوب الشورى مع الإخوة العرب فقد استهدف المرحوم الرئيس السادات تحقيق ثلاثة أمور:

الأول : إقامة وحدة عمل عسكرية - تخطيطية تنفيذية - مع سوريا على أوسع جبهتين من جبهات المواجهة المباشرة مع اسرائيل وإن ضمان الهجوم المشترك في وقت واحد في الجولان وسيناء - على الأقل - ضرورة استراتيجية.

الثاني : تأمين العمق الاستراتيجي الغربي لمصر مع ليبيا وكذلك العمق الجنوبي مع السودان بأي ثمن ومهما كانت الظروف،و من هنا عمد السادات بإلحاح شديد - كان موضوع دهشة وتساؤل عامين - إلى الأسراع في تجسيد "«ميثاق طرابلس" » على نحو يضمن توافر الحد الأدنى من هذا التأمين وحسب. ويتيح له إمكانية الاستفادة، خلال الإعداد للحرب واثناءها من أقصى عطاء يقدم عليه هذان العمقان دون أن يشكل أي منهما قيداً على حركته التخطيطية والتنفيذية مع سوريا أو كشفاً عنها.

الثالث : نسج علاقات « "إخاء استراتيجية" » إذا جاز التعبير بين مصر والسعودية بصفة خاصة ودول البترول الخليجية بصفة عامة وذلك بهدف ضمان المشاركة في تحويل الحرب باستخدام سلاح البترول في المعركة.

وإذا كانت أعظم انجازات السادات العسكرية قد تمت بعد ذلك على أرض سيناء فإن أعظم منجزاته السياسية كانت تنفيذ سياسة الوفاق العربي التي امتدت عبر الوطن العربي من الخليج إلى المحيط في وحدة لم ينعم العالم العربي بتحقيقها في تاريخه الحديث من قبل كما وصفته أجهزة الاعلام العربية والغربية خاصة وهو مااستلزمته مرحلة المواجهة الشاملة مع اسرائيل حيث تم في هذه المرحلة الاعتماد على القوة العربية الذاتية وبوجه خاص البترول العربي انطلاقاً من المسئولية

التاريخية للأمة العربية، كذلك تمت تقوية الاتجاهات والسياسات الوحدوية الطبيعية فى العالم العربى وتنقية الجو العربى من الخلافات وسوء الفهم مع التسليم بأن اختلاف النظم الاجتماعية القائمة فى البلاد العربية لايصح أن يعرض المصالح الحقيقية العربية المشتركة للخطر بدليل أن اختلاف هذه النظم الاجتماعية على المستوى العالمى لم يحل دون قيام الوفاق العالمى تحقيقاً للمصالح المشتركة وكذلك الجهود التى تمت فى هذه المرحلة لتقوية جامعة الدول العربية ودولة اتحاد الجمهوريات العربية والانفتاح الاقتصادى بتقوية العلاقات الاقتصادية بين البلاد العربية والعمل على إحياء وتدعيم الجبهة الشرقية، فمنذ مطلع عام ١٩٧٣ وصلت الاستعدادات العسكرية المصرية والسورية إلى المستوى المطلوب كفاءة وعقيدة وقدرة على القتال وانهت تدريبها على الأسلحة والمعدات الحديثة التى زودها بها السوفيت.

ومع هذا تابعت القيادة المصرية المساعى الدبلوماسية وكانت أخر هذه المحاولات قبل اتخاذ قرار القتال ماقام به حافظ اسماعيل مستشار السادات للأمن القومى فى ذلك الوقت بجولة شملت لندن وبون وموسكو وواشنطن وبعد عودته من جولته بدأ التحول الجذرى فى الموقف العربى واتخذ قرار القتال.

وفى ٢٦ مارس ١٩٧٣ صرح السادات أمام مجلس الشعب المصرى أن المعركة هى "« الطريق الوحيد" » وإن الإعداد لها قد بدأ، وبعد أيام أعلن الرئيس السادات نفسه حاكماً عسكرياً، وفى ٢ ابريل عقد اجتماعياً عسكرياً موسعاً للقيادات المصرية، ثم زار المشير "«أحمد اسماعيل" » وزير الحربية المصرى دمشق فى ٨ مايو - وأعقب هذه الزيارة قيام السادات بزيارة دمشق فى يوم ١٩ من الشهر نفسه ثم فى ١٢ من الشهر التالى، وكانت الوفود العسكرية والمبعوثون العسكرية يتنقلون بين القاهرة ودمشق، ولقد ابدت القيادة السورية موافقتها على المشاركة فى أية حرب تخوضها مصر، غير أن الخطة النهائية لم تحدد على مايبدو إلا فى يوم ١٥ سبتمبر خلال اجتماع الرئيسين السادات والأسد وبقيت الخطة سرية حتى الأيام الأخيرة ولم يطلع عليها سوى القيادات العليا التى بدأت تعد الخطة التفصيلية تحت

غطاء الأعداد لمناورات الخريف.

وعلى صعيد حقوق شعب فلسطين فقد كان لدى السادات جملة من العوامل التى حكمت حساباته يمكن تحديدها فى الخطوط التالية : -

إن الثورة الفلسطينية على الرغم مما حققته سياسياً من أبراز الكيان الفلسطينى من جديد، كعنصر أساسى من عناصر أزمة الشرق الأوسط فإنها - عسكرياً ورغم ماقامت به من أعمال بطولية غير قادرة - بمفردها وبقوتها الراهنة والمحتملة وحتى بكل المساعدات الممكنة عربياً وعالمياً - على تحرير فلسطين فى المستقبل المنظور، وإذا كان "مجرد استمرارها فى حمل البندقية هو تجسيد صحيح وسليم لشعب فلسطين فإن عليها أن تخترق المسافة الشاسعة بين الاعتراف بالحق من جانب الرأى العام العالمى والاضطرار إلى التسليم به كرهاً من جانب العدو[٣٢] كما أن علاقات القوى الدولية التى يحكمها إلى حد كبير سياسة الوفاق بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة لاتقبل فى تقدير السادات تحرير كل فلسطين بما يعنى زوال اسرائيل إذ أن كلا من الدولتين - التى ينظر إليهما السادات على قدم المساواة ودون تمييز - تعترفان بوجود اسرائيل وإنه إذا كان الاتحاد السوفيتى السابق قد تميز عن الولايات المتحدة الامريكية - فى صدد المشكلة الفلسطينية بتأييد ومساندة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى فان ذلك يتم فى إطار عدم المساس بقيام ووجود اسرائيل داخل حدود ماقبل الخامس من يونيو ١٩٦٧ وقد صارح السادات الشعب الفلسطينى بذلك صراحة قائلاً [٣٣]:

"إن لحقوق شعب فلسطين جانبين: الحق التاريخى للشعب الفلسطينى والحقوق السياسية الراهنة للشعب الفلسطينى، وإن حدود مسئوليته ومسئولية جيله تقف عند تجسيد هذه الحقوق السياسية الراهنة فى « "دولة فلسطينية تضم قطاع غزة والضفة الغربية لنهر الأردن مع وجود ممر بينهما" وبذلك يمكن أن يتم توازن عالمى للصورة « "اعتراف واقعى باسرائيل مقابل اعتراف واقعى بالدولة الفلسطينية" » وبمعنى آخر

فإن أستراتيجية السادات المرحلية تعنى بناء السلطة الوطنية على كل جزء يتحرر من فلسطين.

لهذا جاءت الخطوط العريضة التى حكمت حسابات السادات قبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ والتى ترى ضرورة استكمال تحرير الأرض المصرية والعربية المحتلة مع مشاركة الثورة الفلسطينية فى استراتيجيتها البعيدة المدى لبناء الدولة الفلسطينية الديموقراطية التى يعيش فيها المسلم والمسيحى واليهودى جنباً إلى جنب دون تمييز فى الحقوق أو الواجبات وإن حق الجميع فى المساواة يضمنه القانون الأساسى لهذه الدولة ومن حيث المنهج فقد طرحت حركة المقاومة الفلسطينية منطق حرب التحرير الشعبية ومؤداها أن الرد على الاحتلال الاستيطانى يكون باشعال نيران حرب العصابات المستمرة والطويلة الأجل يكون من شأنها إبقاء السلطات الاستيطانية فى حالة استنفار مستمر ويكون لها تأثيرها الاجتماعى من حيث شيوع حالة من عدم الأمن وعدم الطمأنينة ومن حيث التأثير على السياحة والهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة.

وعموماً فقد رأى السادات فى حركة المقاومة الفلسطينية عاملاً جديداً لم يكن متوافراً فى الحروب الثلاثة الماضية ... وهو عامل جوهرى هام إلى جانب التنسيق المشترك بين الجبهتين المصرية والسورية وإن العامل الجديد هنا هو إن حركة التحرير الفلسطينية صارت فى هذه الفترة حركة تحرير منظمة ذات استراتيجية بعيدة المدى تنفذها بكفاءة وثورية وذلك من خلال مراحل تكتيكية متتابعة، ومن هنا فسوف نرى أن الثورة الفلسطينية قد احتلت مكانتها فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ نداً وشريكاً وسوف تضيف للمعركة وزناً ودعماً مؤثرين مكانتها وهو ما أبرزته أجهزة الاعلام العالمية والعربية والفلسطينية بصفة خاصة كما يتضح فى سياق الفصل التالى .

هوامش الفصـل الأول : -

١ - Military Review, No 10, 1967

٢ - هذا التساؤل عرضه الاستاذ أحمد الشقيرى الرئيس السابق لمنظمة التحري الفلسطينية : مقابلة شخصية مع سيادته .

٣ - حديث لوزير المالية المصرى فى الاهرام ١٩٧٥/٨/٢٢ .

٤ - د/ عبد الكريم دوريش ، د/ ليلى تكلا : حرب الساعات الست ، مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٤ صفحة ١٢٦ - ١٢٩ .

٥ - هارتس ١٩٧٣/١١/٣٠

٦ - نفس المصدر السابق

٧ - هارتس ١٩٧٣/١١/٢٣

٨ - من تصريح موشى ديان فى ١٩٧١/٣/٩ " اذاعة اسرائيل .

٩ - من تصريح موشى ديان فى ١٩٧١/٣/١٤ اذاعة اسرائيل .

١٠ - تصريح البروفيسور أ . د/ برجمان فى دافار ١٩٧٤/٤/١١

١١ - من خطاب اسحق رابين فى مؤتمر اللجنة المركزية اليهودية الامريكية ١٩٧٢/٥/٧ .

١٢ - وقد اجاب الرئيس السادات وقتئذ على هذا التساؤل قائلا : بان قواتنا المسلحة كانت ضحية من ضحايا الهزيمة وليست ابدا سببا لها .

انظر تفصيل ذلك : ذكريات الاحداث كما سجلها الرئيس السادات منذ تحمل المسئولية فى الاهرام ٧٥/٩/٢٥ - ١٩٧٥/١٠/١ .

١٣- Kochan, Lionel. The jews in Soviet Russia Since 1917.- LOndon: Oxford Univ-Press 1979 pp 321-325 .

١٤ - المرجع نفسه وراجع :

Saniet Reactions to the Middle East Crises 18 August 1967 pp 9 - 10 .

internal Survey and analysis carried out lay an orgaigation in western Europe is deposited in the Archives of the Institute of the Jewish Affairs; London .

١٥ - Katz (zev) " the After math of the June war - Seviet Prop-aganda Offensive against Israel and world jewary in Bullatin an Soviet Jeuish Affairs, No.1. 1969 p 27.

١٦ - Soviet Union - 50 Years (Progress Publishers, Moscw 1968,

sea Also : Newlh. " jews in the Soviet Intell- igenstia , Bulletin an Soviet jieuish Affairs, no. 2. july 1968 . pp VII, 1-22.

نسبة اليهود المئوية فى الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى فى الاعوام بين ١٩٢٢ -١٩٦٩

١٩٢٢	١٩٧٢	١٩٤٠	١٩٦١	١٩٦٥	١٩٦٩
٥,٥٪	٤,٣٪	٤,٣-٤,٩٪	٢,٨	١,٥-١,٧	١,٥

١٧ - انظر : خطاب أ. ن كوسيجين فى الدورة الاستثنائية الخاصة للجمعية العامة للامم المتحدة فى ١٩ يونيو ١٩٦٧ ، وكالة انباء نوفوستى ١٩٦٧ ص ٦.

وايضا : الاتحاد السوفيتى والشرق الاوسط - مشاكل السلام والامن ١٩٥٦ - ١٩٧١

وثائق ومواد : دار نشر وكالة نوفوستى ، موسكو ١٩٧٢ ص ١٥٧ - ١٥٨

وأيضـا : -

تقرير ليونيد بريجنيف بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخمسين لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، وكالة انباء نوفوستى ١٩٦٧ ص ١٣ .

١٨ - الدكتور / صلاح دباغ - الاتحاد السوفيتى وقضية فلسطين - دراسات فلسطينية، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٦٨ص ٣٥

١٩ - Le Monde 11-7-1967

وذلك بخصوص تسليم ٤ طائرات ميج ٢١ إلى الولايات المتحدة

٢٠ - أحمد بهاء الدين : اسرائيليات وما بعد العدوان - القاهرة ، دار الهلال ١٩٦٩ صفحة ١١١ - ١١٢ .

٢١ - من حديث الرئيس انور السادات الى مجلة الحوادث اللبنانية فى الاهرام ١٩٧٥/٨/٢٢ .

٢٢ - ذكريات الاحداث كما سجلها الرئيس السادات منذ تحمل المسئولية فى الاهرام ٢٥-١٩٧٥/٩/٢٨ .

٢٣ - يرجع فى تنصيل احداث مراكز القوى الى : موسى صبرى : الاحداث الدامية لصراع مراكز القوى فى :

سلسلة مقالات فى الاخبار ٧٥/١٠/١ - ١٩٧٥/١٠/٣٠

٢٤- يذكر الرئيس الراحل أنور السادات ان قرار سحب الخبراء السوفيت له قصة طويلة وسوف - يكتبها فى مذكراته الاهرام فى٢٥-١٩٧٥/٩/٢٨ .

٢٥ - من حديث للرئيس السادات الى جريدة السياسة الكويتية ١٩٧٥/٩/٩

٢٦ - نفس المرجع السابق .

٢٧ - من حديث الرئيس السادات إلي مجلة الحوادث اللبنانية في الأهرام : ٢٢- ٨ -١٩٧٥

٢٨ - وكالة أ. ب ١٨/١٠/١٩٧٣ .

٢٩ - يرجع فى تفصيل ذلك الى الخطاب الخطير الذى القاه الرئيس الراحل أنور السادات يوم ١٩٧٥/٩/٢٨ فى الذكرى الخامسة لوفاة الرئيس / جمال عبد الناصر

وانظر ايضا : موسى صبرى : القصة الدامية لصراع مراكز القوى فى الاخبار - الأخبار ، القاهرة ١/١٠/٧٥ - ١٩٧٥/١٠/٣٠.

٣٠ - من خطاب للمرحوم الرئيس السادات فى الجلسة الافتتاحية للدورة التاسعة للمجلس الوطنى الفلسطينى بالقاهرة ١٩٧١/٧/٧ .

٣١١ - من خطاب الرئيس السادات باحدى القواعد الجوية بوسط الدلتا فى ١٩٧٢/٣/٣٠ (حضوه الباحث بنفسه) .

٣٢ - من خطاب السادات فى الدورة التاسعة للمجلس الوطنى الفلسطينى فى ١٩٧١/٧/٧ .

٣٣- من خطاب الرئيس السادات فى المؤتمر الوطنى الفلسطينى ، القاهرة ٦/٤/٧٢ .

الفصل الثانى

الإعلام الشعبى والجماهيرى العالمى

عادأحمد الشقيرى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الى عمان عقب نشوب القتال مباشرة (١) ، وفى السابع من يونيو عام ١٩٦٧ وصل الى دمشق حيث بعث ببرقية الى الملك حسين أشاد فيها بالبطولة الخارقة التى تجلت فى الجيش الأردنى(٢) ثم حث الشقيرى سكان الضفة الغربية وقطاع غزة على عدم مغادرة ديارهم (٣) ، وفى مؤتمر وزراء الخارجية العرب المنعقد فى ١٧ يونيو، علم ان رئيس المنظمة تقدم بمشروع للعمل العربى الى جانب ثلاثة مشروعات تقدمت بها السودان والكويت وسوريا بيد انه لم تكشف تفصيلات مشروع منظمة التحرير .

ويلقى تصريح لرئيس المنظمة -آنئذ - أدلى به فى أول اغسطس بمناسبة انعقاد المؤتمر الثانى لوزراء الخارجية العرب فى الخرطوم لمتابعة تحضير لمؤتمر القمة يلقى التصريح ضوءا على ما تضمنه هذا المشروع ، فقد دعا رئيس المنظمة الى قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا العربية وتأميم مؤسسات هذه الدول وسحب الأرصدة العربية من مصارفها ، كما دعا الى الاعتراف بألمانيا الشرقية ثم دعا الى اقامة اتحاد فيدرالى يضم الدول العربية، يكون له زعيم واحد يتولى الشئون العسكرية والاقتصادية والخارجية، وأخيرا دعا الى تعزيز جيش التحرير الفلسطينى(٤).

وفى المؤتمر - قدم الشقيرى اقتراحا يدعو كل بلد عربى الى التزام مبدأ عدم الدخول فى اية اتصالات مباشرة او غير مباشرة فى أية تسوية لمشكلة فلسطين وتأييد حق الشعب الفلسطينى فى وطنه ، وقد حدث خلاف بين رئيس المنظمة ورئيس وفد تونس فى هذا المؤتمر - مؤتمر وزراء الخارجية العرب (٥) - الى حد بدا من المناقشات فى احدى اللحظات ، كما لو كان المؤتمر سيتعثر.

كما وان الشقيرى اعلن فى تصريح له خارج المؤتمر ان الشعب العربى "سيطيح بكل زعيم عربى يسمح لاسرائيل باستخدام قناة السويس" (٦) .

وقد أذاعت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بيانا فى ٢٢ اغسطس تعلن فيه رفض المنظمة اى مشروع يستهدف تصفية القضية الفلسطينية[٧] ، كذلك اعلن الشقيرى قبل سفره الى الخرطوم لحضور المؤتمر الثالث لوزراء الخارجية العرب ، ان المنظمة ترفض الحلول السياسية التى تقدم على أساس الاعتراف باسرائيل والصلح والتعايش معها، وانه «لايملك اى مسئول عربى ان يتنازل عن شبر واحد من قطاع غزة او الضفة الغربية او منطقة الحمة»[٨].

وخلال انعقاد جلسات مؤتمر القمة العربى الرابع فى الخرطوم بين ٢٩ اغسطس ، ١ سبتمبر ١٩٦٧ ، حدث خلاف بين رئيس المنظمة والملك حسين مما أدى الى انسحاب الشقيرى من الجلسة وعدم توقيعه على مقررات القمة وخلو هذه المقررات من أية اشارة الى مشاركته فى المؤتمر ، كما أذاع رئيس المنظمة بيانا اعلن فيه أن انسحابه جاء نتيجة لرفض المؤتمر الاخذ بمبادىء ستة اقترحها تقوم على عدم انفراد اى بلد عربى فى القبول باى حل للقضية الفلسطينية ، وقد ذكر ان من بين مقررات المؤتمر ، غير المعلنة ، قرارا بتجميد المنظمة [٩].

غير أن الشقيرى نفى فى بيان وزع فى بيروت فى ٢٣ سبتمبر ١٩٦٧ ان يكون مؤتمر القمة قد اتخذ قرارا بتجميد منظمة التحرير الفلسطينية واعلن أن المنظمة «للشعب الفلسطينى وليست للحكومات العربية»[١٠].

وعلى أثر صدور قرار مجلس الامن في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ أدلى الشقيرى بياناً أعلن فيه رفض المنظمة للقرار " جملة وتفصيلاً .

وكان الشقيرى قد ذكر فى حديثه إلى مجلة الحوادث ان المنظمة قد انتقلت من الجبهة الرسمية الى جبهة العمل الشعبى بعيدا عن ارتباطات الحكومات العربية وقال بان المشكلة بالنسبة للمنظمة هى انها بلا أرض وبلا سلطة وبلا ولاء حقيقى.... ، ودور فعال، ونقلت عنه المجلة اعترافه «بأننا فشلنا حتى الآن .... من البندقية ، الى الهوية ، الى الاقامة [١١].

غير انه في ٩ من ديسمبر ١٩٦٧ ذكرت حركة التحرير الوطني (فتح) «في مذكرة وجهتها الى مؤتمر وزراء الخارجية العرب أعربت فيها عن "قلقها للتصريحات المضللة التي أدلى بها السيد احمد الشقيري » ، موهما الرأى العام العربي والعالمي ان منظمة التحرير تقوم بواجبها الوطني في الارض المحتلة ، وطلبت فتح اتخاذ الاجراءات الكفيلة بسد أبواب أجهزة الاعلام العربية في وجه السيد/الشقيري «حتى لايتخذ منها وسيلة لخدمة أغراضه الشخصية في تضليل الجماهير» ، وكان ذلك ردا على ماسبق ان اذاعه بيان مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت من انه قد تم تشكيل مجلس قيادة الثورة لتحرير فلسطين سيكون مسئولا عن قيادة العمليات العسكرية في جميع مناطق فلسطين ، وقد أذاع هذا المجلس بالفعل بيانات عن عمليات عسكرية قام بها في مناطق متفرقة من الاراضي المحتلة كجنوبي طبريه وجبال نابلس[١٢].

وعموما فقد ظل الغموض يكتنف وضع منظمة التحرير الفلسطينية ومجلس قيادة الثورة لتحرير فلسطين الى أن رفع سبعة من اعضاء اللجنة التنفيذية للمنظمة في ١٤ من ديسمبر ١٩٦٧ مذكرة لرئيس المنظمة يطلبون فيها منه تنحيه عن الرئاسة لقلق الشعب العربي الفلسطيني على منظمته وعدم ارتياحه للاساليب التي سار بها رئيس المنظمة [١٣].

وقد استمرت الحملة المعارضة للشقيري من فئات الرأى العام الفلسطيني المختلفة واضطر الشقيري إلى الاستقالة وقدم كتاب الاستقالة في ٢٤ ديسمبر إلى السيد عبدالخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية آنئذ[١٤]، وفي ٢٥ ديسمبر أصدرت القيادة الجديدة للمنظمة بيانا أذاعت فيه تصوراتها لمهمة اللجنة التنفيذية الجديدة في المرحلة المقبلة وقد حددتها بالسعي لقيام مجلس تتمثل فيه ارادة الشعب وتنبثق عنه قيادة جماعية مسئولة وتحقيق الوحدة الوطنية وتعبئة الجهود القومية وتطوير أجهزة المنظمة [١٥].

أما المجلس الوطنى الفلسطينى، فقد حالت كارثة ١٩٦٧ ونتائجها دون انصراف المنظمة للتحضير للمجلس المفروض انه مجلس انتقالى واستمر الوضع هكذا حتى نهاية العام.

ويأتى بعد ذلك الدور الذى أنجزه جيش التحرير الفلسطينى كأحد التنظيمات الجوهرية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ومن الثابت أن عام ١٩٦٧ كان تجربة كبرى لجيش التحرير الفلسطينى ، فقدشارك هذا الجيش فى حرب يونيو ١٩٦٧ بصورة فعلية فى قطاع غزة، ورغم النهاية التى آلت إليها هذه الحرب فقد أعاد جيش التحرير تكوين نفسه قبل أن ينصرم العام وبرز من جديد فى العام الذى تلا على مسرح الكفاح الفلسطينى المسلح.

غير أنه فى نهاية عام ١٩٦٧ تعرض جيش التحرير الفلسطينى لانتقادين من حركة التحرير الوطنى الفلسطينى "فتح" ومن التنظيم الفلسطينى فى حركة القوميين العرب. وكان الانتقاد الأول غير مباشر جاء فى معرض النقد العنيف الذى وجهته فتح فى بيانها إلى الشعب الفلسطينى والأمة العربية معلنة رفضها لقرار مجلس الأمن، ففى هذا البيان قالت "فتح" بأن «التسلط الفردى من قبل قيادة المنظمة أو قائدها .. جعل الصراع داخل المنظمة أقوى من تحقيق أى منجز عملى يخدم النضال الفلسطينى»(١٦).

أما انتقاد التنظيم الفلسطينى فى حركة القوميين العرب فقد ورد فى مجلة "الحرية" الناطقة بلسان حركة القوميين العرب والتنظيم الفلسطينى منها فقد وصفت "الحرية" جيش التحرير بأنه وقع فريسة تقليدية وانحت المجلة باللائمة فى ذلك على السيد/ الشقيرى.

وقد جاء كلام هذه المجلة بعد أقل من اسبوع على الإعلان عن "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" ذات العلاقة الوثيقة بالتنظيم الفلسطينى فى حركة القوميين العرب(١٧).

ويأتى بعد ذلك الاتحادات والمنظمات التى ارتبطت بمنظمة التحرير الفلسطينية وهى الاتحاد العام لعمال فلسطين والاتحاد العام لطلبة فلسطين وقد اقتصر دورهما الاعلامى بعد كارثة ١٩٦٧ على اصدار البيانات فى المناسبات المختلفة واشترك الاتحادان معاً أيضاً فى إصدار بيان أيدا فيه اقصاء الشقيرى عن رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية(١٨).

مؤسسات الإعلام الفلسطينى :

(أ)حركة التحرير الوطنى الفلسطينى "فتح"

استمرت حركة التحرير الوطنى الفلسطينى "فتح" فى نشاطها فى الكفاح الفلسطينى المسلح الفعال تجاه اسرائيل الذى كانت قد بدأته فى الواقع قبل ذلك بسنوات حيث بلغ حجم العمليات الفدائية التى شنتها فتح ضد اسرائيل ١٤٥ عملية فى عام ١٩٦٥، ١٥٧ عملية فى عام ١٩٦٦، ١٨٥ عملية فى عام ١٩٦٧(١٩).
وقد انحصرت عمليات قوات الصاعقة التابعة لفتح خلال أيام الحرب بخطة العمل خلف العدو والانسحاب السريع إلى القواعد العسكرية(٢٠)، وضرب المدن والمستعمرات فى أماكن الجليل الأعلى بقذائف الهاون(٢١) وتفجير الجسور(٢٢) وزرع الألغام فى طريق القوافل العسكرية الاسرائيلية ومهاجمة المخافر وضرب مؤخرات العدو(٢٣) والاشتراك بالمعارك التى جرت على بعض الجبهات كالجبهة الأردنية(٢٤).

وطوال أربعة أشهر شغلت فتح بعملية اعادة تنظيم قواتها فلم يصدر عنها أى إعلام باستثناء بيانها الصادر فى ٤ يونيو، والذى أعلنت فيه نقل مقرها الى الأراضى المحتلة وتأكيد عدم ارتباطها بأى حكومة عربية(٢٥)، ويبدو أن عملية إعادة التنظيم اقتضتها الظروف التى تلت الحرب، وخاصة ما أعلن فى تل أبيب فى ٨ من سطس عام ١٩٦٧من أن وثائق سرية بأسماء أعضاء منظمة "فتح" قد صودرت ت لهم وألقى القبض على عدد من أفرادها وقادتها وتم الاستيلاء على كميات حتها.

بيد أنه طوال هذه الفترة ظلت بعض الأعمال الفدائية المهمة تتوالى من مكان لآخر فى المناطق المحتلة دون تحديد هوية القائمين بها، وخلال شهرى أغسطس وسبتمبر صعدت "فتح" من عملياتها الفدائية فى الأرض المحتلة وتراوحت هذه العمليات بين وضع ألغام على طريق السيارات ونصب كمائن للعدو والاشتباك معه ونسف مصنع ومخازن للذخيرة واعدام بعض المواطنين العرب المتعاونين مع سلطات الاحتلال(٢٦).

وفى ٧ اكتوبر عام ١٩٦٧ وجهت فتح بيانها السياسي الثانى بشان القوى المضادة للثورة فى الضفة الشرقية التى تعترض الفدائيين وتفتش عنهم وتعتقلهم وانتقدت "فتح" فى بيانها وقف اطلاق النار فى أكثر الظروف ملاءمة لمواصلة الحرب وتحويلها إلى حرب شعبية شاملة واعتبرته منعطفاً خاطئاً فى تاريخ النضال العربى وحذرت "فتح" فى بيانها من مغبة الاستمرار فى ملاحقة الفدائيين فى الأردن ودعت الضباط والجنود إلى تحطيم الحواجر والسدود "وإزالة" الفواصل المصطنعة و "تجاوز" الأوامر التى تحول بينهم وبين تأدية واجبهم الوطنى(٢٧).

وحتى نهاية العام، اصدرت فتح ١٤ بلاغاً عسكرياً ١١٥ بياناً سياسياً تناولت شئوناً متنوعة من القضية الفلسطينية، غير أنه من الصعب تحديد العمليات التى قامت بها فتح فى النصف الثانى من العام، ويستدل من بياناتها أنها قامت بـ ٩٢ عملية فى الفترة بين يونيو ونهاية العام(٢٨)، كما وأن الأشهر الثمانية التى تلت الحرب شهدت ١٢٨ حادث تخريب قامت بها "فتح" وغيرها.

وقد أصدرت فتح بيانين فى ١٨ نوفمبر ١٩٦٧ الأول موجه إلى الاتحاد العام للمحامين العرب والثانى إلى الصليب الأحمر الدولى فى جنيف لفتت فيه انتباه الهيئتين إلى معاملة اسرائيل لأسرى "فتح" المخالفة لمواثيق جنيف ودعتها إلى اتخاذ "الاجراءات اللازمة لكفالة المعاملة الانسانية والرعاية الصحية لاسراها"(٢٩).

وعلى اثر ادعاء السيد الشقيرى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية عقد مؤتمر عسكرى فى الأرض المحتلة ضم كافة التنظيمات الفلسطينية وتشكيل مجلس قيادة

الثورة لتحرير فلسطين، وحملت "فتح" على السيد الشقيرى حملة شديدة كان لها تأثيرها الفعال فى الحملة التى قامت فى المنظمة وأدت إلى تنحية الشقيرى.

وفى العاشر من ديسمبر عام ١٩٦٧ اذاعت "فتح" رفضها لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر فى ٢٢ نوفمبر وقالت فيه أنها بصفتها "تمثل ضمير الشعب العربى الفلسطينى المكافح "ترفض المشروع الاستعمارى الصهيونى الذى يحمل فى طياته: "تصفية القضية نهائياً وتثبيت الاحتلال الصهيونى فى أرضنا المحتلة وإضفاء الشرعية على وجوده وتأكيد الوصاية الدولية على قضية شعبنا واجهاض ثورة التحرير الفلسطينية".

ثم اختتمت "فتح" بيانها بدعوة الجماهير الفلسطينية فى هذه الظروف الراهنة الخطيرة إلى الانتقال السريع إلى ميدان المعركة بالضفة الغربية وقطاع غزة[٣٠].

(ب) منظمة أبطال العودة

أذاعت منظمة العودة فى بداية عام ١٩٦٧ - ولم يمضى شهرين على تشكيلها - بلاغهاالعسكرى رقم [٣١] عن عملية لها فى المنطقة المحتلة وحتى نهاية شهر مارس كانت هذه المنظمة قد أذاعت خمسة بلاغات عسكرية عن عمليات فدائية فى الأرض المحتلة.

وحتى تاريخ انضمام المنظمة إلى التنظيم الجديد فى ديسمبر ١٩٦٧ الذى حمل اسم "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" أصدرت منظمة "أبطال العودة" ثلاثة بلاغات عسكرية أخرى ثم أصدرت بيانا سياسياً فى ٢٢ مايو حذرت فيه من أن كل حكومة عربية تحاول أن تكون حامية لأمن اسرائيل من العمل الفدائى الفلسطينى سوف ينهى حكمها العمل الفدائى الفلسطينى نفسه[٣٢].

وكان هذا البيان آخر نشاط عسكرى وسياسى مستقل لمنظمة "أبطال العودة"، فعلى أثر الهزيمة العسكرية أعادت المنظمات الفلسطينية الفدائية تنظيم نفسها،

وحينما عادت منظمة "أبطال العودة" إلى استئناف نشاطها كان ذلك ضمن "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" التى قامت بأولى عملياتها العسكرية فى أواخر عام ١٩٦٧ .

(جـ) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

وردت أول إشارة عن ظهور تنظيم جديد يحمل اسم "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" فى صحيفة الأنوار[٣٣] الوثيقة الصلة بالتنظيم الفلسطينى فى حركة القوميين العرب، قالت الصحيفة فى ٧ ديسمبر أن الجبهة تنظيم موحد لقوى فدائية عديدة كانت ناشطة قبل ٥ يونيو وبعده وأن لها تنظيمات مقاتلة منتشرة فى جميع أنحاء الأراضى المحتلة.

وفى ١١ ديسمبر أذاعت الجبهة بيانها السياسى الأول الذى تحدثت فيه عن نشوئها وفلسفتها، ونظرتها القومية العربية الشاملة وإيمانها بوحدة القوى التقدمية وضرورة توحيد الكفاح الفلسطينى المسلح.

وحول نشوئها قالت الجبهة أنها تشكلت نتيجة "لقاء كامل" بين منظمة "أبطال العودة" المرتبطة بحركة القوميين العرب "وجبهة التحرير الفلسطينية" بفرقها و"الجبهة القومية لتحرير فلسطين" (منظمة شباب الثأر المرتبطة بدورها بحركة القوميين العرب)، وعدة مجموعات فلسطينية أخرى على أرض الوطن، بهدف تحقيق "الوحدة المصيرية بين كل هذه القوى".

وفى ١٩ ديسمبر - وقبل أن تذيع أنباء عملياتها العسكرية نشرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بياناً أيدت فيه مذكرة أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية التى طالبوا فيها بتنحى السيد: أحمد الشقيرى عن رئاسة المنظمة، وكان الموضوع مناسبة سياسية أكدت فيها الجبهة كثيراً من مواقفها فقد اتهمت المنظمة بانها تحولت إلى "مؤسسة تسيطر عليها الدكتاتورية الفردية والارتجال والدجل السياسى والاستخفاف بالجماهير وإنها - أى المنظمة - قد لعبت

أدوارا مخربة فى مجال وحدة العمل الفلسطينى ودعت الجبهة إلى تخليص منظمة التحرير الفلسطينية من التسلط الفردى والارتجال الذى جعل من كافة مؤسساتها وخاصة اللجنة التنفيذية، مؤسسات مشلولة عن العمل ورفض التسلط الفردى وتخطية أمراً لايمكن أن يتم إلا بتوفير قيادات جماعية همها الأول والأخير إزالة العقبات من وجه العمل الفلسطينى حتى ينمو بشكل طبيعى وفعال.

وحتى أواخر ديسمبر كانت الجبهة قد اذاعت بيانين عسكريين عن عمليات فدائية قامت بها فى الأراضى المحتلة[٣٤].

(د) التنظيم الفلسطينى فى حركة القوميين العرب:

على أثر تصاعد التوتر بين الدول الدول العربية واسرائيل فى النصف الثانى من مايو ١٩٦٧ اذاع التنظيم الفلسطينى فى حركة القوميين العرب بياناً أيد فيه جميع الخطوات إلتى أتخذها الرئيس جمال عبدالناصر[٣٥].

وفى سبتمبر أذاعت الحكومة بياناً آخر أوضحت فيه استنتاجاتها من النكسة العسكرية وتصوراتها "للصراع المصيرى بين حركة الثورة العربية وبين الاستعمار الجديد"

ومضى البيان فى وصف الولايات المتحدة بأنها قد تحركت باستراتيجية مرنة هدفها احتواء الأنظمة الجديدة فى العالم الثالث بصورة غير مباشرة، وقال البيان أن الخطأ الأساسى الذى وقع فيه العرب يكمن بالدرجة الأولى فى كون حركة الثورة العربية لم تقابل - بصورة مبكرة - استراتيجية الاستعمال الجديد الهجومية وضدها باستراتيجية ثابتة ونهائية تنطلق من مبدأ المواجهة الكاملة والمستمرة له على امتداد الأرض العربية".

وعموماً فقد أسهب البيان فى توضيح دور الولايات المتحدة المناوىء للعرب على طول الخط والمؤيد لاسرائيل تأييداً كاملاً شاملاً جامعاً.

وفى ٢٧ نوفمبر اذاعت حركة القوميين العرب بياناً سياسياً رفضت فيه قرار مجلس الأمن الصادر فى ٢٢ نوفمبر.

وفى ٤ ديسمبر أصدر التنظيم الفلسطينى فى حركة القوميين العرب مرة ثانية بياناً رفض فيه قرار مجلس الأمن معتبراً إياه "تفريطاً" بالحقوق والمصالح القومية للأمة العربية فى فلسطين وبحقوق عرب فلسطين في أرضهم ووطنهم وتصفية للقضية الفلسطينية على حساب الحق والمصالح العربية برمتها(٣٦).

(هـ) الهيئة العربية العليا لفلسطين : -

بدأت الهيئة العربية العليا لفلسطين نشاطها هذا العام ببيان اذاعته فى فبراير وحذرت فيه من أن القضية الفلسطينية تواجه عاماً حاسماً وأن الأعداء ينشطون نشاطاً غير عادى لتصفية القضية الفلسطينية.

وفى السابع من يونيو وجهت الهيئة نداء دعت فيه الشعب العربى الفلسطينى إلى القتال "فى هذه المرحلة الحاسمة ... التى تقف فيها فلسطين موقف الأمل والرجاء فى المستقبل"، لحماية الأراضى المقدسة وانقاذها من ربقة الاحتلال الصهيونى(٣٧).

وعندما أدت الحرب إلى نزوح اعداد كبيرة من الفلسطينين وجهت الهيئة بياناً فى الرابع عشر من يونيو موجهاً إلى سكان الضفة الغربية قالت فيه أن هذا العمل الذى جاء نتيجة لما قام به العدو الصهيونى من ارهاب وتخويف هو غاية مايهدف إليه الصهيونيين من أجل أن يرثوا أرض فلسطين وماعليها. وقد دعا البيان سكان الضفة الغربية إلى عدم ترك بيوتهم وأراضيهم وقراهم(٣٨).

كما وجه الحاج أمين الحسينى رئيس الهيئة نداء إلى علماء المسلمين فى الثامن من يوليو حذر فيه من أن المطامع الصهيونية تشمل إزالة المسجد الأقصى من الوجود وإقامة بناء الهيكل اليهودى مكانه والاستيلاء على سائر المقدسات الاسلامية فى فلسطين وماحولها.

وبمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العربى الرابع فى ٢٩ أغسطس فى العاصمة السودانية رفعت الهيئة مذكرة إلى الملوك والرؤساء العرب ناشدتهم فيها جمع كلمة الأمة العربية وتوحيد جهودها العسكرية والسياسية والاقتصادية والإعلامية، وأشارت إلى أن الضربة القاصمة التى وجهتها القوات الاسرائيلية وفى طليعتها قوة الطيران الاسرائيلية اظهرت عجز القيادات العربية ومخابراتها وتقصيرها"(٣٩).

وعارضت الهيئة بدورها دعوات الصلح والتفاوض مع اسرائيل كما رفضت قرار مجلس الأمن فى نوفمبر ١٩٦٧ لانه يؤدى إلى تصفية القضية الفلسطينية نهائياً لصالح الصهيونية.

الاعلام الجماهيرى العربى والعالمى

ا - الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب:-

على أثر اندلاع الحرب، صباح الخامس من يونيو، دعا الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب فى كافة أنحاء الوطن العربى إلى الاشتراك فى المعركة بمساندة القوات المسلحة وضرب "كل من يساند اسرائيل .. والفتك بالعملاء والخونة"(٤٠).

وبين ٢٨ يونيو، ٢ يوليو عقد امجلس المركزى للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب اجتماعاً طارئاً ثانياً فى بغداد على مستوى الاتحادات النقابية العربية حضره جميع ممثلى المنظمات المنظمة للاتحاد، باستثناء الاتحاد العام للعمال الجزائريين الذى تعذر وصوله لعدم تيسر وسائل النقل(٤١). وقد تضمن جدول أعمال المؤتمر مناقشة النكسة وعواملها والقرارات الواجب اتخاذها وفى نهاية اجتماعه اصدر الاتحاد بياناً أعلن فيه بأن المعركة التى خاضها العرب "كانت غير متكافئة القوى" وإن الحرب "برهان ع على أن الحركة الثورية العربية .. اصابت الامبريالية فى الصميم" كما دعا البيان إلى "مزيد من الثبات والعزم والتضحيات"، وجدد الاتحاد مطالبته بتصفية القواعد العسكرية وإلغاء جميع الاحتكارات والامتيازات الاقتصادية .

وحيى الاتحاد الطبقة العاملة العربية" حيث نفذت توصيات وقرارات مؤتمر دمشق فى ٢٤ من مايو ١٩٦٧ بوقف الضخ ومناطق البواخر والطائرات التابعة للولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا الغربية(٤٢).

وإلى جانب هذا البيان أصدر الاتحاد سلسلة قرارات دعا فيها إلى قيام وحدة "بين الدول العربية المتحررة .. التى يعتبرها العمال العرب .. وحدها الكفيلة بالدفاع عن المكاسب الثورية العربية ومقاومة الاستعمار والصهيونية...."

وفى ختام هذه القرارات أعرب الاتحاد عن اعتقاده بعدم جدوى عقد مؤتمر قمة خاصة إن عدداً من الدول العربية لم تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع الدول المعتدية(٤٣).

٢- اتحاد المحامين العرب :-

فى أول يونيو ١٩٦٧ أذاع المكتب الدائم لأتحاد المحامين العرب بيانا فى أعقاب مؤتمر طارىء عقده فى دمشق ليستعرض الموقف الحالى على الأرض العربية ومايدبره الاستعمار العالمى بقيادة الولايات المتحدة الامريكية وإسرائيل صنيعته، من محاولة الانتكاس بالثورة العربية عن طريق حرب عدوانية.

وقد دعت قرارات هذا المؤتمر إلى مساندة جيش التحرير الفلسطينى والفدائيين الفلسطنيين باعتبارهم "قوة ضاربة تقف فى طليعة الصفوف العربية المقاتلة من أجل استرجاع الوطن السليب". وقد شجب الاتحاد مواقف "الحكومات الرجعية" من منع الفدائيين من دخولهم أرضهم المحتلة، مطالب باطلاق سراح كل المعتقلين منهم لدى أية دولة عربية.

٣- اتحاد المهندسين العرب : -

فى الثانى والثالث من يونيو عقد اتحاد المهندسين العرب اجتماعاً طارئاً فى القاهرة اذاع فى اعقابه بياناً أعلن أن المهندسين العرب يشيدون بموقف كل من مصر

وسوريا، وأكد الاتحاد من جديد إيمانه فى "أن البترول العربى هو من أهم أسلحة النضال فى معركة التحرير وتعهد أعضاؤه بتنسيق جهودهم مع العمال العرب فى تنفيذ تلك السياسة ومنع وصول البترول رليى أعداء العرب"(٤٤).

وبين ١٥، ١٨ سبتمبر عقد اتحاد المهندسين دورته العادية فى دمشق واستعرض فيها معالم الطريق الذى يجب أن يسلكه شعبنا العربى ليستطيع أن يتجاوز النكسة.

وقد أقر فى نهاية هذا المؤتمر دعوة "الهيئات الهندسية فى الاقطار العربية بالاتصال مع حكوماتها لإيجاد صيغة تنفيذية للاستفادة من امكانيات هيئاتها وطاقاتها لوضعها فى المعركة التى لاسبيل للانتصار فيها إلا بتعبئة شاملة لجميع طاقات الشعب العربى، كذلك دعا المؤتمر إلى تدعيم الهندسة العسكرية بالجيوش العربية وجعل الخدمة العسكرية إلزامية لكافة المهندسين والفنيين فى البلاد العربية وتأسيس الاكاديميات العسكرية للضباط والفنيين وتطوير التعليم الهندسى الجامعى وتأسيس مراكز البحوث العلمية فى تلك المجالات وتهيئة الأجهزة التنفيذية الفنية العربية القادرة على القيام بهذه المهام للاستغناء عن الوسطاء الأجانب(٤٥).

٤ - الدورة الطارئة لمجلس الإتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية:

فى الثامن من يونيو عقد مجلس الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية دورة طارئة فى بيروت تركز البحث فيها حول معركة المصير العربى ودور الغرف والهيئات الاقتصادية ورجال الاعمال والمسئوليات الاقتصادية فى المعركة، وقد اتخذ المجلس الذى عقد بمن حضر من الوفود بسبب انقطاع الاتصال الجوى وهم مندوبو الغرف اللبنانية ورئيس غرفة تجارة بغداد والملحق التجارى للمملكة العربية السعودية سلسلة قرارات أهمها التأكيد على وحدة الصفوف وفتح الجبهة الاقتصادية ضد الاستعمار بكامل ابعادها ويجعل ضرب المواقع الاقتصادية

للعدو احدى أسلحة المعركة وأقدرها وأقواها وفى هذا المجال استعرض القرار عدة قطاعات جوهرية تطبق من خلالها هذه القرارات وهى قطاع البترول والتعامل التجارى لتطبيق جميع احكام مقاطعة اسرائيل والتعامل المالى بتحويل أرصدة الاسترلينى والدولار التى تملكها الدول العربية إلى ذهب وإلى عملات واستثمارات خارج النطاق المالى للدولتين المستعمرتين، وبالنسبة إلى قطاع النقل فقد أيد اغلاق مصر لقناة السويس وطالب الدول العربية بمنع طائرات الدولتين (أمريكا وبريطانيا) من الهبوط فى مطاراتها وكذلك اتخذ المؤتمر قراراً الدعوة لتكاتف الدول العربية مالياً فى مواجهة المعركة(٤٦)، وقد وردت برقيات عديدة تؤيد وتوافق على هذه القرارات من اتحادات وغرف الأردن والبحرين وتونس والجزائر والسودان والعراق والسعودية و سوريا ومصر وقطر والكويت ولبنان والمغرب.

ولقدأشار تقرير عن أعمال المكتب الدائم، مقدم إلى مجلس الاتحاد في دورته السابعة والعشرين المنعقدة فى بيروت فى ٢ اكتوبر ١٩٦٧ إلى أن هذه القرارات والتوصيات أثرت فى المشروعات المختلفة التى طرحت على بساط البحث فى المؤتمرات العربية الجماعية الأربعة التى انعقدت منذ العدوان وهى مؤتمر وزراء الخارجية العرب الأول (الكويت ١٧ يونيو ١٩٦٧ ومؤتمر وزراء المال والاقتصاد والنفط العرب (بغداد ١٥ أغسطس ١٩٦٧) ومؤتمر وزراء الخارجية العرب الثانى (الخرطوم ٢٦ أغسطس ١٩٦٧) ومؤتمر القمة العربى الرابع (الخرطوم ٢٩ أغسطس ١٩٦٧)(٤٧).

٥- الكنائس المسيحية :

فى التاسع عشر من يوليو وجهت كنائس سورية ولبنان ممثلة بكنائس الروم الأرثوذكس والسريان الأرثوذكس والأرمن الأرثوذكس والكنائس الانجيلية والأسقية، برقية إلى مجمع الكنائس المسكونى أعلنت فيها أن "حقوق الشعب الفلسطينى لايمكن أن يلاشيها العدوان العسكرى، ولايجوز البحث فيها مادام الجيش الاسرائيلى

مستولياً على مناطق عربية " وقد دعت برقية من بيروت موجهة إلى المجمع" أن يؤيد من جديد موقفه الثابت الاساسى ضد العدوان على أراضى الغير واستعمال العنف لتسوية الخلافات الدولية[٤٨].

وفى ٢١ يونيو أذاعت الكنائس الانجيلية الوطنية فى العالم العربى بياناً فى بيروت حول "مايجرى فى الغرب باسم الدين" أعلنت فيه عن أسفها حيث ترتفع أصوات من بعض رجال الدين فى الغرب يصدرون التصاريح لصالح اسرائيل ومن بينهم بعض الانجيليين، كما اعادت فى بيانها إلى الأذهان أن الرجوع إلى الإنجيل وإلى التوراة نفسها وإلى سائر النصوص المسيحية سيثبت لنا بوضوح أن هذا الزعم (أن أرض فلسطين هى أرض الميعاد لليهود) مردود نصاً فى الكتاب، وأن القول به مخالفة صريحة للنصوص والمفاهيم الدينية". كما أكدت حق العرب فى أرض فلسطين، "وقد اختتمت الكنائس بيانها مستنكرة العنصرية الصهيونية" و "جميع التصاريح المنافية للدين وللمبادىء الانسانية"[٤٩].

٦- مؤتمر العالم الإسلامى :

أيدت الدول الاسلامية تعاطفاً ملحوظاً إزاء القضايا العربية وحثت على تطبيق قرارات الأمم المتحدة الخاصة باللاجئين الفلسطينين، وقد عقد فى عمان بين السادس عشر والحادى والعشرين من سبتمبر ١٩٦٧ "مؤتمر العالم الاسلامى" ضم وفوداً من إحدى وعشرين دولة، فى اجتماع طارىء ترأسه الحاج أمين الحسينى رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين للبحث فى وسائل "صد العدوان وتخليص المناطق العربية المحتلة ولاسيما البلاد المقدسة من أيدى غاصبيها"[٥٠].

وقد ألقى الحاج أمين الحسينى، خطاباً تحدث فيه عن "النكبة العظمى" وعن إمكان "إخماد الحريق (الصهيونية)"، وناشد الأمم المتحدة، والضمير العالمى "أن يعملا على تحقيق العدل"، وشكر الدول الاسلامية وشعوبها لاهتمامها بالأراضى المقدسة ودعمها الاجماعى للعرب فى الأمم المتحدة[٥١]. كما وإن المجتهد الأكبر

الإمام السيد محسن الحكيم، المرجع الأعلى للأمامية الأثنى عشرية بعث ببرقية إلى المؤتمر دعا فيها حكام العالم الاسلامى "إلى اتخاذ موقف اسلامى صارم يتمثل فيه الاصرار الهائل المستميت على تطهير البقعة المقدسة والأرض الطاهرة وانقاذ القدس من براثن الاعداء باتخاذ موقف اسلامى صارم"(٥٢).

وقد اختتم المؤتمر اعماله بتوجيه برقية إلى يونانت الأمين العام للأمم المتحدة أعلن فيها بأن الوضع سيستمر فى التردى "إذا لم تتخذ جهود عملية وسريعة لإزالة جميع آثار العدوان، كما أكد المؤتمر فى برقيته" موقف العالم الاسلامى الاجماعى ضد أى مشروع لتدويل المدينة المقدسة(٥٣).

كما لاحظ المؤتمر "وجود هوة عميقة تفصل بعض الحكومات وبين جماعات ضخمة من شعوبها ذات طاقات مادية ومعنوية لايستهان بها، وإن استمرار هذه الأوضاع قائمة يؤدى دائماً إلى عجز الحكومات عن تعبئة جميع الطاقات الفكرية والمادية اللازمة لمجابهة الخطر العظيم الذى يتحدانا جميعاً.

كذلك لاحظ المؤتمر "ان المسئول عن هذا العدوان لم يكن هو اختلاف وجهة النظر بين الطرفين المتنازعين من عرب ويهود فحسب، وإنما المسئول عنه هو الأمم المتحدة نفسها منذ أن أصدرت قرار التقسيم فى أواخر عام ١٩٤٧ متصرفة بفلسطين تصرف المالكين" وأعلن "بأن العرب المسلمين والمسيحيين فى فلسطين عامة متفقون اتفاقاً لاخلاف فيه فى حق العرب الفلسطينيين وحدهم بفلسطين، وانهم لم يختلفوا قط مع اليهود العرب من أبناء فلسطين فى حقهم معهم فى الاستقرار فيها، وإنما اختلفوا مع الصهيونيين". كما اتخذ سلسلة القرارات التالية:

١- إن الضفة الغربية هى جزء لايتجزأ من المملكة الأردنية الهاشمية وعلى الأمم المتحدة والدول العربية والإسلامية خصوصاً إرجاع الأمور إلى حالتها السابقة.

٢- الرفض المطلق لأى مشروع أو خطة لتهويد أو تدويل المدينة المقدسة ...

ورفض جميع الاجراءات والتدابير التى اتخذتها اسرائيل فى القدس بعد الاحتلال.

٣ - استنكار احتلال سيناء وغزة والجولان ودعوة المنظمة الدولية والدول الكبرى لاتخاذ جميع الوسائل الكفيلة بإزالة آثاره.

٤- مطالبة الأمم المتحدة بأن ترغم الاسرائيليين على القيام بالتعهدات التى قطعوها .. بشأن حماية السكان المدنيين العرب وعدم المساس بهم أو ارغامهم على الهجرة وتأكيد حق الفلسطينين العرب فى العودة إلى بلادهم دون قيد أو شرط ومناشدة الضمير العالمى المساعدة على إعادة اللاجئين الذين أخرجوا من الضفة الغربية وسورية وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء على وجه السرعة.

٥- الدعوة لعقد مؤتمر قمة اسلامى للحصول على تأييد الدول الاسلامية لتصفية آثار العدوان.

٦- فتح حوار بناء وموضوعى مع جميع الجهات الدولية والانسانية كى تتعرف على وجهة النظر الاسلامية تجاه القضية الفلسطينية.

٧- دعم المملكة الأردنية الهاشمية وتأييدها من قبل الحكومات والشعوب فى العالم الاسلامى.

٨- الإعلان بأن اليهود من المقيمين فى البلاد الاسلامية الذين يثبت اتصالهم بالدوائر الصهيونية أو دولة اسرائيل هم محاربون للمسلمين أهل ذمة، ولا يستحقون الحماية والرعاية التى يوجهها الإسلام لأهل الذمة المسالمين(٥٤).

وبصدد أزمة الشرق الأوسط فإن الدول الاسلامية وافقت على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧، وهى تؤيد تطبيقه وفقاً لوجهة النظر العربية وتؤكد ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضى العربية المحتلة، وتعارض أى أمر واقع ينطوى على ضم مدينة القدس إلى اسرائيل، وهى تبرز تعاطفها مع العرب بالتأييد

القوى لهم فى المحافل والأمم المتحدة إزاء مشكلة فلسطين [٥٥].ففيما يتعلق بحقوق الفلسطنيين فإن تركيا وإيران تحدثتا بهذا الخصوص ضمن اطار قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧، وقد أكدت ايران أن أية تسوية دائمة للنزاع فى الشرق الأوسط يجب أن تضع فى الاعتبار الحقوق المشروعة للشعوب العربية بمافيها شعب فلسطين[٥٦] وكما عبرت ماليزيا عن تأييدها لكفاح الدول العربية من أجل استرجاع اراضيها واستعادة حقوق شعب فلسطين والتزمت اندونيسيا بتأييد استعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين، وأكدت باكستان إن مصدر مشكلة الشرق الأوسط هو إنكار العدالة والحقوق الاساسية لعرب فلسطين، وأيدت مالى التوصل إلى حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين[٥٧].

وحول العلاقة بين الدول الاسلامية وحركة المقاومة الفلسطينية فإن بعض تلك الدول عبرت عن تأييدها للمقاومة الفلسطينية، فقد أعلن وزير السياحة التركى أن بلاده تؤيد نشاط الفدائيين الفلسطينيين وتعتبره عملاً مشروعاً لاستعادة حقوق العرب المشروعة التى اغتصبها الاسرائيليون[٥٨] وهو ما أعلنته اندونيسيا وموريتانيا وماليزيا والصومال فى مناسبات أخرى[٥٩].

٧- المؤتمر الإسلامى المسيحى :-

وفى ١٨ سبتمبر وبمناسبة انعقاد مؤتمر العالم الاسلامى فى العاصمة الأردنية عقد مؤتمر اسلامى مسيحى ، حضره رؤساء وزعماء الطوائف المسيحية (الأرثوذكسية والكاثوليكية واللاتينية والأرمنية والسريانية والإنجيلية).

وقد ألقى المطران ميخائيل عساف، مطران طائفة الروم الكاثوليك، كلمة فى المؤتمر باسم الطوائف المسيحية، أعرب فيها عن تضامن الطوائف التى ينطق باسمها مع الطائفة الاسلامية فى السراء وفى البهجة... وفى العودة إلى أوطاننا المقدسة"[٦٠] كذلك تحدث المطران "ثيودوروس" مطران طائفة الروم الأرثوذكس، وفى

٢١ سبتمبر وجه المؤتمر برقية إلى كل من رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة والأمين العام ورؤساء الدول الاسلامية والبابا بولس السادس، والبطريرك أثينا جوارس ورئيس أساقفة كانتربرى، أعلن فيها :

"استنكار الاسلام والمسيحية لاحتلال اسرائيل للضفة الغربية .. وسائر الأقاليم العربية، ومحاولتها ضم القدس إليها ..." كما طالبت البرقية بـ "تحرك الضمير العالمى بكل جدية وسرعة لمواجهة الأوضاع التعيسة التى يعانيها اللاجئون الفلسطينيون وخصوصاً الجدد منهم"(٦١).

٨- اتحاد المعلمين العرب : -

بين الثالث عشر والتاسع عشر من نوفمبر ١٩٦٧، عقد مجلس اتحاد المعلمين العرب دورة فى بيروت "ليتابع مهمته فى رسم صورة واضحة المعالم موحدة المنهج لعمل المعلمين العرب من أجل إزالة آثار العدوان والاستمرار فى معركة التحرير".

وفى ختام بيانه دعا مجلس اتحاد المعلمين العرب، سائر المعلمين فى الوطن العربى إلى العناية بالمجالات الدولية عن طريق العمل على الاتصال بالسواح والزائرين وارسال الحقائق مدعمة بالإحصاءات والصور إلى المبعوثين العرب والقيام بزيارات شخصية إلى نقابات المعلمين فى الخارج وعقد ندوات على المستوى الشعبى والاتصال بالجاليات العربية بالخارج ومناشدتها تعبئة الجهود لنصرة الحق العربى، والاتصال بالهيئات الاسلامية فى العالم وتعريفهم بالخطر الصهيونى على المقدسات الاسلامية، والاتصال بالهيئات المسيحية فى العالم وتعريفهم بالخطر الصهيونى على المقدسات المسيحية(٦٢).

٩- منظمة الوحدة الأفريقية : -

لم تتطرق منظمة الوحدة الافريقية فى مؤتمراتها الأربعة - السابقة على عدوان يونيو ١٩٦٧ - لرؤساء الحكومات والدول الأفريقية إلى بحث مشكلة فلسطين،

ولكن حدث تغيير طفيف فى موقفها بعد بحث مؤتمر القمة المنعقد فى كينشاسا في سبتمبر ١٩٦٧ أزمة الشرق الأوسط خارج جدول أعماله، ولكنه أكد ارتباطه بمبادىء سيادة ووحدة أراضى الدول الأعضاء فى منظمة الوحدة الأفريقية وأبدى قلقه إزاء الموقف الحرج الذى يسود فى بلد أفريقى هو مصر الذى تحتل "قوة أجنبية من أراضيه، واتخذ القرار بالإجماع"(٦٣).

وكانت العلاقات ضعيفة بين دول منظمة الوحدة الأفريقية وحركة المقاومة الفلسطينية فى فترة البحث ويرجع سبب ضعفها إلى قوة العلاقات الاسرائيلية الأفريقية وترسخها فى المجالات المختلفة وإلى أن دول المنظمة توافق على قرار رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ الذى لايحبذ أبداً نشاط بل بقاء المقاومة الفلسطينية المسلحة، وإلى أن منظمة الوحدة الأفريقية تعنى بصورة أساسية بالتعامل مع الدول، ولايعنى هذا أنه ليس هناك تعاطف أو تفهم من بعض الدول الأفريقية لأمانى الشعب الفلسطينى وحركة المقاومة الفلسطينية ولكنه ليس الطابع الغالب، وهناك إلى جانب هذا علاقات بين المقاومة الفلسطينية وبعض حركات التحرير الأفريقية.

١٠- منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الأسيوية : -

قرر المؤتمر الطارىء للمنظمة المنعقد فى القاهرة من ١ - ٣ يوليو ١٩٦٧ ادانة العدوان الامبريالى الاسرائيلى على الأرض العربية، ومساندة قضية الشعب العربى العادلة مادياً وسياسياً ومعنوياً بما فى ذلك مقاطعة سفن وطائرات دول العدوان، والعمل بمختلف السبل لتحقيق انسحاب القوات المعتدية فوراً وبدون قيد أو شرط من جميع الأراضى التى احتلتها مع فرض التعويضات اللازمة على اسرائيل لما سببته من خسائر نتيجة عدوانها وإزالة كل آثار العدوان ووجوده. ومطالبة دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية والدول التقدمية والاشتراكية فى العالم بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ومقاطعتها اقتصادياً وسياسياً وثقافياً ومناشدة المنظمات التقدمية فى العالم مقاومة الصهيونية والتسلل الاسرائيلى فى البلاد الأفريقية والأسيوية (٦٤).

وفيما يختص بمشكلة فلسطين فإن اعضاء المؤتمر الطارىء فى يوليو ١٩٦٧ طالبوا بدعم الشعب الفلسطينى فى نضاله العادل من أجل استرداد وطنه واستعادة حقوقه المشروعة (٦٥).

١١- مؤتمرات مجلس السلام العالمى : -

عقد العديد من مؤتمرات مجلس السلام العالمى التى أولت أهتماماً ملحوظاً بأزمة الشرق الأوسط باعتبارها تهديداً لأمن وسلام المنطقة ومن بين تلك المؤتمرات مؤتمر اللجنة القيادية للمجلس (لينجراد ٢٧ - ٢٩ اكتوبر ١٩٦٧) وقد اتخذ هذا المؤتمر قرارات ومواقف مؤيدة للعرب والفلسطينيين ومما سهل تفهم اتجاهات مؤتمرات مجلس السلام العالمى هو ربطها بمواقف الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية والأحزاب الشيوعية فى أوروبا الغربية وذلك لأنها مقيدة فى حقيقتها باتجاه وسياسة الشيوعية السوفيتية، وكانت أهمية هذه المؤتمرات واضحة بالنسبة لحركة المقاومة الفلسطينية عامة وذلك لتوثيق الروابط مع طوائف الرأى العام العالمى فى هذه المنطقة والذى يشمل نقابات العمال واتحادات الفلاحين ومنظمات الشبيبة والطلاب والمؤسسات الصحفية والقانونية والنسائية ونقابات المعلمين فى تلك البلاد دون المرور بالطريق الرسمى غير المفتوح بالقدر المناسب.

١٢- مؤتمر نصرة الشعوب العربية فى نيودلهى : -

برزت فكرة عقد مؤتمرات نصرة الشعوب العربية لدى شخصيات هندية صديقة للعرب ومعروفة باتجاهها المسارى التقدمى وفى مقدمتها "كريشنا مينون" وزير الدفاع الهندى الأسبق وكانت هذه الشخصيات ترى أن وجهة النظر العربية غير معروفة جيداً لدى الرأى العام العالمى، وإنه يتعين على أصدقاء العرب وأنصارهم القيام بالمساعى الضرورية لإزالة مايحيط بوجهة النظر العربية من ضباب وغموض.

وقد عقد المؤتمر الأول فى نيودلهى فيمابين ١١ - ١٤ نوفمبر ١٩٦٧(٦٦) بعد أن

وجهت إليه الدعوة لجنة تضم ممثلين لحركة السلام الهندية ولجنة التضامن الأسيوى الأفريقى واتحاد عمال الهند ومائة من أعضاء البرلمان يرأسها كريشنا مينون، وتم عقد هذا المؤتمر بسرعة وكان محدود الطابع لأنه كان متأثراً بشدة بصدمة النكسة ولأنه لم تكن هناك رؤية محددة لما هو مطلوب من جانب المعتدى عليه وبالتالى لم تكن هناك رؤية محددة لما يمكن أن يقدمه لهم من يريد نصرتهم (٦٧) ولأن المقاومة الفلسطينية لم تكن قد وطدت أقدامها بعد، وقد أقر المؤتمر قرارات هامة لنصرة الشعوب العربية وأهمها إيفاد السكرتير العام مبعوثه "نيلز جاران جوزنج" Nils Garan Gussing للقيام بمهمة "تحقيق وفحص مركز الأهلية فى المناطق الخاضعة للاحتلال الاسرائيلى مع دراسة التدابير المتخذة لتيسير عودة النازحين منهم نتيجة للعمليات الحربية ووسائل معاملة أسرى الحرب وحماية المدنيين، وقام المبعوث الدولى بزيارة المناطق المحتلة ولكن اسرائيل فرضت قيوداً على حرية تحركاته، وربطت بين هذه المهمة وبين التحقيق فى أحوال اليهود فى البلاد العربية أطراف النزاع (٦٨).

هوامش الفصل الثانى :

١ - الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ اصدار مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت جمع وتصنيف جورج خورى نصر الله ، الملحق رقم ٢٥ ص ١٠٨٤ .

٢ - سعد جمعة : المؤامرة ومعركة المصير- بدون مكان وتاريخ اصدار- ص ١٨٩ .

٣ - المحرر ١٩٦٧/٦/٨ .

٤ - المصدر نفسه ١٩٦٧/٨/١ .

٥ - انعقد هذا المؤتمر فى الكويت فى ١٧ يونيو ٦٧ وحضره جميع الدول الاعضاء فى الجامعة العربية والسيد / أحمد الشقيرى ممثلا عن منظمة التحرير الفلسطينية وقد بحث المؤتمر فى جلساته اربعة من مشروعات العمل العربى تقدم بها للسودان والكويت وسورية ومنظمة التحرير الفلسطينية - ويرجع فى تفضيل ذلك الى " الرأى العام " الكويت ١٩٦٧/٦/١٨ .

٦ - النهار ٦٧/٨/٢ ، " لوجور" ، بيروت ١٩٦٧/٨/٢ .

٧ - الحياة - بيروت ١٩٦٧/٨/٢٣ .

٨ - " الاوريان " بيروت ١٩٦٧/٨/٢٧ .

٩ - " المحرر ١٩٦٧/٩/١٨ .

١٠ - المصدر نفسه ١٩٦٧/٩/٢٣ .

١١ - " الحوادث " بيروت ١٩٦٧/١٠/١٣ .

١٢ - الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ ، مرجع سابق ص ٩٨٥ .

١٣ - وقد وقع على هذه المذكرة كل من عبد الخالق يغمور ، وبهجت ابو غريبة وأسامة النقيب ويحيى حموده - ووجيه المدنى ونمر المصرى ويوسف عبد الرحيم ، ويرجع فى تفصيل ذلك الى المصدر السابق ص ١٠٠٩ .

١٤ - الاهرام ١٩٦٧/١٢/٢٥

١٥ - المصدر نفسه ١٩٦٧/١٢/٢٦ .

١٦ - الجمهورية - بغداد ١٩٦٧/١٢/١٧

١٧ - الحرية ١٩٦٧/١٢/١٨

١٨ - النهار ١٩٦٧/١٢/٢١

١٩ - النهار ١٩٦٧/١٢/٢١

٢٠ - حركة التحرير الفلسطينى "فتح" : وثائق عسكرية جـ١ - ١٩٦٨ من ص٩ -٥٢ ، ٥٢ - ٧٢،٧٣ - ١١٧ .

٢١ - البلاغ رقم ٦٦ الصادر بتاريخ ١٩٦٧/٦/٥ البلاغ رقم ٦٩-٧ /١٩٦٧/٦.

٢٢ - البلاغات ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ - ٧ ، ١٩٦٧/٦/٨ .

٢٣ - البلاغان ٧٢ - ٧٤ - ١٩٦٧/٦/٨ .

٢٤ - المصدر السابق .

٢٥ - الاهرام ١٩٦٧/٧/٤

٢٦ - انظر : وثائق عسكرية ، الجزء الاول ، حركة التحرير الوطنى الفلسطينى فتح من ٩٦ - ١١٩ .

٢٧ - الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ ، مرجع سابق ص ٧٩٧ .

٢٨ - " وثائق عسكرية " مرجع سابق ص ١٣٦ .

٢٩ - الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ ، مرجع سابق ص ٨٨٧ .

٣٠ - انظر النص الكامل للبيان فى : الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ ، مرجع سابق ص ٩٩٢ .

٣١ - الوثائق الفلسطنية العربية لعام ١٩٦٧ ، مرجع سابق ص ٢٦٩ .

٣٢ - الانوار ١٩٦٧/١٢/٧ .

٣٣ - تكونت فرق الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من : فرقة الشهيد عبد اللطيف شرور - فرقة الشهيد عز الدين القسام - فرقة الشهيد - عبد القادر الحسينى .

٣٤ - اذيع البلاغ الاول فى ١٥ ديسمبر ويستدل منه ان أول عملية تمت فى السادس من أكتوبر عندما اشتبكت وحداتها مع القوات الاسرائيلية بجوار مستعمرة الزراعة ثم توالت هذه العملية عملية أخرى قتل فيه ثلاثة جنود للعدو ثم ثالث العمليات الفدائية فى ٤ ، ١١ - ١٣ ديسمبر ، أما ابلاغ الثانى فتحدث عن عمليات فدائية قامت بها ١٨ ، ١٩ ديسمبر استهدفت معسكرا للعدو قرب مطار اللد وآخر فى وادى مسعود .

٣٥ - المحرر ١٩٦٧/١٢/٢٧ .

٣٦ - الحرية ١٩٦٧/١٢/٤ .

٣٧ - فلسطين ـ نشرة الهيئة العربية العليا لفلسطين) ، بيروت ، يوليو ١٩٦٧ وانظر ايضا : الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧، مرجع سابق ، وثيقة رقم ٢٥٩ ص ٣٣٨ .

٣٨ - المرجع السابق وثيقة رقم ٣٠٢ ص ٣٨٤ .

٣٩- فلسطين (نشرة الهيئة العربية العليا لفلسطين) أكتوبر بيروت ١٩٦٧ وانظر ايضا : الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ ، مرجع سابق وثيقة رقم ٤٧٢ ص ٦٥٠ .

٤٠ - الجمهورية - بغداد ١٩٦٧/٦/٦ ، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ وثيقة رقم ٢٢٧ ص ٣٠٩ .

٤١ - الجمهورية - بغداد ١٩٦٧/٧/٣ ، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ وثيقة رقم ٣٤٢ ص ٤٤٩ .

٤٢ - العمال العرب فى المعركة ، القاهرة ، يوليو ١٩٦٧ .

٤٣ - الجمهورية - القاهرة ٦٧/٦/٤ وانظر ايضا الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ وثيقة رقم ٢٠٢ ص ٢٨١ .

٤٤ - البعث ١٩٦٧/٩/١٩ .

٤٥ - الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ وثيقة رقم ٢٧٢ ص ٣٥٠ .

٤٦ - التقرير الاقتصادي العربي " الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية ديسمبر ١٩٦٧ ص ٧٦ .

٤٧ - الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ ، مرجع سابق ، وثيقة رقم ٣١٣ ص ٤٠٣ .

٤٨ - المرجع السابق وثيقة رقم ٣٧١ ص ٤٠٧ .

٤٩ - المرجع السابق وثيقة رقم ٣١٧ ص ٤٠٧ .

٥٠ - انظر البيان الختامي للمؤتمر في : الوثائق الفلسطينية العربية لعام ٦٧ وثيقة رقم ٥٢٧ ص ٧٤٣ .

٥١ - انظر جهود الهيئة العربية العليا لفلسطين بعد حرب يونيو ١٩٦٧ في المرجع السابق .

٥٢ - الدستور - عمان ١٩٦٧/٩/٢٠ .

٥٣ - الدستور ١٩٦٧/٩/٢٣ .

٥٤ - السياسة الدولية ، الاعداد ١ يوليو ١٩٦٥ ص ٢١٢ ، ٢١٤ - ١٢ ابريل ٢٠٥٦٨ ، ١٥ يناير ٦٩ ص ٢٦٥ ، ١٧ يوليو ٦٩ ص ٢٠٤ ، ١٨ اكتوبر ٦٩ ص ٢١٣ ، ٢ ابريل ٧١ ص ٢٦٤ و ٢١ يوليو ٧٠ ص ٢٢٤ وغيرها من الاعداد من سجل الشهريات.

٥٥ - السياسة الدولية عدد ٣١ يناير ٧٣ ص ٢٢٥ .

٥٦ - السياسة الدولية عدد ٣٠ أكتوبر ١٩٧٣ ص ٢٢٢ ، عدد ١ يوليو ٦٥ ص ٢١٢١ ، عدد ٣٠ اكتوبر ١٩٧٣ ص ٢١٦ ، عدد ٢١ يوليو ٧٠ ص ٢٢٤ ، عدد ١ يناير ص٢٦٥ .

٥٧ - العلم - المغرب - العدد ٢٨٢٦ - ١٩٦٩/١/٣٠ .

٥٨ - السياسة الدولية عدد ٣٠ اكتوبر ٧٢ ص ٢١٦ ، العدد ٢١ يوليو ١٩٧٠ ص ٢٢٤ البعث دمشق ١٩٦٩/١٠/٩ ، ١٩٦٩/١٠/١٨ .

٥٩ - الدستور ٢٠ - ٩ - ١٩٦٧ .

٦٠ - المرجع نفسه ٢٢ - ٩ - ١٩٦٧ .

٦١ - " البعث " ٢٠ - ١١ - ١٩٦٧ .

٦٢ - السياسة الدولية - عدد ١٨ - اكتوبر ١٩٦٩ ص ١٥٨ .

٦٣ - الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ ، مرجع سابق وثيقة رقم ٣٩٩ ص ص ٤٥٣ - ٤٥٧ .

٦٤ - المرجع السابق .

٦٥ - المصور - درار الهلال - القاهرة ٣١ - ١٠ - ١٩٦٩ .

٦٦ - الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٧ ، مرجع سابق ص ٤٥٦ .

٦٧ - المرجع نفسه ص ٤٥٦ .

٦٨ - المرجع نفسه ص ٤٥٦ .

الفصل الثالث

الدول العربية والإعلام الدولى ١٩٦٧ - ١٩٧٣

الاعلام العربى

عقب انتهاء حرب يونيو ١٩٦٧مباشرة لم تكن اسرائيل على استعداد لاستغلال أى احتمالات للسلام، فقد كان ماتنتظره من الجانب العربى هو الاستسلام، وجاء الرد العربى ، بعد الحرب بثلاثة أشهر بالرفض ففى أغسطس / سبتمبر ١٩٦٧ جاءت قرارات قمة الخرطوم تعلن لاتنازلات، ولا مفاوضة، ولا صلح.

وحينما استخلصت مصر نتيجة(١) مفادها أن الجيش الاسرائيلى لايستطيع الاستمرار فى تحمل أى خسائر فى الأرواح حتى ولو كانت منخفضة نسبياً راحت مصر تؤيد المقاومة الفلسطينية وتقدم لها كل عون مادى ومعنوى بغير حدود وبغير تحفظات(٢) لتبديد حالة اليأس التى خيمت على العالم العربى بعد الهزيمة، ورأت أجهزة الاعلام المصرية أيضاً إن العمليات الفدائية وحركة المقاومة الفلسطينية يمكن ان تملأ جانباً من الفراغ السياسى والعسكرى الذى صاحب الجانب العربى فى الصراع العربى الاسرائيلى حول فلسطين، وتوسطت أجهزة الاعلام العربية فى جعل العمل الفدائى الفلسطينى اداة ضغط على اسرائيل للقبول بالتسوية السلمية لأزمة الشرق الأوسط.

وتيقن للاعلام العربى والمصرى التزامه بتأييد ودعم المقاومة الفلسطينية حيث قال عبدالناصر : "إن المقاومة الفلسطينية - وهذا مايجب أن يعرفه الكل ويلتزم به ايماناً ويقينا - جاءت لتبقى وسوف تبقى حتى تعيد تأسيس وطنها الفلسطينى وحتى تتأكد ممارسة هذا الوطن لدوره فى النضال الشامل للأمة العربية"(٣).

غير أن طرح التسوية السلمية لأزمة الشرق الأوسط ظل أخطر مايهدد العلاقات بين الاعلام الفلسطينى والاعلام المصرى ، فحين قبلت مصر قرار مجلس الأمن رقم

٢٤٢ اعتبرت أن ذلك لايتعارض مع الحق التاريخي والطبيعي الحتمي للشعب الفلسطيني في تحرير وطنه واعتبرت إن ازالة آثار عدوان ١٩٦٧ لاتتعارض مع دعوة المقاومة لتحرير فلسطين من النهر إلى البحر (نهر الأردن، البحر المتوسط)، كذلك فقد قيدت نفسها بمقررات مؤتمر القمة في الخرطوم في أغسطس ١٩٦٧ بعدم التفاوض أو الصلح أو الاعتراف باسرائيل(٤).

أما المقاومة الفلسطينية فقد أعلنت من جانبها إنها لاتعارض أى تحرك سياسى تمارسه الدول العربية لإزالة آثار العدوان الاسرائيلي في يونيو ١٩٦٧ على ألا يعنى ذلك حرمان الثورة الفلسطينية من مواصلة كفاحها لتحرير الأجزاء الأخرى المحتلة من أرض فلسطين.

وقد ظلت أجهزة الاعلام المصرية في هذه الفترة على ماهى عليه من أن أى حل للمشكلة لابد وأن يخدم حقوق شعب فلسطين وهى الحقوق التى أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في دوراتها المتتالية .

وفي مناسبات عديدة منذ نهاية الحرب حتى نهاية عام ١٩٦٧ أعرب عبدالناصر دواماً أن الانسحاب الكامل من كل الأراضي العربية .. نقطة .. ليست خاضعة لأى أخذ أو عطاء ؛ وإن مصر لن تسمح لاسرائيل مهما كان الثمن أن تمر في قناة السويس لأن المرور في قناة السويس جزء لايتجزأ من مشكلة فلسطين الأصلية وهو ليس جزءاً من قضية إزالة آثار العدوان وهو الأمر الذى ركزت عليه الصحافة الرسمية المصرية (٥).

كذلك فقد طوى عام ١٩٦٧ أيامه باصرار مصر على ضرورة الانسحاب الاسرائيلي وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وتنفيذ القرارات السابقة للأمم المتحدة، وهى النقاط الثلاث التى حكمت موقف مصر في مباحثاتها مع الوسيط الدولي الدكتور جونار بارنج في هذه الفترة(٦).

أما سوريا فقد أفسحت هى الأخرى مجالاً كبيراً للعمل الفدائى الفلسطينى لأنها رأت فيه وسيلة لملء الفراغ العسكرى المتخلف عن هزيمة الجيوش العربية أمام اسرائيل، واتسعت بذلك - الرقعة الجغرافية التى أصبح بإمكان "فتح" أن تباشر فيها عملياتها الفدائية ضد الاسرائيلين (الأردن ولبنان) بل أن فتح نقلت مقرها ومراكزها الرئيسية إلى الأردن وإن لم تتخل عن مقار ومراكز فرعية فى سوريا، وتشعبت علاقات فتح العربية وازداد تأثيرها على الأصعدة الفلسطينية والعربية والدولية.

غير أن الموقف السورى من ثنايا أجهزة إعلامه اختلف مع الموقف المصرى فى نقاط جوهرية فبينما أبدت مصر مؤتمرات القمة العربية اعتبرتها سوريا "المنبر الأخير لدعاة تصفية قضية فلسطين[٧]" بالرغم من أنها أعلنت بعد ذلك إنها ستنفذ أية مقررات إيجابية تصدر عن هذه المؤتمرات [٨] وتساهم فى إزالة العدوان دون قيد أو شرط.

وقد عادت أجهزة الاعلام السورية تندد بمؤتمرات القمة وتصفها بأنها أسلوب خاطىء فى معالجة القضايا المصيرية والعربية[٩].

والنقطة الثانية التى عارضت فيها سوريا موقف مصر هى موقف سوريا من قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ حيث رفضه الرئيس السورى وقتئذ نور الدين الأتاسى قائلاً: "إنه - أى القرار - لايضع فى الاعتبار حقوق شعب فلسطين، ولايضمن تحقيق انسحاب كامل وغير مشروط من الأراضى العربية المحتلة".

وقد كرر الاعلام السورى رفضه للقرار رقم ٢٤٢ فى مناسبات عديدة وحتى نهاية ١٩٦٧، ودعا الرئيس السورى/ نور الدين الأتاسى الجماهير العربية إلى اتباع طريق الكفاح المسلح بعد أن تبين عقم أساليب العمل السياسى وعدم جدواه"[١٠].
ونظراً لجهود الاعلام السورى تدفق الشباب الفلسطينى والعربى للالتحاق بالعمل الفدائى مما أدى إلى ضغط وتعدد المنظمات الفدائية الفلسطينية الممثلة لتيارات سياسية مختلفة، وهنا رأى حزب البعث العربى الاشتراكى اقرار التنظيم الفلسطينى ليكون "طلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة) - وهى منظمة فدائية تخضع لاستراتيجية الحزب[١١].

أمـا الأردن فـقـد اتجه بعد حـرب يونيـو ١٩٦٧ يسـعى إلى التـوصل إلى تسـوية سلميـة مع اسرائيل وقد اتضح ذلك من موقف الأردن فى مؤتمر الخرطوم وفى قـبـوله لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢. ومن جهة أخرى فإن الأسس التى حكمت العلاقات بين حركة المقاومة الفلسطينية والأردن أوضحت أن الأردن منذ أن اعلن ضم الضفة الغربيـة أصبح كل همـه الاحـتـفـاظ بهـا والسـعى لاكـتـسـاب الصـفة التـمـثـيلية للفلسطينيين فى المجال الدولى ومنع أى عمل فلسطينى مستقل ينبع من أراضيه لأن ذلك من شأنه أن يعرض وحدته الإقليمية للخطر ويمكن أن يجلب رد فعل عسكرياً اسرائيلياً نتيجة عمل الفدائيين، أما حركة المقاومة الفلسطينية فقد أعلنت من جانبها أنهـا لاتتدخل فى الشئون الداخليـة للدول العربيـة وإنها لاتسـتهدف فصل الضفة الغربية عن الأردن، ولا التمييز بين الأردنى والفلسطينى ولاتسعى للحلول محل النظام الأردنى وإنما هدفها هو ابراز الشخصية الفلسطينية وتوجيه كل جهودها نحو تحرير فلسطين، غير أن المقاومة من ناحية أخرى قد خشيت فى هذه الفترة أن يتـوصل الأردن إلى صلح منفرد مع اسـرائيل لأن ذلك يعنى القـضـاء على المقـاومـة الفلسطنية وتصـفيـة مشكلة فلسطين، وفى خضم تناقض مـا بثتـه أجهـزة الاعلام الأردنيـة والفلسطنية كـان من الطبيـعى أن تظهر مـلامح انعدام وانهـيـار الثقـة بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية منذ أواخر عام ١٩٦٧.

ومن جهة أخرى فقد نفى رئيس وزراء الأردن فى مقابلة تليـفزيونيـة أذيعت فى بيروت فى ٣ نوفـمبر ١٩٦٧ الأنباء التى ترددت عن أن مفاوضات سرية قد جرت بين الأردن واسرائيل وأكد أن الأردن لن ينفرد بأى عمل معين وأنه متمسك بمقررات الخرطوم(١٢).

وقد أكد الملك حسـين هو الآخر هذا الموقف فى مقابلة اذاعـيـة فور وصـوله إلى الولايات المتـحـدة فى نفس هذه الفـتـرة حـيث أنكر أن يكون قـد بذل أية مـحـاولة للتفاوض مباشرة مع اسرائيل وأكد أن النزاع يجب أن يحسم فى الأمم المتحدة ولكنه قال أن العـرب مـسـتـعـدون للاعـتـراف بحق اسرائيل فى الوجـود وفى استـعـمـال قناة

السويس ومضائق تيران إذا ماحصلوا على شروط مناسبة ضمن تسوية للحرب الأخيرة.

أما لبنان فقد اتخذ مجلس الوزراء اللبنانى - على أثر اتهام الولايات المتحدة وبريطانيا باشتراكها فى العدوان - قراراً يطلب سحب سفيرى البلدين من لبنان واستدعاء سفيريه فيهما[١٣]، ثم أقرت الحكومة فى ٥ يوليو مقاطعة الشركات الأمريكية أى التى يثبت تعاملها مع اسرائيل ورفضت الانصياع لنظم المقاطعة العربية[١٤]، كما وأن الحكومة اللبنانية أعلنت موافقتها على موقف اطلاق النار فى الشرق الأوسط، وذلك فى مذكرة سلمت إلى مجلس الأمن فى ٣ أغسطس بعد ثمانية أسابيع من اقرار وقف اطلاق النار[١٥].

وعلى الصعيد الشعبى اللبنانى قررت رابطة نقابات عمال ومستخدمى البحر اللبنانية فى ٩ سبتمبر وقف مقاطعة البواخر الأمريكية والبريطانية استناداً إلى مقررات مؤتمر القمة العربى باستئناف ضخ النفط إلى البلدين[١٦]. وفى ٣ اكتوبر أكد مسئول لبنانى - رداً على مزاعم الاسرائيليين بأن مقداراً كبيراً من الطاقة المائية لنهر الليطانى تذهب هدراً فى البحر - وبأن لبنان يبذل جهداً لوضع مياه الليطانى اللبنانية مائة بالمائة فى خدمة الشعب اللبنانى[١٧].

وقد أكد البيان المشترك لمباحثات الرئيس اللبنانى مع الرئيس العراقى فى بغداد فى ٩ نوفمبر على ضرورة الاستمرار فى العمل على ضوء مقررات مؤتمر الخرطوم التى تشير إلى ضرورة التوصل إلى الحل السياسى والتى ترفض الصلح مع اسرائيل أو التفاوض معها والاعتراف بها[١٨].

كذلك فقد تغيرت ظروف عمل "فتح" وقوات العاصفة فى لبنان فى الفترة التالية لحرب يونيو، وهو تغير مرتبط بارتفاع اسهم العمل الفدائى فى العالم العربى، فعلى الصعيد الاعلامى اكتسبت "فتح" والمنظمات الفدائية الأخرى تعاطف وتأييد الحركة الوطنية اللبنانية ممثلة فى احزاب واتحادات شعبية وجمعيات نصرة الثورة

الفلسطينية، وقوى هذا وضع "فتح" داخل لبنان حيث أصبح يحمى ظهرها جزئياً من اجراءات السلطة ضد المقاومة، كذلك اصبحت قضية التواجد الفدائى فى لبنان تكاد تصل إلى حد الأمر الواقع الذى يتعذر مصادمته أو يجلب التعرض له مضاعفات داخلية خطيرة يمكن أن تهدد التوازن الطائفى الدقيق الذى يرتكز عليه الكيان اللبنانى.

الاعلام الغــربى : -

ا - الولايات المتحدة :

إن الولات المتحدة التى تعهدت منذ أوائل الخمسينات بضمان استقلال كافة دول المنطقة وسيادتها، لم تكن تعنى بهذه الدول - كما أثبتت الأحداث - سوى دولة واحدة هى اسرائيل، وإن كان "ايزنهاور" قد اضطر إلى اتخاذ موقف خاص بالنسبة لعدوان اسرائيل عام ١٩٥٦، فإن "جونسون" لم يحاول وضع هذه السياسة موضع التنفيذ، رغم تأكيده لها ضمن المبادىء الخمسة التى أعلنها يوم ٩ يونيو عام ١٩٦٧ باعتبارها المبادىء التى توجه سياسة الولايات المتحدة والذى ركزت عليه أجهزة الاعلام الامريكية والخاضعة فى معظمها لليهود الامريكيين .

وفى ١٩ يونيو وجه "جونسون" نداء لزعماء دول الشرق الأوسط قال فيه : "إن الولايات المتحدة - تلتزم بتأييد الاستقلال السياسى والوحدة الاقليمية لجميع دول المنطقة - كما انها تعارض بشدة العدوان بمختلف صوره فى المنطقة سواء كان عدواناً علنياً أو مستتراً. ولقد كانت هذه هى سياسة الولايات المتحدة التى انتهجها أربعة من رؤساء الجمهورية، هم الرئيس "ترومان" والرئيس "ايزنهاور" والرئيس "كنيدى" وأنا ....."(١٩).

ورغم هذه الأقوال التى أعلنها رئيس الولايات المتحدة آنئذ، فإن سير الأحداث، قد أكد بما لايقبل الجدل إنه لم يكن يعنى ما أعلنه. فهو لم يصر على حرمان المعتدى من ثمرة عدوانه، كما لم يرفض احتلال أرض الغير بالقوة المسلحة، ولم يتعرض

لانسحاب اسرائيل إلى حدودها التى كانت قائمة فى ٤ يونيو ١٩٦٧، بل على العكس من ذلك .. قد اتخذت السياسة الأمريكية وأجهزة الاعلام الامريكية برمتها موقفاً منحازاً لاسرائيل، فى المحافل الدولية، كما قبلت أن تتحول الولايات المتحدة إلى المورد الأول للسلاح للدولة التى شنت الحرب ورفضت نداءات السلام.

وكان من شأن هذا الموقف الامريكى المنحاز أن شجع اسرائيل على اطلاق - يدها حرة - فى التمسك بالأرض التى استولت عليها، وإعلان ضم مدينة القدس العربية إليها، ورفضها السماح لعشرات الآلاف من اللاجئين الجدد - الذين عبروا نهر الأردن تحت ضغط الاحتلال إلى الضفة الشرقية بالرجوع إلى ديارهم فى مدن وقرى الضفة الغربية وقطاع غزة، وهكذا شكلت السياسة الامريكية أفضل السياسات الملائمة لاسرائيل وهيأت لها المناخ المناسب للاصرار على العدوان، وربما كانت سياسة الولايات المتحدة نابعة من استراتيجية شاملة وظروف عامة ومخططات واسعة النطاق، غير أن هناك فى نفس الوقت اتجاه واضح من الولايات المتحدة لرفض حقائق الصراع وجذوره وأبعاده وكشف حقيقة اسرائيل كدولة صهيونية عدوانية توسعية، لذلك كله فإن دور الولايات المتحدة فى هذا الصراع - على حد قول أحد الباحثين الأمريكيين أنفسهم[٢٠] - إنما هو إهدار لمبدأ حقوق الشعوب فى الحرية الأساسية وتقرير المصير.

وعلى صعيد الأمم المتحدة، حالت الولايات المتحدة دون ادانة اسرائيل الإدانة الكافية والمناسبة نتيجة تصرفاتها فى الأراضى المحتلة أو انتهاكها لحرية أراضى الدول العربية المجاورة، كذلك وقفت الولايات المتحدة وراء التفسير الاسرائيلى لقرار مجلس الأمن حيث دعت إلى اتفاق العرب واسرائيل على سلام عادل وتعاقدى وملزم للجانبين وينفذ بحضور دولى يضمنه وينص على أن لكل دولة فى المنطقة حق أساسى فى العيش بسلام ضمن حدود آمنة ودائمة ومعترف بها تحترم السيادة والاستقلال السياسى ووحدة أراضى جميع دول الشرق الأوسط وتضمن معها أمن اسرائيل وجاراتها العربيات، وعلى القوات الاسرائيلية أن تنسحب من الأراضى التى

احتلت فى حرب عام ١٩٦٧، على أن يراعى بعض التعديلات الطفيفة على الخطوط السابقة لاغراض الأمن المتبادل ولكنها ليست انعكاساً لثقل النصر الاسرائيلى - وفى سبيل ذلك أيضاً يجب العمل على إقامة مناطق منزوعة السلاح وترتيبات أمن أخرى أكثر وثوقاً من تلك التى قامت فى المنطقة فى الماضى، "وعلى الفرقاء أن يستمروا فى التفاوض حول صلب المشكلة بواسطة دكتور "يارنج" إلى أن يستطيعوا الاتفاق على اللقاء مباشرة"(٢١). وفى كل ذلك فإن الانسحاب الاسرائيلى لن يتم قبل أن يوقع العرب تعهداً محدداً وملزماً وإنهاء حالة الحرب(٢٢)، بل أن وزارة الخارجية الامريكية دأبت على إعطاء السفارة الاسرائيلية فى واشنطن نسخاً من التقارير التى تتلقاها من السفارات الامريكية فى منطقة الشرق الأوسط والتى تعتبر إنها محل اهتمام السفارة الاسرائيلية كما أن تعيين وترقية موظفى وزارة الخارجية الأمريكية فى المناصب العليا المرتبطة بالسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط كان دائماً رهناً بموافقة الصهيونية وأجهزة إعلامها فى الولايات المتحدة(٢٣).

وهكذا بدى الترابط فى أبعاد العلاقات الأمريكية الاسرائيلية وبالتالى عدم استطاعة الولايات المتحدة تفهم وتقدير أمانى الشعب العربى الفلسطينى حتى حرب ١٩٦٧ ومابعدها، بل لقد نهجت الولايات المتحدة موقفاً معادياً على طول الخط للشعب الفلسطينى أو إنشاء قوات مسلحة نظامية أو فدائية من أبنائه، ومع تصاعد العمليات الفدائية فى الفترة التالية لحرب يونيو ١٩٦٧ قرر الرئيس "جونسون" حينئذ "أن مانحتاج إليه الآن هو حدود معترف بها وترتيبات أخرى تكون ضماناً ضد الارهاب والدمار".

كذلك فقد استمرت الحملة الصهيونية الدعائية فى الولايات المتحدة بعد حرب ١٩٦٧ تضرب على نغمة احياء فكرة الصراع الصليبى فى العصور الوسطى وإحياء الإيمان لدى قطاعات الرأى العام الامريكى بما لايدعى بنبؤة الكتاب المقدس وعودة اليهود إلى الأرض الموعودة واستغلال الشعور بالذنب وعقدة العداء للسامية(٢٤).

وفى تقدير منظمات المقاومة الفلسطينية وخاصة فتح[٢٥] إن الرأى العام الأمريكى تسيطر عليه أجهزة إعلام تخدم النفوذ الصهيونى، ولايمكنه إن يبرز كقوة فاعلة ومساندة للثورة الفلسطينية، إلا إذا أصبحت الثورة الفلسطينية فى توازن عسكري مع دولة اسرائيل.

اقترحت أجهزة الاعلام فى الولايات المتحدة توطين اللاجئين الفلسطينيين حيث هم - مع تعويض مادى - أو اعادتهم إلى وطنهم وفقاً لرغباتهم لكن بإشراف جهاز مراقبة يقبله الفرقاء المعنيون فى النزاع[٢٦]. وذلك لأنه "لن يكون هناك سلام لأى جهة فى الشرق الأوسط مالم تعالج هذه المشكلة بجهد جديد من جانب الجميع وخاصة أولئك الذين تهمهم بشكل مباشر وعلى أساس إنصاف اللاجئين[٢٧] وبالنسبة لقطاع غزة فإن "الولايات المتحدة لاتضع أية مقترحات رسمية لكنها ستدرس بعطف ربط القطاع بالأردن عبر ممر[٢٨]" وترى الولايات المتحدة أن القدس "يجب أن تكون موحدة لاتوجد فيها قيود على تحركات الاشخاص والسلع، ويجب أن يكون الوصول إلى المدينة الموحدة متاحاً للأشخاص من جميع المعتقدات ... ويجب أن تكون هناك ادوار تقوم بها اسرائيل والأردن فى الحياة المدنية والاقتصادية والدينية للمدينة..."[٢٩]

٢- بريطانيا

تظاهرت الدبلوماسية البريطانية بأن العدوان الاسرائيلى قد سبب لها احراجاً متزايداً تجاه طرفى النزاع، إلا إنه فى الواقع زاد من صعوبات بريطانيا، خاصة بعد اتهام الدول العربية لبريطانيا وأمريكا بالتواطؤ مع اسرائيل فى عدوانها المفاجئ صبيحة ٥ يونيو وإقدام معظم الدول العربية على قطع علاقاتها الدبلوماسية ببريطانيا ووقف شحن البترول إليها.

وفى مجلس العموم وصف "ولسون" فى ٦ يونيو الاتهامات العربية بأنها "افتراء مضلل" وقال إن هاجس بريطانيا "ليس الانحياز بل تأمين حل سلمى لمشاكل المنطقة وأعلن وقف شحن الأسلحة للمنطقة[٣٠]. وقد عكس قرار الحكومة البريطانية فى ٥

يونيو بعدم "الانحياز" فى القتال والدعوة لوقف اطلاق النار شبه اجماع فى الرأى داخل مجلس العموم البريطانى، رغم أن مجلة "الأيكونومست" قد أكدت أن رغبة وقف اطلاق النار بدت مخلصة يومى ٥، ٦ يونيو إلا أنها بدأت "بالاضمحلال" لدى مؤيدى اسرائيل فى ٧، ٨ يونيو وكان موقف مؤيدى اسرائيل تحبيذ وقف اطلاق النار ولكن بغير الحاح، بعد تأكدهم من انتصار اسرائيل(٣١).

وعموماً فإن ميل بريطانيا إلى جانب اسرائيل قد دعمته الضغوط اليهودية الصهيونية الداخلية(٣٢) إذ يبلغ عدد اليهود فى بريطانيا حوالى ٤٥٠ ألف يهودى أى نحو ١٪ من مجموع السكان يتمركزون فى لندن وضواحيها والمواقع الاقتصادية الهامة ولهم نفوذ سياسى مرتفع، ففى مجلس العموم يبلغ عدد الأعضاء اليهود - وقتئذ - ٣٧ عضواً وهى نسبة تمثل عشرة أضعاف نسبة تعدادهم فى بريطانيا، هذا بالاضافة إلى ١٣ عضواً يهودياً فى مجلس اللوردات يحملون ألقاب النبلاء.

وقد تكونت فى اعقاب حرب ١٩٦٧ كتلة برلمانية داخل مجلس العموم تتكون من النواب اليهود بالإضافة إلى ٥٠ عضواً من غير اليهود ولكنهم متعاطفون مع اسرائيل، وقد تزعم هذه الكتلة النائب اليهودى العمالى "سيلكنز" آمر انضباط (Whip) حزب العمال، وهى تضم أيضاً مجموعة من النواب اليهود الممثلين لحزب المحافظين وتزعمها "اوبلمان" وهو آمر انضباط (Whip) حزب المحافظين وقد انحصرت جهود هذه الكتلة البرلمانية فى العمل لصالح اسرائيل بكل الوسائل ووقف أى ميل بريطانى متعاطف مع الجانب العربى فى النزاع مع اسرائيل(٣٣).

وفى مقال تحليلى للتيارات المؤيدة والمناهضة لاسرائيل داخل مجلس العموم، أكدت "الأيكونومست" إن اكثرية النواب البريطانيين تؤيد "دونما ريب" اسرائيل، رغم إن هذا التأييد تتروح حرارته بين الالتزام الكامل من قبل النواب المؤيدين للصهيونية - وأكثرهم من أعضاء حزب العمال اليهود - وبين العداء التام لعبد الناصر لدى اكثرية النواب المحافظين - وهو العداء المترسب منذ حملة السويس عام

١٩٥٦[٣٤]، وأكدت الإيكونومست أيضا أنه رغم إن مشاعر التعاطف مع العرب أو الأسرائيليين تتعدى الحدود الحزبية داخل مجلس العموم فى حزب العمال كان النواب المؤيدون لعبدالناصر باعتباره يسارساً، أكثر من النواب المؤيدين للعرب، وكانت هناك قلة من النواب المناوئين لاسرائيل، إلا أنهم كانوا يفضلون عدم وقوع الحرب، ومن جهة أخرى، لم توجد أى صلة بين القلة المؤيدة للعرب داخل حزب المحافظين وزملائهم فى حزب العمال، وكانت هذه القلة المحافظة أميل لتأييد العرب ومناهضة اسرائيل وعبدالناصر معاً - مما وضعها فى موقف حرج.

وقد أدخل النصر العسكرى الاسرائيلى - على وجه العموم - عاملين جديدين على الدبلوماسية البريطانية أديا إلى اعادة تقييم موقف بريطانيا تجاه الشرق الأوسط، من خلال رؤية أوضح لابعاد النزاع العربى الاسرائيلى، وهذان العاملان هما: عامل بروز تخوف جدى على المصالح البريطانية المالية والتجارية والبترولية فى العالم العربى وعامل زوال التخوف المصطنع على مصير "الوجود" الاسرائيلى فى الشرق الأوسط وهذا العامل الأخير قد أزال أحد المبررات الأساسية التى تروج لها الصهيونية فى استدرار عطف بعض الجهات السياسية فى الغرب، وقد ظهر أثر زوال هذه المخاوف المصطنعة فى التبدل الملحوظ فى لهجة الصحف البريطانية بعد العدوان الاسرائيلى، إذ اتخذت اكثر صحف "النوعية" - أمثال "الاويزرفر" و "الايكونومست"، و "التايمز" موقف نصح من اسرائيل ودعت "للاعتدال" و "التسامح" وحتى جريدة "الجارديان" المعروفة بميولها الصهيونية نصحت اسرائيل بعدم التفريط بروح الاعتدال سعياً وراء "مكاسب استراتيجية آنية" عوضاً عن مكاسب سياسية للمدى الطويل[٣٥].

غير أن دلائل الدهاء والحسابات الدقيقة البريطانية فى وقت الأزمات تجسدت فى صياغة قرار مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ من حيث الغموض الدبلوماسى لتعبيراته وهو الغموض الذى ساعد بريطانيا على إيجاد اجماع من المنظمة الدولية على القرار، وساهم، بالتالى، فى تعريض القرار لاجتهادات الدول المعنية به .

وبعد أسبوع من تبنى مجلس الأمن لمشروع القرار البريطانى، وربما لتهدئة الانتقادات العربية للقرار، أعلن وزير الدولة فى وزارة الخارجية البريطانية، "جورنوى روبرتس" (GORONWY ROBERTS) فى مجلس العموم أن بريطانيا لاتعترف بالقدس عاصمة لاسرائيل ولا بالقدس العربية جزءا من الأراضى التى تشملها السيادة الاسرائيلية وأكد أن سفارة المملكة المتحدة فى اسرائيل "لن تنقل إلى القدس إلى أن تتم تسوية فى الشرق الأوسط[٣٦]".

ومن جهة أخرى، وانسجاماً مع تقاليد الدبلوماسية البريطانية، أوفدت الحكومة البريطانية رئيس مجلس العموم، "ريتشارد كروسمان" (Richard Crossman) إلى اسرائيل للمشاركة بالاحتفالات الرسمية بمناسبة مرور خمسين عاماً على وعد بلفور، وبهذه المناسبة أعلن كروسمان إن التسوية الوحيدة لازمة الشرق الأوسط هى تسوية "يجرى التفاوض بشأنها بحرية بين العرب واليهود[٣٧]" ولم توضح الحكومة البريطانية إلى أى مدى يعكس هذا التصريح البريطانى الرسمى.

وفيما يختص بالمقاومة الفلسطينية فإن بريطانيا الملتزمة بقرار مجلس الأمن لم تقبل بوجود المقاومة الفلسطينية، ولم تقر أمانيها الساعية إلى تحطيم الكيان الاسرائيلى الصهيونى، لأن هذا من شأنه إن يخلق حالة من التوتر والقلق وعدم الاستقرار فى الشرق الأوسط ويعرض للخطر حياة دولة هى ملتزمة بالحفاظ على حقها فى البقاء ومتعهدة بحمايتها.

ورغم عدم الموافقة المبدئية من جانب بريطانيا على وجود وأمانى حركة المقاومة الفلسطينية، فقد سمحت لها بافتتاح مكتب اعلامى فى لندن - فيما بعد - إلا أنها لم تلجأ إلى مهاجمتها أو انتقادها فى أحوال كثيرة وبصورة عنيفة كما فعلت الولايات المتحدة، ولكنها سعت للحفاظ على الشعور العربى العام المؤيد للمقاومة بغية الحفاظ على مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية ونفوذها التقليدى فى الوطن العربى لادراكها بانه لايمكن احلال التسوية السلمية دون رضاء ومشاركة الفلسطينين.

ولم تقم اتصالات بين "فتح" وكل من الحكومة أو الأحزاب البريطانية لأن تلك الاحزاب تنهج كخط عام تأييد اسرائيل، ولكن بريطانيا سمحت لبعض العناصر المؤيدة للعرب من نواب وكتاب وصحفيين بالدعاية للقضية العربية ومن بينها مشاكل اللاجئين والمقاومة والأوضاع فى الأرض المحتلة والقدس وهم ينتظمون فى تجمعات عدة أبرزها : لجنة الشرق الأوسط، صحيفة العدالة فى الشرق الأوسط - لجنة العمال فى الشرق الأوسط، مجلس تنمية التفاهم البريطانى - العربى، لجنة القدس ، الاحرار من أجل فلسطين(٣٨).

وكانت هناك جماعات مؤيدة تماماً لفتح والمقاومة أبرزها: الاتحاد العام لطلبة فلسطين، الاتحاد العام للطلبة العرب، جماعة القزم الأسود، اتحاد العمال الهنود فى بريطانيا، اتحاد العمال الباكستانيين فى بريطانيا، رابطة الطلاب الاشتراكيين، غير انها كانت تجمعات صغيرة ومحدودة التأثير قامت فى وقت لاحق على عام ١٩٦٧(٣٩).

٣ - فرنسا

عقد مجلس الوزراء الفرنسى فى ١٥ يونيو ١٩٦٧ جلسة برئاسة ديجول صدر على أثرها بيان أعاد تأكيد الموقف الفرنسى الرسمى الحيادى لفرنسا ورفضها لأية مكاسب اقيمية عن طريق العدوان المسلح، وأعلن أن فرنسا لن تعترف بأى "أمر واقع" اقليمى ناتج عن الحرب فى الشرق الأوسط، وأن تسوية "يجرى التفاوض بشأنها بحرية وتقبل من جميع الأطراف المعنية وتقر من الأسرة الدولية". هى الكفيلة بحل جميع المشاكل العالمية(٤٠).

ولم يخل الموقف الفرنسى الرسمى، برغم حياده الظاهر، من صعوبات داخلية أثارتها الضغوط الصهيونية المتنوعة حتى أصبحت أزمة الشرق الأوسط، لفترة غير قصيرة، إحدى أهم المشاكل "الداخلية" فى فرنسا. وقد ظهر استفتاء أجرته "مؤسسة الرأى العام" الفرنسية خلال الأزمة حيث أجاب ٥٨٪ من الفرنسيين بأنهم

"يتعاطفون" مع اسرائيل، مقابل ٢٪ فقط يتعاطفون مع العرب، ولم يخل هذا الاستفتاء من التناقض إذ أظهر فى نفس الوقت أن شعبية "ديجول" ارتفعت بعد إعلانه حياد فرنسا، وهو حياد تعرض لانتقادات من جانب اسرائيل[٤١].

وعموماً، فإن فرنسا ظلت من أكثر الدول الغربية تفهما لوجهة النظر العربية فى سبيل إيجاد حل لمشكلة فلسطين والنزاع العربى الاسرائيلى فى فترة مابعد يونيو ١٩٦٧، ولاتقتصر أهمية هذا الموقف على حدود فرنسا ذاتها، بل إنه امتد بتأثيراته إلى كثير من دول السوق الأوربية المشتركة وبدرجات مختلفة، وهى دول تضررت مصالحها بشكل واضح ومباشر نتيجة اغلاق قناة السويس ويهمها الحفاظ على امدادات البترول العربية إليها.

وعلى أثر التأكيدات الفرنسية المتلاحقة لموقفها اللا انحيازى من النزاع العربى الاسرائيلى، صعد أشكول موقف الشعب الاسرائيلى الرسمى إلى مستوى الانتقاد الصريح للموقف الفرنسى، فيما أصبح بداية حوار اسرائيلى فرنسى غير مباشر استمر بصورة متقطعة حتى نهاية عام ١٩٦٧ وتركز بصورة خاصة حول الحظر الفرنسى على شحن طائرات الميراج لاسرائيل.

وقد ردت الحكومة الفرنسية على الحملة الاسرائيلية بتأكيدات جديدة لموقفها اللا انحيازى وجاء الرد المباشر من الرئيس ديجول نفسه فى خطاب ألقاه فى التليفزيون الفرنسى فى ١٠ أغسطس وأعلن فيه أن سياسة فرنسا الخارجية تعمل فى سبيل التقدم والسلام المبنيين على حرية العمل خارج الكتلتين الكبيرتين، وكرر ديجول، بالمناسبة، ادانته للعدوان الاسرائيلى فى حرب يونيو [٤٢]. ومن جهة أخرى قابل هذا الفتور فى العلاقات الفرنسية الاسرائيلية تطور ملموس فى العلاقات الاقتصادية الفرنسية العربية وخاصة فى مجالات الاستثمارات النفطية والتبادل التجارى، وقد وافقت الحكومة الفرنسية أيضا على تقديم تسهيلات أئتمانية لمصر قيمتها ٥٥ مليون فرنك وفى المساهمة فى إنشاء مؤسسة للدراسات البترولية وعلى توسيع شبكة

مدارس الليسية فى مصر، وبالمثل قدمت فرنسا للبنان قروضاً قيمتها ١٢٦ مليون فرنك لتمويل مشاريع صحية وتطوير وسائل المواصلات[٤٣]، وأيضا حصلت العراق على قرض قيمته ثلاثة ملايين دينار لتغطية لتغطية جزء من نفقات مد خطين لأنابيب الغاز من كركوك إلى بغداد تقوم إحدى الشركات الفرنسية بانشائهما[٤٤].

وبعد إن وافقت فرنسا على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ حدد الجنرال ديجول فى مؤتمره الصحفى الشهير بتاريخ ٢٧ / ١١ / ١٩٦٧ محور السياسة الفرنسية فيما يختص بأزمة الشرق الأوسط، فلقد قال ديجول أن أى حل لمشكلة الشرق الأوسط يجب التوصل إليه دولياً وأن يرتكز على مبدأ الجلاء عن الأراضى المحتلة بالقوة وعلى إنهاء حالة الحرب واعتراف جميع الدول المعنية ببعضها البعض وقال أن على الأمم المتحدة مدعومة بالدول الأربع الكبرى أن تضمن بقواتها الخاصة خطوطاً واضحة للحدود ونظاماً لحرية الملاحة لجميع البواخر فى خليج العقبة وقناة السويس، وقد ربط ديجول أى اتفاق أو تسوية للأزمة بحرب فيتنام والحرب الدائرة بين المعسكرين بقيادة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى.

لقد اعتبرت السياسة الفرنسية إن الحل الحقيقى للأزمة لايمكن التوصل إليه إلا من خلال اتفاق الدول الكبرى لأن أزمة المنطقة جزء من الأزمة الأشمل بين السوفيت والأمريكيين بشكل خاص، ولكن اسرائيل عارضت بشدة هذا الاتجاه على اعتبار أنه حل خارج عن ارادة دول المنطقة ولايشركها فى حل النزاع، أى إنه يرفض مبدأ المفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل والذى تصر عليه اسرائيل[٤٥].

وأما بخصوص المقاومة الفلسطينية فإن الحكومة الفرنسية سمحت لمنظمة التحرير الفلسطينية بافتتاح مكتب لها فى باريس فيما بعد، ولكنه تصرف لايعنى الاعتراف بحركة المقاومة الفلسطينية أو بفتح وشرعية عملها ضد اسرائيل. وهى وإن كانت تنقد اعمال اسرائيل فى المناطق المحتلة واجراءات ضمها لمدينة القدس وحثها على الانسحاب من الأراضى التى استولت عليها بعد عام ١٩٦٧ إلا أن فرنسا فى نهاية

الأمر أصرت على ضرورة الحفاظ على اسرائيل كحقيقة واقعة، ويمكن تلمس بعض العطف أو تبرير أعمال فتح والمقاومة الفلسطينية فى كلمات ديجول ١٩٦٧/١١/٢٧ حيث قال: (والآن تنظم اسرائيل والاحتلال فى الأراضى التى استولت عليها وهذا الاحتلال لايمكن أن يتم دون ضغط وتنكيل وطرد ، مما يؤدى إلى المقاومة التى تسميها اسرائيل ارهابا)[٤٦].

وقد أثار ديجول بذلك ضجة ذات أبعاد دولية، وهزت ملاحظاته - عن تعبيرات اليهود - "العام القادم فى القدس" وبروز دولة اسرائيل والمصممة على العدوان التوسع - وقد أقلقت هذه الملاحظات الطمأنينة الصهيونية فى فرنسا وأوروبا بصفة عامة وقسمت الرأى العام اليهودى بالنسبة لمواجهة التساؤلات التى أثارها، كما فاجأ عنف الشجب الديجولى لتصرفات اسرائيل الرأى العام الاسرائيلى الرسمى والشعبى على السواء وكذا الرأى العام الفرنسى والعالمى خاصة وقد اتهم الرئيس الفرنسى اسرائيل للمرة الأولى علنا بالعدوان المتعمد على الدول العربية[٤٧].

ومع أن النفوذ الصهيونى فى التأثير على الحياة السياسية الفرنسية من تأييد معظم الاحزاب، إلى مناصرة الصحافة ووسائل الاعلام الجماهيرى، إلى تعاطف مايقرب من نصف مليون يهودى فرنسى مع اسرائيل، إلى تكوين جمعيات خاصة بالنفوذ الصهيونى أهمها "هيئة مناهضة العنصرية واللاسامية والدعوة إلى السلام، وأيضا "العصبية الدولية ضد اللاسامية"، ومع كل هذا فقد حدثت تحولات فى الرأى العام الفرنسى لصالح المقاومة الفلسطينية المسلحة والقضية الفلسطينية وهو ما يستدعى وقفه للتفسير والتحليل ، فقد تكونت فى الفترة التالية ليونيو ١٩٦٧ لجنة نصرة الثورة الفلسطينية والثورات العربية ، واتخذت موقفاً داعياً إلى دعم الكفاح الفلسطينى ورفض جميع الحلول "الاستسلامية" (أى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧) وذلك من وجهة النظر هذه ، وظهرت فى نفس الفترة تقريباً" مجموعة الابحاث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية وهى عبارة عن تجمع لشخصيات ذات آفاق سياسية مختلفة (من الديجوليين إلى الشيوعيين مروراً

بالديموقراطيين المسيحيين ومختلف فئات اليسار). وكان دافع اللقاء هو رفض "المفهوم" الصهيونى للتاريخ وإدانة العدوان ومحاولة إيجاد حل عادل لمشكلة فلسطين يرتكز على "إزالة آثار العدوان" مع الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطينى وقد تزعم هذه المجموعة "ماكسيم رودنسون" وهو كاتب فرنسى من أصل يهودى ومستشرق مهتم بقضايا الشرق الأوسط وقد أعلن مراراً عن رغبته فى الالتزام بالموضوعية فى دراسة مشاكل المنطقة دون التحيز لاسرائيل وقد عرف عنه اشتراكه فى ندوات عديدة عن الشرق الأوسط حاول خلالها التقريب بين وجهات نظر كل من اليهود والعرب بصفة عامة والفلسطينيين بصفة خاصة وتميزت كتاباته بالطابع الفلسفى العميق المستند إلى الوثائق والاحداث التاريخية ولاسيما مؤلفه القيم : اسرائيل والرفض العربى (٤٨).

وقد أيد الحزب الشيوعى الفرنسى "مكسيم رودنسون" و "وجاك بيرك" و "ريمى بلاشيرا" وبعد ذلك بأشهر تكونت "رابطة التضامن الفرنسى - العربى" وهى ذات طابع رسمى وأهداف هذه الرابطة هى :تدعيم تضامن الفرنسيين تجاه ضحايا صراع الشرق الأدنى وخاصة اللاجئيين الفلسطنيين ضد العنصرية الموجهة ضد العرب، وإعطاء الرأى العام الفرنسى معلومات أفضل عن أوضاع وتطور الشعوب العربية(٤٩)، كذلك أعلن المسيو روشيه ROCHET السكرتير العام للحزب الشيوعى الفرنسى فى ٢١ / ١١ / ١٩٦٧ "اننا نقف بجانب الشعوب العربية التى تحارب لأجل الاعتراف بحقوقها القومية، ونحن نؤيد حلا سلمياً فى الشرق الأوسط، حلا يدعو إلى انسحاب القوات الاسرائلية إلى المواقع التى كانت فيها قبل يونيو الماضى، كما نؤيد الاعتراف بحق اسرائيل فى البقاء وتؤيد الحقوق الوطنية المشروعة للفلسطينيين العرب(٤٩).

٤ - ألمانيا الغربية :

يكاد يقوم بين منظمة فتح خاصة وبعض الأوضاع القائمة فى ألمانيا الغربية نوع من العلاقة الخاصة، وهذه الخصوصية ليست نتاج الاتصال مع حكومة ألمانيا الغربية، بل هى نتيجة وجود تجمعات لا بأس بها من الفلسطينيين هناك وتأثير ذلك على نشاطاتها، فقد التحق "ياسر عرفات" بجامعة شتتوجارت وسرعان ماذاع صيته بين الطلبة العرب، وفى أواخر الخمسينات أسس "ياسر عرفات" و "هانى الحسن" و "خليل الوزير" منظمة فتح وشاركهم زملاء آخرون فى شتتوجارت وفى جامعات أخرى فى ألمانيا والنمسا، وأخذوا يشرحون بالتفصيل مبادىء وعقائد حركة فتح وكان هدفهم الأول هو تحرير فلسطين وكانت المشاكل العربية الأخرى تعتبر هدفا ثانوياً وقرروا أن على الفلسطينيين أنفسهم أن يحاربوا لتحرير وطنهم[٥٠].

وقد وجهت ألمانيا الغربية منذ البداية عناية خاصة لعلاقاتها مع اسرائيل وذلك تحت ضغط معاناتها من عقدة الذنب تجاه معاملة النازية لليهود ونتيجة ضغوط الولايات المتحدة عليها، ونتيجة ضغط رجال المال اليهود فى العالم عليها وتجاوباً مع ذلك فقد قامت ألمانيا الغربية بتقديم معونات وقروض اقتصادية هائلة لاسرائيل بالاضافة إلى التعويض الفردى والجماعى، وكان لهذا دور هام فى بناء وتدعيم اقتصاد وكيان اسرائيل[٥١].

كذلك قامت ألمانيا الغربية بتقديم مساعدات عسكرية لاسرائيل[٥٢]، ذو تكليف من الولات المتحدة تولت ألمانيا الغربية توريد الأسلحة لاسرائيل إلى أن انكشف دورها فتوقفت عن ذلك عام ١٩٦٥ ولكن مختلف المعدات وصور العون العسكرى لم تتوقف، فقبل نشوب حرب يونيو ١٩٦٧ تلقت اسرائيل شحنة كبيرة من الكمامات الألمانية الواقية من الغازات، بل يقال أن بعض القيادات العسكرية الألمانية شاركت بالمشورة فى وضع خطة الهجوم الاسرائيلى الصاعق على البلاد العربية فى يونيو ١٩٦٧ وعادت اسرائيل بعد يونيو ١٩٦٧ تتلقى شحنات أسلحة من ألمانيا الغربية[٥٣].

وعلى الصعيد السياسى أعلنت ألمانيا الغربية إنها تؤيد تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧، ولكنها حاولت الحذر وتغليف موقفها هذا، فلم تتدخل بتفصيلات أو مقترحات حول سبل تطبيق القرار المذكور. وفى مناسبات قليلة، أوضحت أنها تؤيد التفاوض بين الأطراف المعنية بأزمة الشرق الأوسط .

وبصفة عامة فقد وقف الرأى العام الألمانى موقفاً مؤيداً لاسرائيل، غير أنه بعد عدوان ١٩٦٧ طرأ بعض التطور والتحول فى الرأى العام الألمانى ممثلاً فى الاحزاب السياسية والنقابات العمالية والتجمعات الكنسية وجزء صغير من الحركة الطلابية - نحو تفهم اكثر لوجهة النظر الفلسطينية والعربية فى النزاع العربى الاسرائيلى(٥٤).

أما المقاومة الفلسطينية وخاصة فتح فإنها أقامت معظم اتصالاتها مع قطاع الشباب الألمانى حيث تلقت تأييداً قوياً بين الجزء الأكبر من الحركة الطلابية الألمانية التى ضمت عناصر يسارية وأيضاً يمينية والتى ترى أن اسرائيل بلداً ذو أهداف توسعية وإن فى البلاد العربية قوى تقدمية.

كذلك تمتعت فتح بظروف فى ألمانيا الغربية حيث يوجد نحو عشرين ألف عامل عربى، ١٦ ألفاً من الطلبة العرب(٥٥)، ومن بين هؤلاء نسبة لابأس بها من الفلسطينيين يضمهم فرع للاتحاد العام لعمال فلسطين وفرع آخر للاتحاد العام لطلبة فلسطين وهؤلاء العمال والطلبة على إلمام بطبيعة العقلية الألمانية واسلوب التعامل وسبل التأثير والدعاية الإعلامية والسياسية واكتساب النفوذ.

كذلك فلقد كان لاتحاد العمال والطلبة الفلسطينيين فى ألمانيا دور هام فى المساهمة المالية والتطوع للعمل العسكرى والسياسى حين باشرت فتح عملياتها العسكرية .

وبصفة عامة بقيت العناصر الفلسطينية التى أتت من ألمانيا الغربية من أفضل العناصر التى شاركت فى عمل فتح وظل اتحادى العمال والطلبة الفلسطينيين والاتحادات العربية من أهم القوى الثورية المساعدة لحركة المقاومة الفلسطينية فى ألمانيا الغربية قبل وبعد ١٩٦٧.

٥ - الإتحاد السوفيتى السابق ودول أوربا الشرقية

على أثر حرب يونيو، وفى جو النكسة العسكرية العربية، اطلقت موسكو دعوتها لإيجاد "حل سلمى" للنزاع العربى الاسرائيلى ذلك فى وقت كان فيه بعض الزعماء العرب يدعون إلى مواصلة النضال المسلح ضد اسرائيل - وقد اعتبرت بعض الأوساط العربية الدعوة السوفيتية فى هذه الفترة دون مستوى الاحداث فى الشرق الأوسط واستمراراً لتراجع سوفيتى بدأ قبل نشوب الحرب - وربما كان أحد عوامل نشجيعها، بالنسبة للتقويم الاستراتيجى الاسرائيلى - وظهر فى الضغوط السوفيتية على العرب، التى كشفها عبدالناصر فى خطابه فى ٩ يونيو للاحجام عن أى عمل عسكرى ضد اسرائيل.

ثم تبع هذه المرحلة من التفاوت فى مواقف الدول العربية بين بعضها البعض من جهة، وبينها وبين الاتحاد السوفيتى السابق من جهة أخرى، عملية جلاء للعلاقات العربية السوفيتية مابعد النكسة. بدأت هذه المرحلة، من الجانب العربى، بتنسيق أولى للموقف العربى عن طريق الاتصالات المستمرة بين الزعماء العرب طيلة النصف الثانى من يونيو، وفى مؤتمر قمة مصغر عقد فى القاهرة فى أواسط يوليو. ومن الجانب السوفيتى بدأ هذه العملية بتجميع الصف الشيوعى فى أوروبا الشرقية وتدعيم الموقف السوفيتى من الأزمة بشبه اجماع من دول الكتلة الشرقية.

وقد كان أول اتصال عربى سوفيتى ضمن نطاق عملية جلاء العلاقات بين الجانبين أثر الحرب مباشرة، وقام بهام الرئيس الجزائرى "هوارى بومدين" - أحد زعماء الدعوة لاستمرار النضال المسلح ضد اسرائيل - فسافر إلى موسكو فى ١٢ يونيو وسط تقول بأنه حضر للتعرف موقف موسكو من الوضع الذى تلا الحرب فى الشرق الأوسط.

واستمراراً لمساعى تقريب وجهات النظر بين الجانبيين العربى والشيوعى وصل "بودجورنى" إلى القاهرة فى ٢١ يونيو على رأس وفد سوفيتى رسمى، ولم يكن

هناك مفر أن يعتبر السوفيت هزيمة مصر هزيمة أليمة لهم أيضا، وتذكر إحدى الدراسات(٥٦)، إن عبدالناصر قد شجع هذا الاتجاه لديهم لأنه كان يرى أن من شأن مثل هذا الاعتقاد أن يزيد ارتباطهم بأزمة الشرق الأوسط وتطوراتها، وتلك كانت الطريقة الوحيدة التى يمكن بها مواجهة التفوق الأمريكى فى تلك المنطقة.

على أن زيارة "بودجورنى" لم تسر سيراً حسناً، فقد كان السوفيت من ناحية غاضبين فى طبيعة الحال لأن بعض أحدث أنواع أسلحتهم وقعت فى أيدى الاسرائيليين وسلمت إلى الأمريكيين، وكانوا كذلك يرون أن مطالب المصريين من الأسلحة الجديدة مبالغ فيها. وكانت القيادة المصرية من جانبها قد شكت من أن مدى الطائرات "الميج" و "السوخوى" الموجودة لديها محدودة جواً، وطلبت طائرة مقاتلة - قاذفة بعيدة المدى. وقد دافع "بودجورنى" عن طائرات "الميج" و "السخوى"، وعندئذ قال عبدالناصر "حسناً جداً إذن .. إنى مستعد فى هذه المرحلة الدفاعية الأولى أن أترك الدفاع الجوى كله عن مصر للاتحاد السوفيتى".

كذلك كان هناك بعض سوء الفهم بالنسبة إلى مطالب السوفيت الخاصة بمنحهم تسهيلات لأسطولهم. ولقد بدأ "يودجورنى" بأن طالب بمركز قيادة فى الإسكندرية للسفن السوفيتية فى البحر الأبيض المتوسط، وجاء مطلبه هذا متفقاً مع تفكير عبدالناصر الذى كان قد توصل إلى أن تعزيز الوجود البحرى السوفيتى فى البحر المتوسط هو فى مصلحة عالم عدم الانحياز كله. وكان يأمل فى إمكان الوصل إلى نوع من التكافؤ بين الأسطول السوفيتى والاسطول السادس يضع بنهايته للبحر الأبيض المتوسط كبحيرة أمريكية.

وفى اجتماع ثان طالب "بودجرنى" بمركز قيادة وورشة اصلاح للسفن فى الاسكندرية، ثم اقترح أن يتولى رجال البحرية السوفيتية حراستها، وبعد ذلك اقترح لضمان الأمن أن تسلم هذه المنطقة كلها - مركز القيادة وورشة الإصلاح، ومساكن الحرس إلى الروس، وبينما ذلك كله مطروح للمناقشة تساءل "بودجورنى" فى اجتماع

آخر عما إذا كان يمكن السماح برفع العلم السوفيتي على المناطق التي ستحدد لهم. وعند هذه النقطة توقف عبدالناصر عن المناقشة وقال غاضباً: "هذا استعمار بالفعل .. معنى ذلك أننا سنعطيكم قاعدة" وهنا تراجع "بودجورنى" قائلاً إنه لم يكن يقصد ذلك، وإن القصد كله كان حرية العمل لمساعدة مصر.

والحقيقة - كما ترى هذه الدراسة - (٥٧) إن عبدالناصر كان يتبع سياستين متناقضتين. كان يحاول أن يجعل الروس يرون فى هزيمة مصر هزيمة لهم، ويعمل على زيادة عونهم لها إلى درجة السماح لهم بأن يتولوا مؤقتاً على الأقل مهمة الدفاع الجوى عنها. لكنه كان فى الوقت نفسه يقول لهم : "لاقاعدة .. ولاعلم أحمر".

وفى اجتماع آخر بين "عبدالناصر" والماريشال "زخاروف" الذى جاء مع "بودجورنى" وألقيت عليه مسئولية كل جوانب المعونة الروسية فى إعادة بناء القوات المسلحة المصرية، قال "زخاروف" لعبدالناصر: إنه إذا كان يريد نتائج سريعة - وكان الجميع لايزالون يعتقدون باحتمال أستئناف القتال من جانب اسرائيل - فان الحاجة تستدعى مزيداً من مستشارى التدريب الروس زيادة على بضع المئات من الموجودين حالياً لديه. ورد عبدالناصر بانه مستعد لقبول عدد من المستشارين يصل إلى مستوى اللواء. وهكذا أصبح لكل قائد لواء مستشار سوفيتى معين له، وكان عددهم قد بلغ حينذاك ١٥٠٠ مستشار. وكان لابد من أن يصبح هؤلاء المستشارون الأجانب مصدر بعض الاحتكاك، لكن عبدالناصر أصر على ألا يسمح لأى أمر يتعلق بالكرامة أو الكبرياء بالتدخل فى أعمالهم وكان يقول أن على المصريين أن يتعلموا(٥٨).

وهناك بعض الآراء الضمنية (٥٩) الأخرى التى ترى أن حرب ١٩٦٧ قد أدت إلى هزيمة مصر وسوريا فحسب بل أيضا إلى هزيمة السياسة السوفيتية، وقد خرج السوفيت منها باتجاه دولى جديد بالنسبة للمنطقة وهو العمل على عدم الوصول بأى

مشكلة إلى إعلان حالة الحرب لأن أى حرب جانبية بين الدول العربية أو حرب محلية يمكن أن تؤدى إلى حرب مع اسرائيل، واسرائيل هى الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتى حريص على ألا يواجه حرباً مع الولايات المتحدة حتى لوبدأت بحرب فى سيناء والجولان.

وتستطرد هذه الآراء فتذكر أن مصر استسلمت استسلاماً كاملاً للسوفيت بعد هزيمة عام ١٩٦٧ معتمدة عليهم فى استعادة القدوة على رد الهزيمة، والذى يراجع جداول المعاملة بين مصر والاتحاد السوفيتى يجد فرقاً بينها قبل عام ١٩٦٧ وبعد عام ١٩٦٧ وإلى حد وصلت إلى عرض قيادة القوات الجوية المصرية وقيادة الدفاع الجوى ليتولاها قادة سوفيت وإلى حد أن اصبحت فى مصر مواقع عسكرية مقفلة على السوفيت[٦٠].

وإلى جانب زيارة "بودجورنى" للقاهرة ثم تكملة جولته العربية بزيارة سوريا والعراق، فإن الاتحاد السوفييتى السابق ومعه دول أوروبا الشرقية قد بادروا إلى عقد عدة مؤتمرات لبحث الأزمة والعدوان الاسرائيلى على الدول العربية وقد أسفرت هذه المؤتمرات عن قطع العلاقات الدبلوماسية بين تلك الدول باستثناء رومانيا - واسرائيل فى ١٠ / ٦ / ١٩٦٧، وما هو يستدعى تفسير موقف رومانيا.

فقد أتخذت رومانيا موقفاً متحيزاً عن بقية دول أوروبا الشرقية إزاء أزمة الشرق الأوسط. فقد اصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الرومانى عدة بيانات إلى جانب تصريحات الرسميين الرومانيين، وكلها تتلخص فى إن رومانيا تمتنع عن إدانة اسرائيل بالعدوان وهى ترى ضرورة التوصل إلى تسوية سلمية تضمن إنسحاب اسرائيل من الأراضى العربية المحتلة والتخلى عن قرار ضم القدس العربية، وتوفر كذلك حق كل دولة فى الوجود المستقل، كما أيدت رومانيا التعايش السلمى بين العرب والاسرائيليين واقترحت على الطرفين المعنيين الجلوس على مائدة المفاوضات وجها لوجه لإيجاد حلول تخدم الشعوب المعنية وتؤمن السلام للمنطقة ولم توقع رومانيا بيان موسكو فى ١٩٦٧/٦/٩ وامتنعت عن حضور مؤتمر القمة الشيوعى الذى عقد فى بودابست من ١٠ - ١٩٦٧/٧/١٢[٦١].

وعموماً فقد تصور السوفيت وحلفاؤهم فى أوروبا الشرقية أن تسوية الأوضاع فى الشرق الأوسط نتيجة حرب يونيو ١٩٦٧ تقتضى الوصول إليها عن طريق حل سلمى لاعسكرى، أى ضرورة تجنب حدوث مجابهة عسكرية شاملة بين العرب واسرائيل أو بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة[٦٢]، ويبدو أن هذا هو أهم وأخطر مانتج عنه اجتمع جلاسبورور بالولايات المتحدة بين الرئيس الأمريكى "جونسون" ورئيس الوزراء السوفيتى "كوسيجين" فى ١٩٦٧/٦/٢٣.

وقد تعددت زيارات الشخصيات العربية إلى موسكو فى الفترة مابعد عدوان يونيو ٦٧ وحتى نهاية العام، فقد سافر الرئيسان العراقى والجزائرى "عارف" و "بومدين" إلى موسكو خلال الأسبوع الثالث من شهر يوليو ١٩٦٧ على أثر مؤتمر القمة المصغر الذى عقد فى القاهرة فى هذه الفترة، وبدلاً من أن يجد الرئيسان فى موسكو "بومدين" و "عارف" مايشجعهما على المضى فى آرائهما المتطرفة تلقيا النصح بالتزام جانب الاعتدال. ويقال إنه عندما راح الرئيس "بومدين" يشرح ماتنطوى عليه سياسة التعايش السلمى مع اسرائيل من مضار، رد عليه "كوسجين" قائلاً: "وماظنك بالحرب النووية؟ " وأكثر من ذلك نشرت جريدة "برافدا" بعد بضعة أيام من هذا اللقاء أى فى يوم ٣ من أغسطس، مقالاً ندّدت فيه "بالنداءات الهستيرية" التى يطلقها الزعماء العرب[٦٣].

كذلك زار رئيس الأركان المصري عبدالمنعم رياض موسكو فى آخر يوليو وفى ٤ سبتمبر تم أول اتصال عربى سوفيتى بعد مؤتمر القمة فى سبتمبر حيث قام وزير خارجية مصر "محمود رياض" بإجراء مباحثات مع وزير الخارجية السوفييتى "اندريه جروميكو" وفى أول اكتوبر زار ثلاثة أشخاص سوفييت دمشق، وفى ٢ اكتوبر وصل الملك حسين إلى موسكو فى أول زيارة رسمية له إلى الاتحاد السوفيتى.

وقد قبل الاتحاد السوفييتى ودول أوروبا الشرقية قرار مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ وعمل على تنفيذه بكافة الوسائل بغية وضع هذا القرار موضع النفاذ، كما شارك بالتصريحات وتقديم المقترحات فى إعطاء رؤيته حول خطوات

التنفيذ الكامل لقرار مجلس الأمن، فقالت "الازفستيا" إن القرار يتضمن نقاطاً تتعلق بالاعتراف بسيادة ووحدة واستقلال كل دولة فى المنطقة، وبحرية الملاحة فى المضائق الدولية وتسوية عادلة لمشكلة الاجئين". "غير إنه لايوجد ثمة شك بأن تنفيذ هذا القرار ..سيصبح ممكناً فقط بنتيجة تصفية آثار العدوان الاسرائيلى، أى بانسحاب جميع القوات الاسرائيلية من الأراضى التى احتلتها" وأكدت البرافدا إنه "لذلك" وجد الاتحاد السوفيتى إنه من الممكن الاقتراع إلى جانب هذا القرار فى مجلس الأمن(٦٤).

وفى ٢٧ نوفمبر هاجمت "البرافدا" اسرائيل والمتهورين العرب فى نفس الوقت لردة فعلهم تجاه قرار مجلس الأمن. وكرر المعلق "قسطنطين فشتنتسكو" (Konstantin Viskmevetsky) النظرة السوفيتية للقرار فقال: بإنه "رغم كل غموضه والطابع غير الواضح لبعض تعابيره، يمكن أن يشكل الخطورة الأولى الفعالة على طريق إزالة عدم ملاحظة وجود "بعض المتهورين" فى العواصم العربية(٦٥).

ورغم تعليقات الصحف السوفيتية دفاعاً عن قرار مجلس الأمن، فقد ظهر فى أواخر عام ١٩٦٧ إن موسكو بحاجة إلى "تظاهرة قوة" فى الشرق الأوسط تشعر العرب وإسرائيل إن موافقتها على قرار مجلس الأمن لايعنى تخليها عن سياسة دعم الموقف العربى تجاه إزالة آثار العدوان، فقامت عشر قاذفات قنابل سوفيتية من طراز "تى - يو ١٦" بزيارة القاهرة فى ٤ ديسمبر ١٩٦٧ وحلقت فى المجال الجوى المصرى فيما وصفته جريدة "الجارديان"(٦٦) بإنه فى "بداية حرب الأعصاب" للضغط على اسرائيل للوصول إلى تسوية لأزمة الشرق الأوسط(٦٧).

ويمكن تتبع الخطوات التنفيذية الكاملة لقرار مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ حسب الرؤية السوفيتية فى جلاء القوات الاسرائيلية من جميع الأراضى العربية المحتلة منذ الخامس من يونيو ١٩٦٧ وأن يبدأ الانسحاب الاسرائيلى بعد أن توقع الدول العربية واسرائيل لدى مجلس الأمن بياناً بقبول تسوية متفق عليها من الفريقين عبر المساعى التى يبذلها المبعوث الدولى الدكتور "جونار يارنج" على أن

تلزم التسوية جميع الفرقاء ووضع قوة من البوليس الدولى - تشارك فيها الدول الأربع الكبرى - على طول الحدود العربية الاسرائلية من الجانبين وخصوصاً فى النقاط الاستراتيجية مثل شرم الشيخ على أن يعتبر وجود هذه القوات تنفيذاً لقرار مجلس الأمن المتعلق بالحدود الآمنة. وإن تجرى مباحثات بين الدول الأربع الكبرى وكل من الدول العربية وإسرائيل بشأن قضية اللاجئين وحرية الملاحة فى الممرات المائية (خليج العقبة وقناة السويس) وأن تعلن كل الدول العربية واسرائيل إنهاء حالة الحرب والاعتراف المشترك بالسيادة لجميع دول المنطقة، وإن يتخذ مجلس الأمن طبقاً لميثاق الأمم المتحدة قراراً عن الضمانات الخاصة بالحدود العربية - الاسرائيلية وتعتبر الحدود التى كانت قائمة قبل يونيو ١٩٦٧ هى الحدود الآمنة.

وهذه الرؤيا تعنى أن الاتحاد السوفييتى السابق ودول أوروبا الشرقية تؤيد جلاء القوات الاسرائيلية عن كل الاراضى المحتلة وعودتها الى خطوط يونيو ١٩٦٧ ، مقابل الاعتراف العربى بوجود اسرائيل وحقها فى العيش بأمن وسلام . وهى لا توافق على محادثات مباشرة بين العرب واسرائيل ، وتعطى الدول الاربع الكبرى ومجلس الامن دوراً هاماً فى تقرير مستقبل الشرق الاوسط والعلاقات العربية الاسرائيلية .

وقد وجه الاتحاد السوفييتى السابق ودول أوروبا الشرقية حمله انتقادية عنيفة ضد اسرائيل نتيجة رفضها تنفيذ قرار مجلس الامن ، وتقبلها فى التشبث بموقفها ازاء هذا القرار ، وقد ازدادت حدة النقد الشيوعى لاسرائيل بعد ثبوت اشتراك عناصر يهودية وصهيونية فيما يفد فى أحداث تشيكوسلوفاكيا وبولندا ونتيجة لحملة النقد والتشهير التى شنتها أسرائيل والعناصر الموالية لها فى كثير من بلدان أوروبا الغربية والولايات المتحدة حول معاملة الاتحاد السوفييتى لمواطنين من اليهود.

وفيما يتعلق بموقف الاتحاد السوفييتى السابق ودول أوروبا الشرقية من مسألة حقوق الفلسطينيين ، فقد التزمت الكتلة الشرقية فى الفترة التالية ليونيو ١٩٦٧

بتأييد حقوق الفلسطينيين المشروعة بشكل اعم وأوضح عنه فى الفترة السابقة ، ورغم أهمية التأكيد على ضمان ومراعاة حقوق ومصالح الشعب العربى الفلسطينى ، فإن الاتحاد السوفييتي ودول أوروبا الشرقية لم يوضحوا ما المقصود بذلك بالضبط . وأغلب الآراء ترجح أن المقصود بهذا هو العودة الى توصية الجمعية العامة التابعة للأمم المتحددة عام ١٩٤٧ الخاصة بتقسيم فلسطين الى دولتين احداهما يهودية والاخرى عربية وأيضاً تنفيذ قرار هيئة الأمم المتحدة رقم ١٩٤ لعام ١٩٤٨ الخاص بعودة اللاجئين الى ديارهم وتعويض غير الراغبين فى ذلك ، ويضاف الى ذلك التساؤل الآتى : هل يرى الاتحاد السوفييتي وحلفاؤه ان من حق الفلسطينيين ان يقاتلوا بكافة السبل لنيل حقوقهم ومصالحهم المشروعة ؟ .

هناك القليل الذى نشر للاجابة على هذا التساؤل ، ومن افضل ذلك التحليل الذى قدمته مجلة " الميزان " اللندنية فى مقالها " الاتحاد السوفييتي والمغاوير الفلسطينيين (٦٨) " فقد قالت المجلة " أن الاتحاد السوفييتي تجاهل نشاطات منظمات المقاومة الفلسطينية ومنها فتح أيضاً كما أنه لم يوافق على شهر ما دعى "بالحرب الشعبية " واستنكر تشجيع السوريين لنشاطات " المجموعات الاسطورية المزقة " واتهم الفدائيين بانه موجة من قبل الاستخبارات العربية بقصد اضعاف موقف سوريا التقدمى ؟ كذلك كان السوفييت متحفظون فى موقفهم من منظمة التحرير الفلسطينية .

وقالت مجلة " الميزان " فى نفس تحليلها أن السوفييت لم يجيزوا استئناف النشاط الفدائى بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ ، الذى كان هذا النشاط هو أحد أسبابه الرئيسية ، وحتى انهم اشاروا على العرب بإيقافه " .

وقد أوضحت بعض المصادر العربية من التفكير السوفييتى أن تحفظ السوفييت تجاه المقاومة الفلسطينية حددته مجموعة من الاعتبارات (٦٩) منها أن الاتحاد السوفييتى يرى أن " الطابع الغالب على حركة المقاومة لايعدو - كما ونوعا - رد

فعل مجموعة من المثقفين الوطنيين قد تكون متميزة بالشجاعة وانكار الذات الا أنها تظل قصيرة النفس طالما انها لم تكتسب العمق الشعبى الجماهيرى الكافى ، كذلك فان الاتحاد السوفييتى يرى عدم وضوح الخط السياسى لحركة المقاومة والارضية الفكرية التى تنطلق منها بحيث كانت المواقف تتراوح بين أقصى اليمين وبين أقصى اليسار دون اعتبار للواقع ومتطلباته ولما هو تكتيكى وما هو استراتيجى .

وتجدر الاشارة إلى ما ذكره ياسر عرفات ان مطالب حركته الثورية الوليدة بان يكون لديها مضمون اجتماعى تبدو سابقة لاوانها ولأن تحديد طبيعة نظام الحكم فى فلسطين بعد تحريرها تبدو " كمن باع حلد الدب قبل ان يصيده " ، أضف الى ذلك الانقسام والتفكك فى حركةالمقاومة الفلسطينية وعدم وضوح الصلة بينها وبين حركة التحرير العربية التقدمية واتجاه بعض أصوات المقاومة الى المساواة بين موقف الاتحاد السوفييتى السابق وموقف الولايات المتحدة وذلك فيما يختص بموافقته على قرار مجلس الامن حول ازمة الشرق الوسط .

والخلاصة ان الاتحاد السوفييتى السابق ودول اوروبا الشرقية يؤيدون من نضال الفلسطينيين ويعتبرونه تحرراً وطنياً وعملاً مناهضاً للاستعمار ولكن شريطة ان يقف هذا النضال عند حدود ازالة آثار العدوان الاسرائيلى التى نتجت عن حرب يونيو ١٩٦٧ ، اى أن هذا النضال يجب أن يقف عند حدود لا يتخطاها ولا يجب ان يكون هدفه تحرير فلسطين كلها ، وهذا امتداد لعدم موافقة السوفييت على حرب التحرير الشعبية ضد اسرائيل فى الفترة قبل يونيو ١٩٦٧ .

وخطورة هذا الموقف تتمثل فى انهاء المقاومة الفلسطينية أو القضاء عليها فى حالة احلال التسوية السليمة فى الشرق الاوسط لان مقتضيات وجودها قد زالت ، والاتحاد السوفييتى السابق وحلفاؤه قادرون على التأثير على المقاومة الفلسطينية بحكم ما يقدمون لها من مساعدات لا تستطيع الاستغناء عنها ، كذلك فقد حصر

الاتحاد السوفيتى السابق تعامله مع المقاومة الفلسطينية فى هيئة التضامن الافروأسيوى - وبذا لم تلتزم موسكو بأى شئ محدد بدليل عدم سماحها للمقاومة بافتتاح مكتب لها فى موسكو حتي نهاية عام ١٩٦٧ ، بيد أن الاتحاد السوفيتى السابق قد اعطى عدة منح دراسية جامعية للفلسطينيين من خلال منظمة التحرير الفلسطينية والاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين (٧٠) .

الصين الشعبية :

تتجسد الرؤيا الايدولوجية للصين أزاء مشكلة فلسطين من طبيعة العلاقات القائمة بين أطراف النزاع فى منطقة الشرق الاوسط ولمصالح الصين الشعبية فى هذه المنطقة .

فبخصوص الحركة الصهيونية ترى الصين انها " حركة استعمارية بطبيعتها ، ونشأتها ، عدوانية فى أهدافها ، عنصرية فى بنيانها ، وفاشية فى أساليبها ووسائلها (٧١) " كذلك أعلنت الصين الشعبية شجبها للحركة الصهيونية وللوجود الاسرائيلى فى فلسطين ، وأما بخصوص النظرة الصينية الى اسرائيل فان ماوتسى تونج زعيم الحزب الشيوعى الصينى وقتئذ قدر أن " الامبريالية الامريكية هى التى خلقت اسرائيل لانها تخشى العرب " (٧٢) .

ويرى شواين لاى رئيس مجلس الدولة الصينى وقتئذ" أن اسرائيل هى مثال نموذجى لمحاولة الولايات المتحدة تهديد السلام والأمن فى العالم (٧٣) "

وترى الصين الشعبية أن القضية الفلسطينية ونضال الشعب الفلسطينى هما محلا تأييد الشعب الصينى الصديق الوفى للشعب العربى الفلسطينى وللشعوب العربية فى الكفاح ضد الامبريالية والاستعمار وضد الاستعمار الجديد والصهيونية(٧٤) " .

ولقد أوضحت الصين أن تأكيدها على عودة الحقوق المشروعة للشعب العربى الفلسطينى تأسيساً على حقه التاريخى فى وطنه(٧٥) ، ويجب الا يعنى هذا ان الأمم

المتحدة قد منحته هذا الحق أو أنها قادرة على تحقيق ذلك وبالتالى فان استحواذ الشعب العربى الفلسطينى على حقه لا يتأتى بالجهود الدولية وانما يمكن الوصول اليه فقط عن طريق شن حرب تحرير شعبية مسلحة ضد الكيان الاسرائيلى ".

وأكدت المصادر الصحفية فى هذه الفترة (٧٦) أن الصين رفضت اقامة اية علاقات مع اسرائيل أو الاعتراف بها وذلك رغم اعتراف اسرائيل بالصين اعترافاً واقعياً منذ عام ١٩٥٠ .

وكان أول اتصال بين الصين ومنظمة التحرير الفلسطينية قد بدأ فى مارس ١٩٦٥ حيث قام وفد برئاسة الشقيرى بزيارة الصين بناء على دعوة من المؤسسة الصينية للشئون الخارجية " حيث قابل الوفد الزعيم الصينى ماوتسى تونج والمسئولين الصينيين واتفق الطرفان على قيام منظمة التحرير الفلسطينية ببعثة لها فى بكين لتقوية تعاون البلدين المشترك وأن الشعب الصينى سيبذل " كل جهوده وكل ما يملك من وسائل سياسية أو غير سياسية لدعم نضال الشعب العربى الفلسطينى ومن أجل العودة الى وطنه (٧٧) .

وبالفعل باشرت بعثة منظمة التحرير الفلسطينية عملها فى بكين منذ مايو ١٩٦٥ ، وقد مر الموقف الصينى من قضية فلسطين بتطور تاريخى ابتداء بعدم الاهتمام ثم انتقل الى مرحلة التفهم الاولى منذ مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ ولكنه لم يتبلور كلية بالتكامل والوضوح الا منذ عام ١٩٦٥ انطلاقاً من التأييد المطلق لحركة المقاومة الفلسطينية .

وقد رفضت الصين قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وكل الصادرات المختلفة لتنفيذه واعتبرته تواطؤا سوفيتيا امريكيا يشكل خيانة كبيرة للمصالح العربية ، كما هاجمته صحف الصين الشعبية (٧٨) واتهمت روسيا ايضا بخيانة مصالح العرب فى تصويتها الى جانبه لانه يعنى الاعتراف باسرائيل مقابل انسحابها من الاراضى العربية المحتلة .

وكانت الصين ترى أن حل أزمة الشرق الاوسط لا يكون الا بشن حرب تحرير شعبية واتباع الكفاح المسلح لاسترداد الاراضى العربية التى احتلت قبل أو بعد يونيو ١٩٦٧ وفى هذا السياق فقد اعترفت بشرعية أمانى حركة المقاومة الفلسطينية[٧٩] وثقة بقدرة الفلسطينيين على تحقيق النصر الاكبر [٨٠] .

كذلك اعترفت الصين رسمياً بحركة المقاومة الفلسطينية وسمحت لكل من فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية باقامة علاقات وثيقة عام ١٩٦٧ حيث كان هدفها توحيد جهود كل منظمات المقاومة ضد اسرائيل ، أيضاً فقد قدمت الصين السلاح والعتاد والمؤن والذخيرة لكل من منظمات المقاومة الفلسطينية وخاصة فتح .

الهند :

كانت الهند فى طليعة الدول التى أيدت قضية العرب نتيجة لعدوان يونيو ١٩٦٧ ، ففى يوم ٦ يونيو وجهت انديرا غاندى رئيسة الوزراء اللوم الى اسرائيل لتصعيدها الموقف الى نزاع مسلح ، وفى بيان تال يوم ٧ يونيو استمرت انديرا غاندى فى موقفها وادانت اسرائيل صراحة بالعدوان على العرب ، وفى خطاب لها امام اللجنة القومية لحزب المؤتمر التى كانت منعقدة فى نيودلهى عقب الحرب مباشرة أوضحت انديرا غاندى المسائل الاساسية فى النزاع فقالت صراحة " ان الهند لا تستطيع الموافقة على مبدأ اجراء تغييرات اقليمية بقوة السلاح (وأضافت ان الهند مهتمة باحلال السلام فى غرب آسيا) ثم قالت :" ولكن الشئ الواضح هنا هو اننا لا نستطيع الموافقة على سياسة اى بلد يحاول الاحتفاظ بثمرة العدوان ان الهند ليست دولة غير منحازة بين العدل والظلم . [٨١] .

وظلت أجهزة الاعلام الهندية على مآخذها على اسرائيل فهى تراها " دولة قائمة على أساس طائفى (دولة لليهود) وأخرجت الفلسطينيين العرب من ديارهم " وامتدت الى ما وراء الحدود المقررة للدولة اليهودية بموجب قرار تقسيم فلسطين ، واعتمدت على المال الأمريكى والسلاح البريطانى والارهاب لفرض نفسها على

فلسطين وتحيز ضد اليهود الهنود المقيمين فى اسرائيل ، ولم تقدم شيئاً على صعيد التضامن الافروآسيوى أو عدم الانحياز أو مقاومة الاستعمار وهى غرسة أوروبية غربية فى غرب آسيا (الشرق الاوسط) وهى دولة عدوانية توسعية (٨٢) " ، وهذا المفهوم الهندى لمشكلة فلسطين كان قد وضع اسما كل من الزعيم الهندى المهاتما غاندى الأب الروحى للهند ، والزعيم الهندى نهرو (٨٣) اللذين أكدا أن فلسطين بلد عربى وينبغى ان تظل كذلك .

وهكذا أبدت الهند تعاطفاً وتأييداً للدول العربية وذلك لعدة اعتبارات منها حرصها على ابقاء علاقاتها التاريخية والثقافية والدينية مع العالم وأخذها فى الاعتبار قوه المسلمين الهنود ليس على الصعيد العدد فحسب بل على صعيد وجودهم وثقلهم السياسى وادراكها لاهمية العلاقات الاقتصادية مع الوطن العربى فى صور امدادات البترول ·بتبادل السلع والخدمات وانتقال العمال ورؤوس الاموال(٨٤) .

غير أن الموقف الهندى عاد وتحدد بالتصريح الذى أدلت به انديرا غاندى فى ١٩٦٧/٨/٣ حيث قالت :" اننا اصدقاء لاسرائيل ، ونحن نتعاطف مع ما يقاسيه الاسرائيليون من آلام ، ولكن يجب أن لا ننسى فى الوقت نفسه أن خلق اسرائيل ادى الى بعض المشاكل (٨٥) " .

ومع ذلك وقفت الهند فى الامم المتحدة والمؤتمرات الدولية مؤيدة لوجهة النظر العربية فى موقفها وتأكد ذلك حين نددت الهند باعتداءات اسرائيل المتكررة على الدول العربية بعد عدوان ١٩٦٧ ، وطالبت الهند بتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بحيث يتم انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة بعد يونيو ١٩٦٧ وانه لا يجوز للمعتدى ان يجنى ثمرة عدوانه (٨٦) .

وفيما يتعلق بحقوق الفلسطينيين فقد أعربت الهند عن تضامنها وتأييدها لحقوق الشعب الفلسطينى العادلة والمشروعة (٨٧) ، وهى تعتقد أن تسوية الاوضاع سلمياً

فى منطقة غرب آسيا - على حد التعبير الهندى [٨٨] - لن يتيسر مالم يؤخذ فى الحسبان قرارات الامم المتحدة الخاصة باللاجئين الفلسطينين وبصفة خاصة القرار رقم ١٩٤ الصادر فى ٤٨/١٢/١١ والذى قررت فيه الجمعية العامة للامم المتحدة " ان اللاجئين الذين يرغبون فى العودة الى ديارهم والعيش فى سلام مع جيرانهم يجب أن يسمح لهم بذلك فى اقرب وقت ممكن ، ويجب ان تدفع تعويضات عن ممتلكات اللاجئين الذين لا يفضلون العودة ، كما يجب تعويض الاضرار التى لحقت بالممتلكات وفقاً لمبادئ القانون الدولى التى تلزم الحكومة أو السلطات المسئولة بدفع تعويضات عادلة عن تلك الممتلكات " .

٨ - امريكا اللاتينية :

في عام ١٩٦٧ كما فى ١٩٤٧ - ١٩٤٩ لعبت كتلة الدول الامريكية اللاتينية دور على جانب كبير من الاهمية فيما يتعلق بمشكلة فلسطين ، وقد تجلى هذا الدور بصورة خاصة فى أروقة الامم المتحدة حيث كان للثقل العددى الذى تتمتع به هذه الكتلة أثر حتمى فى تطور المشكلة على الصعيد الدولى .

فنظراً لبعد هذه القارة عن الشرق الاوسط ، ولعدم وجود صلات اقتصادية أو سياسية أو عسكرية وثيقة بين المنطقتين ، كان من البديهى والمتوقع ان تكون الأمم المتحدة هى المجال الذى تستطيع فيه دول اميريكا اللاتينية ان تؤثر بصورة ما على مجرى المشكلة الفلسطينية وتطوراتها .

وقد قامت كتلة الدول الامريكية اللاتينية اثناء عام ١٩٦٧ بخطوات تساند فيها الى حد كبير الموقف الاسرائيلى ، ونستطيع ان نعزى التأييد الامريكى اللاتينى المتواصل للجانب الاسرائيلى الى العناصر الاتية :

أولاً : النزعة الحقوقية التى يتميز بها الفكر السياسى فى أمريكا اللاتينية ، بمعنى ان مجموعة هذه الدول مكونة من دول عديدة متفاوته فى الحجم والغنى والقوة ولكنها متساوية تماماً فى الحقوق (٨٩) ، ومما يذكر - انه فى هذا الاطار - فان احدى عشر دولة امريكية لاتينية كانت بين الدول الاثنين والعشرين الاولى التى اعترفت بقيام اسرائيل وأن الدولة الثانية التى اعترفت اسرائيل بعد الولايات المتحدة كانت جواتيمالا ، وطبقاً لهذا المفهوم ايضاً فقد دافعت دول امريكا اللاتينية عن مكاسب اسرائيل فى عدوان عام ١٩٦٧ باعتبار انه ليس هنالك تناقض بين هذه المواقف وبين سلامة الدول وسيادتها وحق الشعب فى تقرير مصيرها .

ثانياً : العمل الصهيونى الدائم وخاصة منذ الاربعينات فى جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاعلامية : وكان من ضمن الانشطة الصهيرنية بهذا الخصوص اقامة اجتماعات عامة والقاء محاضرات وكتابة مقالات فى الصحف والمجلات الرئيسية والقيام بكل عمل من شأنه ان يخدم الدعوة الصهيونيةوينمى التأييد لها عند الرأى العام (٩٠) .وقد اشترك فى ذلك شخصيات بارزة نذكر منها على سبيل المثال " جوسية فيجيريس " (Hase Figueres) رئيس جمهورية كوستاريكه " استولفو مور " (Astolfo Moore) رئيس مجلس النواب فى تشيلى ، و "فرووكتورسو بيتالوجا "(Fructuoso Piltaluga) وزير خارجية الاوروجواى ، وخوسيور جالفس "(Jase Galvez) نائب رئيس جمهورية البيرو وعميد سابق فى جامعة سان ماركوس فى ليما العاصمة و " فاسكو نسيلوس " (Vasconcelos) المفكر والكاتب المكسيكى الشهير (٩١) .

وفى المجال السياسى الدبلوماسى فاننا نجد أنه من بين الدول الاثنتين والعشرين التى جعلت شعاراتها فى القدس المحتلة بدلاً من تل ابيب ضاربة عرض الحائط بالاعتراضات العربية المستمرة والموقف المتخذ من قبل معظم دول العالم بما فيها الدول الكبرى بالنسبة لوضع القدس ، نجد عشر دول امريكية لاتينية قد فعلت ذلك وهذا يعتبر رمزاً للتغلغل الاسرائيلى والصهيونى فى امريكا اللاتينية .

وفى هذا السياق فقد أسست المنظمة الصهيونية شبكة من المنظمات والاجهزة الخاصة بها توازى الشبكة الدبلوماسية الاسرائيلية وتكملها وتنوب عنها وتقوم مقامها فى الظروف والمجالات التى لايسمح العرف الدولى ان تقوم الاجهزة الحكومية بنشاط ظاهر فيها ، وقد جاء فى تقرير دائرة التنظيم فى المنظمة الصهيونية المقدم الى المؤتمر الصهيونى السابع والعشرين الذى انعقد فى القدس ان المنظمة اقامت خلال الفترة المنتهية فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٧ " علاقات وثيقة مع الهيئات التنفيذية فى جميع الجاليات (اليهودية) فى بلدان امريكا اللاتينية " . وخاصة فى الارجنتين حيث نظمت حركة متطوعين للقتال فى اسرائيل اثناء حرب يونيو [٩٢] .

وعموماً فقد اتخذ النشاط الصهيونى والاسرائيلى فى تحقيق اهدافه فى دول امريكا اللاتينية عدة سبل له منها تأثير الجاليات اليهودية المحلية على سياسة بلادها وعمل الأجهزة الصهيونية والاسرائيلية المباشر فى مجالات مختلفة والقيام بتقديم المساعدات الفنية والمالية من خلال برنامج له أهداف ونتائج سياسية واقتصادية ونفسيه بالنسبة لاسرائيل .

ثالثـا: نفوذ الولايات المتحدة وتأثيرها على تحديد مواقف دول امريكا اللاتينية وهو ما يحتاج وقفة للتفسير.

ان السيطرة الامريكية الجزئية فى دول امريكا الجنوبية الكبرى وشبه الكاملة فى دول امريكا الوسطى وبحر الكاريب منذ بداية القرن التاسع عشر واقع لا جدال فيه[٩٣] ، ولسنا هنا بصدد الدخول فى تحليل استعمال هذا النفوذ للتأثير على موقف بعض دول امريكا اللاتينية من المشكلة الفلسطينية عبر تاريخها وتبينه حسب ارادة واشنطن وتكفى الاشارة التى الدور الامريكى فى التغيرالمفاجئ الذى طرأ على موقف بعض الدول ابان التصويت على مشروع تقسيم فلسطين فى الامم المتحدة فى نوفمبر ١٩٤٧ من مناهضة للتقسيم الى مؤيد له مما ضمن كسب المشروع للاكثرية اللازمة .

وقد قسم الكاتب الامريكى الذائع الصيت والمعادى للصهيونية الفريد ليلفتال النفوذ الامريكى إلى نوعين : نفوذ مباشر ونفوذ غير مباشر ، أما النفوذ غير المباشر فنتج عن كون دول امريكا اللاتينية تعتبر نفسها جزءاً من العالم الغربى جغرافياً وثقافياً، أما النفوذ المباشر أو بتغيير آخر الضغط السياسى والاقتصادى فهو ذلك الذى مارسته واشنطن كلما دعت الحاجة الى ذلك والامثلة كثيرة مثل الضغط الذى تعرضت له هايتى بصدد موقفها ضد قرار تقسيم فلسطين اذ اتصل حاكم ولاية امريكى سابق ، وسياسى ديمقراطى له علاقة متينة مع البيت الابيض هاتفيا برئيس جمهورية هايتى (٩٤) ، وكانت نتيجة هذه المكالمة " أن بدلت هايتى موقفها وصوتت فى اليوم التالى مع قرار التقسيم " وفى الوقت نفسه ، اعلمت مصادر موثوق بها بعض البعثات اللاتينية ان مشروع مد اوتوستراد عبر القارة الامريكية الذى كان عندئذ قيد البحث من قبل واشنطن وكانت امريكا اللاتينية تعتبره فى غاية الاهمية اقتصادياً ، مرهون بمواقفها من قرار التقسيم(٩٥) . هذا فيما يتعلق باحداث ١٩٤٧ - ١٩٤٨ التى رأت قيام اسرائيل ودخول مشكلة فلسطين مسرح الامم المتحدة ، وكانت دول القارة الامريكية تشكل فى ذلك الحين ٤٠٪ من عضوية المنظمة ، اما فى عام ١٩٦٧ ، عندما شغلت هذه المشكلة المنظمة العالمية على اثر العدوان الاسرائيلى فى ٥ يونيو ، فقد كان موقف كتلة امريكا اللاتينية الموحد شبيها بموقف الولايات المتحدة من حيث القيود الواردة على انسحاب القوات الاسرائيلية .

هوامش الفصل الثالث :

١ - تسلسل هذه الاحداث والظروف المحيطة بها نشرتها مجلة :

No. 10. 1971 Military Review التى تصدرها قيادة الجيش الامريكى .

٢ - الاهرام ١٩٦٧/١١/٢٥ .

٣ - الاهرام ١٩٦٧/١١/٧ .

٤ - أى البحر الأبيض المتوسط ، راجع محمد حسنين هيكل : عبد الناصر .. والمقاومة الفلسطينية فى الاهرام ١٩٧٠/١٢/٢٥ .

٥ - الاهرام ٢٠ ، ٢١ . ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ - ١١ - ١٩٦٧ .

٦ - الاهرام ١٣، ١٥ ، ٢٤ ، ٢٨ - ١٢ - ١٩٦٧ .

٧ - الثورة ٣٠ - ٨ - ١٩٦٧ .

٨ - نعنى بذلك مؤتمر الخرطوم .

٩ - النهار ١٦ ، ١٧ / ٨ ، ١ ، ٢ ، ١٩٦٧/٩/٨ .

١٠ - النهار ٢٧ ، ٣٠ - ١١ - ١٩٦٧ .

١١ - أحاديث مع قادة المقاومة حول مشكلات العمل الفدائى الفلسطينى (الحلقة الثالثة (شئون فلسطينية رقم ٧ - مارس ١٩٧٢ ص ٣٣ - ٣٤ ، حزب البعث الاشتراكى : المكتب الثقافى من القيادة القطرية للتنظيم الفلسطينى الموحد الوعى الثورى ، العدد ٨ آزار - مارس -١٩٧٠ من ص ١٥ - ١٧ .

١٢ - النهار ١٩٦٧/١١/٤ .

١٣ - الحياة ١٩٦٧/٦/٨ .

١٤ - نفس المصدر السابق ١٩٦٧/٧/٦ .

١٥ - النهار ١٩٦٧/٨/٤ .

١٦ - المصدر نفسه ١٩٦٧/٩/١٠ .

١٧ - راجع : الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٧ مرجع سابق ، وثيقة رقم ٥٦٣ ص ٨٠٤ .

١٨ - النهار ١٩٦٧/١١/١٠ .

١٩ - New York Times , New York 30/7/1967

٢٠ - Davis, John H. Evasive Peace : A Study Zionist Arab Problem. London john murry,1968 pp. 75 - 79 .

٢١ - راجع تفصيلا : شحادة موسى : علاقات اسرائيل مع دول العالم ١٩٦٧ - ١٩٧٠ ، مرجع سابق ، بيروت ، مركز الابحاث الفلسطينية ١٩٧١ .

٢٢ - المرجع السابق ص ١٢

٢٣ - الاهرام ١٩٧١/٢/١٢ .

٢٤ - الفريد ليلنتال : اسرائيل : ذلك الدولار الزائف (تعريب عمر الدايراوى) دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٥ من ص ١٥ - ٣٠ .

٢٥ - مقابلة شخصية مع الاخوة الفلسطنيين فى الاتحاد العام لعمال فلسطين ، القاهرة صيف عام ١٩٧٥ .

٢٦ - شحادة موسى ، مرجع سابق ص ٢٩

٢٧ - المرجع السابق ص ١٤

٢٨ - المرجع السابق ص ٣٢ .

٢٩ - المرجع السابق ص ١٠٤ - ١٠٨ .

٣٠ - Keesing's Contempearory Archives.

٣١ - The Economist : 10/6/1967 .

٣٢ - شحادة موسى ، مرجع سابع من ص ١٠٤ - ١٠٨ .

٣٣ - المرجع السابق .

٣٤ - The Economist : 10/6/1967 .

٣٥ - Guardian, London 9/6/1967 .

٣٦ - "Times" , London 28/11/1967 .

٣٧ -- American Jawish Year Book, 1968 " American Jewish Committee and Jewish Publication Society of America p. 439 .

٣٨ - شحادة موسى ، مرجع سابق ص ١٠٨ .

٣٩ - Je Wish Chronicle, July 13, 1969 .

٤٠ - Le Monde 9/6/1967 & 16/6/1967 .

٤١ - Laqueur, Walter : The Road to war, London 1967 p 207 The Economist : 1 - 7 - 1967.

٤٢ - Me Monde 11 - 8 - 1967 .

٤٣ - " التقرير الاقتصادى العربى " اصدار الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية . بدون تاريخ اصدار ، ص ٣٦٢ .

٤٤ - المرجع السابق ص ٢٧٢ والشركة الفرنسية هى الشركة الباريسية للصناعات الكهربائية Societe Parisienne pour l'industrie Electrique .

٤٥ - شحادة موسى ، مرجع سابق ص ١٣٢ ، ١٥٨ .

٤٦ - اليوميات الفلسطينية - المجلد السادس ٦٧/٧/١ - ١٩٦٧/١٢/٣١ .

٤٧ - شحادة موسى ، مرجع سابق ص ١٣٨ .

٤٨ - Rodinson, Maxime : Israel et le Refus Arabe , 75 Ans d'Histoire, Paris de seuil, 1966 pp. 4 - 7

٤٩ - شئـون فلسطيـن رقـم ٢ اصدار منظمـة التـحرير الفلسطينيـة ، مـركـز الابحـاث ، بيروت ص ٢٢٠ .

٥٠ - عدنان العمد : الشيوعية الغربية وقضية فلسطين - سلسلة حقائق وارقام - ٣٩ اصدار منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت ، فبراير ٧١ ص ٦١ .

٥١ - أسعد عبد الرحمن : المساعدات الامريكية والالمانية الغربية لاسرائيل - سلسلة أرقام وحقائق - ٦ - اصدار منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الابحاث - بيروت ١٩٦٦ - ومن ص ٥٧ - ٦٠ .

٥٢ - شحادة موسى ، مرجع سابق من ص ١٩٠ - ١٩٧ .

٥٣ -المرجع السابق .

٥٤ - المرجع السابق من ص ١٨٣ - ١٩٠ .

٥٥ - الاهرام ١٩٧٢/٩/١٥ .

٥٦ - محمد حسنين هيكل - حرب رمضان فى الاهرام ١٩٧٥/٥/٣ - الحلقة الاولى وقد نشرته ايضا مجلة صنداى تايمز البريطانية وانتشرت جريدة النهار اللبنانية حق نشرة - باللغة العربية مع الصنداى تايمز .

٥٧ - نفس المصدر السابق .

٥٨ - نفس المصدر السابق .

٥٩ - احسـان عبـد القـدوس : ايـن نحـن بيـن روسيـا وأمريكا فـى : الاهـرام ١٣- ٦-١٩٧٥ .

٦٠ - شحادة موسى - مرجع سابق من ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

السيد عليوة : سياسة رومانيا الخارجية تجاه اسرائيل ، فى : السياسة الدولية العدد ٢٧ يناير ١٩٧١ - من ص ١٢٨ - ١٣٧ .

٦١ - أحمد يوسف القرعى " ازمة الشرق الاوسط فى المؤتمرات الدولية ، فى : السياسة الدولية - عدد ١٨ اكتوبر ١٩٦٩ من ص ١٥٦ - ١٥٧

دكتور / عدنان العمد ، مرجع سابق من ص ٤٢ ، ٦٥ - ٦٦ ، ٦٨ - ٦٩ .

٦٢ - " Pravda" Moscow - 3/8/1967 .

٦٣ - " Izvestiya " , Moscow 24/11/1967 .

٦٤ - " Pravda " 27/11/1967 .

٦٥ - "Ibid .

٦٦ - Guardiain , London 4/12/1967 .

٦٧ - اليوميات الفلسطينية ، المجلد التاسع ، ص ١٨٥ .

٦٨ - لطفى الخولى : ما هو الموقف السوفييتى من المقاومة الفلسطينية ، فى : الاهرام القاهرة ، ١٩٦٩/١١/٤ .

٦٩ - دكتور صلاح دباغ : الاتحاد السوفييتى وقضية فلسطين ، اصادار منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت يونيو ١٩٦٨ ص ٢٤ .

٧٠ - منظمة التحرير الفلسطينية : دائرة الاعلام والتوجيه القومى - منظمة التحرير الفلسطينية وجمهورية الصين الشعبية ـ بدون مكان وتاريخ اصدار ، من ص ٥٧ - ٨٥ .

٧١ - محمد السيد سليم : الصين الشعبية والقضية الفلسطينية - فى : السياسة الدولية ٢٥ يوليو ١٩٧١ من ص ٦١ - ٦٣ .

٧٢ - المرجع نفسه .

٧٣ - منظمـة التحـرير الفلسطينيـة وجمهـورية الصيـن الشعبيـة ، مرجـع سابق من ص ١٦ - ١٩ .

٧٤ - الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية عام ١٩٥٦ اصدار مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ص ٣٥٢ .

٧٥ - مجلة شئون فلسطينية عدد ٦ ص ٢١٨ تصريح لشواين لاى .

٧٦ - منظمة التحرير الفلسطينية وجمهورية الصين الشعبية ، مرجع سابق ص ١٦

٧٧ - " Peking Review " Peking 27 - 11 - 1967 :

٧٨ - مجلة شئون فلسطينية - عدد ٦ - من ص ٢١٥ - ٢١٩ .

٧٩ - السياسة الدولية - العدد ٣٠ - أكتوبر ١٩٧٢ ص ٢٢٦ .

٨٠ - تايمز الهندية ، نيودلهى ، ١٩٦٧/٧/٢٦ .

٨١ - أسعد عبد الرحمن : التسلل الاسرائيل فى آسيا ، دراسات فلسطينية منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت ابريل ١٩٦٧من ص ٦١- ٦٤ .

Jerusalem Past 4 - 2 - 1969 .

٨٢ - مكتب استعلامات الهند : بالقاهرة : الهند وفلسطين - تطور سياسة من ص ١٢ - ١٧ ، ٣٢ - ٣٣ - Tendul Kars. D.O; Mahetms Vol IV, pp 311 - 312 .

٨٣ - Dramth, Dewan Berin, gs. cit : pp 207 - 209 .

٨٤ - شحادة موسى ، مرجع سابق ص ٣٨٤ .

٨٥ - كمال المنوفى : السياسة الهندية وأزمة الشرق الاوسط فى : السياسة الدولية ، العدد ٣٣ يوليو ٧٣ ص ص ٦٨ ، ٦٩ .

٨٦ - السياسة الدولية ، العدد ١١ يناير ١٩٦٨ ص ١٧٢ .

٨٧ - وهو ما اصطلح الكتاب الهنود على تسمية مشكلة الشرق الاوسط أو الصراع العربى الاسرائيل بمشكلة غرب آسيا ومن هؤلاء الكتاب ، الكاتب الهندى الذائع الصيت ديوان بيرندرانات الذى ألف عدة كتب يشيد فيها بالموقف العربى عامة والموقف المصرى على وجه الخصوص .

٨٨ - ميثاق منظمة الدول الامريكية -Charter of the Organization of American States .

٨٩ - Glick, B Edward: Latin America and the Palestine Problem pp 26 - 30 .

٩٠ - Gluid.

٩١ - تقارير مقدمة الى المؤتمر الصهيونى السابع والعشرين فى القدس ، يونيو ٦٧ ص ٤٩ .

٩٢ - انظر : دكتور سمعان بطرس فرج الله " الجمود والتغيير فى منظمة الدول الامريكية " فى مجلة السياسة الدولية عدد ١٦ ابريل ١٩٦٩ .

٩٣ - Middle East Journal, Washington, Januaey 1975, p 15.

٩٤ - Lilient hal, Alfred: what price Israel,gs. cit . pp 64.

٩٥ - Ibid .

الفصل الرابع

الإعلام المصرى

قـرار الحـــرب : -

كان للمفاجأة فى الصراع العربى الاسرائيلى تاريخ يستحق للدراسة والعناية فلقد استخدم الاسرائيليون المفاجأة على نطاق واسع فى الحروب الثلاثة (٤٨-٥٦ - ٦٧) وفى العمليات الانتقامية التى جرت فى الفترات الواقعة بين هذه الحروب على حين لم يلجأ العرب إلى هذا العامل الفعال وخاصة على المستوى الاستراتيجى إلا فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ ومن ثم فإن المفاجأة فى حرب اكتوبر تستحق وقفة للتفسير والتعليل.

فمن الواضح، أن المفاجأة فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ لم تأت عن طريق الصدفة بل كانت وليدة تدابير معدة بدقة وعناية تدل على أن العرب قد تعلموا الكثير من هزيمتهم فى عام ١٩٦٧، ومن هنا فقد روعيت بعض الاعتبارات الهامة فى قرار المعركة الذى اعتبر قراراً للتاريخ وللعرب ولمصر.

إن النقطة التى يجب التأكيد عليها ووضعها فى الأذهان هى إنه فى ظل فشل كل محاولات وجهود السلام ورفض اسرائيل الامتثال لقرارات الأمم المتحدة بالانسحاب واحترام حقوق شعب فلسطين واستمرار نوايا التوسع الاسرائيلية واحتلال الأرض العربية، بقى أمام السادات أمر واحد .. وهو أن تكون استجابته للموقف تتسم بالواقعية.

وهكذا جاءت بطولة اتخاذ قرار الحرب من جانب السادات بالرغم من الحسابات المعقدة للغاية لهذا القرار فنتائجه - بدون شك - بالغة الخطورة وذلك نظراً لأن معاييره غير مادية أو محكومة ومحسوسة ومتغيراته غير مؤكدة وغير مأمونة وغير متيقنة وتتصل بها خلفيات ومواقف ومتغيرات عسكرية ومدنية سياسية واقتصادية

داخلية وخارجية، عربية ودولية، مقدور عليها ومنطلقة، مباشرة وغير مباشرة، علمية ومنطقية ولاموضوعية ولامنطقية، وقد عبر السادات عن ذلك فى مذكراته - التى نشر جزء منها - وهو يروى كيف اتخذ قرار الحرب قائلاً : "إن أحداً لايستطيع أن يقرر المعاناة التى يتعرض لها المسئول عن اتخاذ قرار الحرب ولقد عشت حياتى كضابط يعيش الحرب أو يعد نفسه للحرب، واتخذت بعيداً عن الجيش قرارات لعمليات وطنية تقوم على اطلاق النار، ولكن كل هذا لايقاس بمسئولية اتخاذ قرار حرب تشمل الأمة كلها والجيش كله .. إن كل فرد سأدفعه بيدى إلى خط النار، وكل فرد قد يصبح شهيداً .. ثم من يضمن نتيجة هذه الحرب .. لاأحد يستطيع أن يضمن نتيجة أى حرب - الله وحده"[١].

وهكذا كان السادات ليس رجلاً سياسياً أو رجل دولة فحسب وإنما كان ضابطاً مارس الحرب وخبر أصولها ومن ثم فلم يكن قرار المعركة بالنسبة له أمراً سهلاً خاصة وإنه يؤمن تماماً أن هناك مبدأين لامناقشة فيهما فى هذه المعركة المبدأ الأول : لاتفريط فى شبر من الأرض العربية المحتلة، والمبدأ الثانى : لا مساومة على حقوق شعب فلسطين[٢].

وانطلاقاً من هذا المفهوم فقد استمر السادات يؤكد نوايا الحرب وهو يزداد اقتناعاً بذلك نظراً للظروف والأحداث والمراوغات السياسية وكلها عوامل زادته اصراراً على إعلان نيته فى اختيار المعركة، قالها السادات للمصريين وللرأى العام العالمى .. المعركة ولابديل سوى المعركة[٣] بالرغم من إنه كان يرى إن هناك احتمالاً فعلياً بأن تتورط الولايات المتحدة بالتدخل إلى جانب اسرائيل فى أى مواجهة بينها وبين العرب - وهو ماحدث بالفعل بعد ذلك - ومن ناحية أخرى فقد جاءت مخاطرة اتخاذ قرار المعركة و السادات يتوخى الحذر تماماً تجاه السوفيت ولايريد أن يقطع معهم شفرة معاوية بدليل انه عندما ماسئل فى احدى المناسبات عما إذا كانت مصر تستطيع استئناف المعارك رغم معارضة الاتحاد السوفيتى، فقد أجاب "بأننا وحدنا تماماً الذين نتخذ قرار المعركة، فلماذا نقحم الاتحاد السوفيتى، وعندما نتخذ القرار

فسوف نقبل كل النتائج التى تترتب عليه"[٤]وقد جاء هذا المفهوم مختلفاً تماماً لدى كل من الغرب واسرائيل على السواء فحينما قام السوفيت بترحيل عائلات الخبراء من مصر كان تفسير المعلقين الغربيين والاسرائيليين لهذا العمل إنه إشارة من السوفيت للعرب بأنهم لايودون استمرار التوسط فى مشكلة الشرق الأوسط وإنهم كذلك لايوافقون على أية مغامرة هجومية غير مضمونة العواقب.

ومن الثابت أن مرور الزمن كان أحد المتغيرات التى اعتمد عليها العدو فى اقرار سياسة الأمر الواقع، ومن هنا فابتداء من نهاية عام ١٩٧٢ وبداية عام ١٩٧٣ نجد أن السادات قد جمد الموقف فيمايتعلق بالاتصالات بالولايات المتحدة، وفى ٢٦ مارس ١٩٧٣ أعلن امام المؤتمر المشترك للجنة المركزية ومجلس الشعب مايأتى: "لا أمريكا ولاروسيا .. انتم وحركتكم .. هذه خلاصة الموقف فى الاتصالات الدبلوماسية" وانتهى السادات فى خطابه إلى إنه "من أجل هذا وخلافاً لما كنت اتمناه ورددته كثيراً وصلت إلى قرار، أن أتحمل قدرى بنفسى فى هذه المرحلة، كما يتحمل كل إنسان منكم، واطلب من كل واحد منكم أن يتحمل قدره بنفسه وفى يده .. هذه لحظات فى التاريخ لابد أن يتقدم فيه ا الانسان ويتحمل قدره، ويفعل الله مايريد".

وهكذا افصح السادات عن نواياه تماماً، فلم يكن أمامه من وسيلة يؤكد بها عزمه واصراره سوى أن يطلع العالم على أمر القتال الذى وقعه بامضائه وسلمه إلى وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة وقتئذ وبالرغم من ذلك فقد كانت هناك فجوة تصديق على المستويين الداخلى والخارجى، وأيا كانت بواعثها فقد خدمت هذه الفجوة أغراض المعركة، ذلك أن الرأى العام لكثرة ماقيل له عن المعركة كان لايأخذها مأخذ الجد، ومن مظاهر التمويه التى تم استخدامها حينئذ أيضا الإعلان عن بدء تسجيل اسماء العسكريين المصريين الراغبين فى أداء فريضة الحج والعمرة والاستمرار فى إعطاء الاجازات للعسكريين العاملين على خطوط وقف القتال أو فى قطاعات الداخل ضمن النسب المألوفة فى حالات الاستعداد المماثلة واستغلال حالة التوتر التى سادت الجبهتين بعد تهديدات الاسرائيلين لسوريا واتهامها

بمساعدة الفدائيين الفلسطينين الذين قاموا بعملية معسكر "مشتار" فى النمسا فى أغسطس ١٩٧٣ والعمل تحت غطاء هذه الحالة وما اعقبها من استنفار وخاصة بعد معركة ١٣ سبتمبر الجوية ثم اجراء الحشد بطريقة خداعية، وفى هذا يذكر "اريك رولو" أن القوات المصرية كانت تتحرك نحو القناة فى وضح النهار ثم تترك على خط الهجوم جزءاً من جنودها ومعداتها وتعود بجزء فقط لتعطى انطباعاً بأن جميع القوات التى تحركت نحو القناة قد عادت بالفعل إلى مواقعها الأصلية(٥)، ولقد كشف اللواء سعد مأمون مساعد وزير الحربية فى مصر وقتئذ النقاب عن أن القوات المصرية استخدمت ٦٥ خدعة لتضليل العدو.

حتى كان يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٣ وبمناسبة الذكرى الثالثة لوفاة عبد الناصر القى السادات آخر خطاب سياسى له قبل الحرب ، وفى نهاية هذا الخطاب قال فى اقتضاب واضح : " هناك موضوع ربما تلاحظون اننى لم اتكلم فيه ، وهو موضوع المعركة ، ولقد قصدت ذلك .. لقد شبعنا كلاماً .. اريد أن أقول شيئاً واحداً ... إن تحرير الارض هو المهمة الاولى والرئيسية أمامنا وبعون الله سوف نحققها وسوف نصل اليها " وكانت هذه هى المرة الأولى التى تعمد فيها الرئيس السادات أن تكون اشارته عن المعركة عابرة احتوتها بضعة سطور من خطاب مطول فى ٣٥ صفحة ... وبالرغم من أن الموضوع مصيرى ، فقد ألمح اليه فى عجالة وفى آخر دقيقة من حديث مستفيض استغرق حوالى ساعتين ، وبينما كان الرئيس السادات يلقى هذا الخطاب كان العد التنازلى للمعركة قد بدأ قبل شهر من ٦ أكتوبر ، وكان أمل السادات ينحصر فى " تحطيم الاسطورة الضخمة التى بنتها اسرائيل حول تفوقها الساحق وذراعها الطويلة التى يمكن أن تبطش باية منطقة فى العالم العربى مهما بعدت " وعبر السادات عن مشاعره هذه قائلاً : أما روحى فكانت فى شبه صلاة صامته من أجل اليوم الذى سنحطم فيه جدار الصمت والخوف والرعب والانهزامية ، لقد عقدنا العزم على اجتياح كل ما يعوق مسيرتنا وليكن ما يكون لقد كانت حساباتى تدل على ان المكسب لنا مهما كانت النتيجة (٦) .

وعموماً فقد كان الهدف الاسمى لحرب اكتوبر ١٩٧٣ هو أن يثبت العرب للرأى العام العالمى الذى ضللته أجهزة الدعاية الصهيونية - أن التفوق العسكرى الاسرائيلى ودعوة الأمن القائمة على السلاح لا يمكن أن تقرر مصائر الأمور فى المنطقة ولا أن تفرض على العرب التسليم والرضا بالأمر الواقع (٧) ، وفى كلمات محددة كان هدف السادات هو تدمير نظرية الأمن الاسرائيلية وايقاع أكبر تدمير ممكن بالقوات المسلحة الاسرائيلية وهو ما يشرحه الفريق أول الجسمى تفصيلاً قائلاً: " إن أهداف الخطة قد تضمنت تدمير التجمع الرئيسى للقوات - الاسرائيلية فى سيناء وهزيمته مع تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنه فى معركه طويلة وذلك بالتركيز على أن الهدف هو العدو وقوته العسكرية بحيث تتحطم نظرية الأمن وأن يتم ذلك كله بالمفاجأة الاستراتيجية على جبهتين فى وقت واحد وفق خطط العمليات المصرية والسورية " (٨) .

وفى يوم أول أكتوبر عرض قادة الاسلحة المختلفة مهامهم أمام الرئيس السادات الذى استمع وناقش وتأكد واستوثق منها وسجل التاريخ للسادات قوله لاعضاء المجلس :" سأتحمل معكم المسئولية كاملة تاريخياً ومعنوياً ومادياً ، وفى نفس الوقت فأننى واثق ثقة كاملة فيكم " ورد المشير أحمد إسماعيل على تصريح الرئيس قائلاً :" باسم القادة وباسم القوات المسلحة نعاهدكم ونعاهد شعب مصر أن نبذل أقصى جهد يتحمله بشر لتحقيق النصر لبلدنا " وهكذا إصدار الرئيس السادات قرار الحرب فى هذا الاجتماع التاريخى الذى تحدد تنفيذه بعد خمسة أيام .

وفى يوم ٢ أكتوبر طار المشير أحمد إسماعيل إلى دمشق بوصفه القائد العام للقوات الاتحادية ودرس مع القيادة السورية تنسيق العمل على الجبهتين والتحديد النهائى لساعة الصفر (بدء المعركة) وقد حافظت القيادتان السورية والمصرية على سرية التوقيت والتكتيك المتبع ، أما على الصعيد العملياتى والتكتيكى فقد بقيت المعلومات محصورة فى القيادات العليا ، ولم تصل إلى قيادات القطاعات الكبرى الا قبل ٤٨ ساعة من بدء القتال ، أما قادة القطاعات الصغرى فلم تصلهم

المعلومات الا قبل بدء القتال بساعات ، وكان هذا التخطيط الدقيق للعمليات - قد وضع وفقاً للامكانيات الفعلية للقوات وقدراتها القتالية بهدف تحطيم نظريتين اسرائيليتين اساسيتين وهما نظرية الأمن الاسرائيلى ونظرية النوع ضد الكم [٩] " .

التخطيط الدعائى :

كذلك فقد سبق المعركة تخطيط دعائى رائع يعتمد على الاسلوب الصادق - والهادئ للدعاية العربية والدقة الأمنية والموضوعية فى البلاغات العسكرية والقدرة القتالية التى حطمت اسطورة التفوق الاسرائيلى فى ساعات معدودة ، حتى أن - هنرى كيسنجر - رغم أنه مفكر استراتيجى يرى الواقع من خلال الحسابات الدقيقة - قد خدع هو الآخر فى حقيقة النوايا القتالية العربية حيث ذكر فى لقاء له مع الدكتور / عبد القادر حاتم الذى كان مشرفاً على الجانب الاعلامى آنئذ قائلاً : " كنا نأخذ كل الانباء والمعلومات التى تصدر عن كافة وسائل الاعلام المصرية ، وتغذى بها الحاسب الالكترونى (الكومبيوتر) لنصل الى اجابة محددة عن نواياكم بصدد الحرب .... وفى كل مرة كنا نفعل ذلك كان الحاسب يجيب بالنفى .. لقد نجح الاعلام المصرى فى تضليلنا تماماً " [١٠] .

ومن ناحية أخرى كان اختيار عيد الغفران يوماً للهجوم اختياراً موفقاً حيث تكثر الاجازات فى الوحدات النظامية وينخفض مستوى الاستنفار على جبهات القتال وتصعب التعبئة نظراً لوجود الاسرائيليين فى المعابد أو فى بيوتهم وعدم استماع المتدينين منهم للاذاعة التى تبث عادة اشارات التعبئة ، وهو ما اشارت اليه صراحة جولدا مائير فيما بعد حيث قالت فى كتاب صدر لها بعنوان " حياتى " أنه كان ينبغى التغلب على ترددى والاستجابة الى تحذيرات قلبى بان اصدر امراً بالتعبئة العامة " واضافت :" أننى لن انسى ذلك ابداً " .

كما كان اختيار موعد الهجوم على الجانب الاخر - خلال شهر رمضان - والذى يعتقد الاسرائيليون أن المصريين يلجأون فيه للراحة .. كان ذلك من الأفكار الناجحة

وهو ما خدع القيادات العسكرية والسياسية الاسرائيلية حيث أن موشى ديان وحاييم بارليف ودافيد اليعازر وكذلك رئيس المخابرات الاسرائيلية كانوا قد طمأنوا جولدا مائير - رئيسة وزراء اسرائيل وقتئذ - ازاء عدم جدية الاستعدادات التى كانت تجرى على الجانب العربى .

وهكذا بنت اسرائيل خطتها فى الهجوم على الجبهة المعنوية العربية على أسس ومعتقدات توصلت اليها عن طريق تحليل نتائج الحروب العربية الاسرائيلية السابقة - ومن ثم فقد ظهرت سياستها المتعلقة بالجبهة المعنوية خلال حرب اكتوبر صورة طبق الاصل لمخطط قديم لا يتفق وحقائق العرب التاريخية ولا يأخذ فى اعتباراته نوعية المقاتل المصرى الجديد لدرجة ان رئيف شيف يذكر بهذا الخصوص فيما بعد ان فلاحى وادى النيل قد غدوا صيادى [11] دبابات وقد جاء رد الفعل الاسرائيلى عنيفا سواء على القيادات العسكرية أو السياسية او على الرأى العام الاسرائيلى ذاته لان الانسان الاسرائيلى لم يعد مسبقاً لتلقى الصدمة ولم يعبأ نفسياً كما عبئ فى الحروب السابقة ، ويصور مراسل لوموند فى اسرائل الحالة النفسية التى سادت الرأى العام الاسرائيلى مساء يوم ٥ اكتوبر عندما ما اتخذت القيادة الاسرائيلية بعض التدابير الخاصة بتعبئة القوات الاحتياطية عشية يوم الغفران فيقول : لقد تساءل المواطنون الاسرائيليون ، لماذا الغيت اجازات ابنائنا وبناتنا فى مثل هذا اليوم، ان قيام الجيش باتخاذ مثل هذا التدبير فى يوم الغفران يعنى ان - هناك اسباباً جدية جداً ولكن ماهى ، هل هى التهديدات السورية ، أنها لا تبرر اتخاذ تدابير مفرطة ،هل هى تحركات المصريين على طوال القناة ، إن من المتعذر أخذ هذا الامر مأخذ الجد ، اننا نعرف جيداً أن المصريين غير مستعدين للاندفاع فى مغامرة عسكرية .

وهكذا فعندما اندلعت الحرب فى اليوم الثانى وجاءت الانباء مغايرة تماماً للتوقعات ظهر الشرخ داخل المجتمع الاسرائيلى وكان شرخاً خطراً لانه أصاب قناعات وجدانية عميقة وذلك بعد أن ظل الرأى العام العالمى كله مبلبلاً ومنحازاً

لوجهة نظر اسرائيل بحكم تعودة على هذا الوضع لمدة ربع قرن ، ومن الغريب أن العالم قد صدق بلاغات اسرائيل التى ادعت انها ستطحن عظام العرب وتكسر جماجمهم ، وفى نفس الوقت لم يقتنع العالم حتى هذه الفترة بصحة البلاغات العسكرية العربية على الاقل فى أول يومين للمعركة ، نجد أن الأمور بدأت تتكشف على حقيقتها للرأى العام العالمى فى اليوم الثالث للمعركة حيث بدأ الشك يتسرب الى العالم فى حقيقة البلاغات الاسرائيلية وبالتالى بدأ فى الانصات جدياً للبلاغات المصرية . وكانت جولدا مائير - على ما إتضح بعد ذلك - قد اتصلت بواشنطن تليفونياً وقالت لهم أن اسرائيل فى حاجة الى يومين فقط لتحطم عظام العرب فى مصر وسوريا وبعد الانتهاء من هذه المهمة البسيطة ستطالب اسرائيل امريكا بان تستعوض كل الاسلحة التى فقدتها فى القضاء على العرب ، وطمأنت مائير واشنطن بالا تقلق امريكا على اسرائيل التى تعرف جيداً كيف تتعامل مع العرب ، ومضى يومان بعد مكالمة جولدا مائير ، واتصلت اسرائيل تليفونياً بواشنطن لتقول انها مازالت فى حاجة الى يومين اخرين للقضاء على العرب لانها استخدمت اليومين الماضيين فى التعبئة والحشد بسبب عيد الغفران الذى عطل هذه المهمة خاصة وأن اسرائيل لم تعلن حالة التعبئة ، واكد ديان فى حديثه على حق اسرائيل فى استعراض الاسلحة بعد القضاء على العرب فى ظرف ٤٨ ساعة .

ويذكر السادات فى مذكراته بهذا الخصوص عندما زاره كيسنجر فى القاهرة لاول مرة أخبره بان الشك قد تسرب الى نفسه بعد مكالمة ديان ، فطلب تقريراً عن المعارك من البنتاجون ثم اجرى تحقيقاً مع وزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية والبنتاجون لتقصى الاسباب التى عجزت معها كل هذه الاجهزة العاتية عن التنبؤ بوقوع هذه المعارك الضارية فى مثل هذه المنطقة الحساسة والحرجة .

وفى نهاية مهلة اليومين التى طلبها ديان استغاث السفير الاسرائيلى فى - واشنطن بوزارة الخارجية الامريكية فى رسالة عاجلة تصرخ :" انقذوا اسرائيل " .. واعلن السفير أن اسرائيل فقدت اربعمائة دبابة على الجبهة المصرية والحالة فى غاية

الخطورة لان الطريق اصبح مفتوحاً الى تل ابيب . وانتهت الرسالة التاريخية عند هذا الحد . وعندئذ طلب كيسنجر جولدا مائير بالتليفون وقال لها أن السفير الاسرائيلى فى واشنطون قد ابلغه باستغاثة اسرائيل العاجلة وطلبها اربعمائة دبابة فوراً بدلاً من الدبابات التى فقدتها على الجبهة المصرية . وابلغها كيسنجر ايضاً انه طلب تقريراً عاجلاً من البنتاجون الذى استعان بالقمر الصناعى فى كتابة التقرير ، تشير كل الدلائل الى أن المعركة على الجبهة المصرية تسير فى غير صالح اسرائيل نهائياً ، وأن خسائرها بلغت حداً لا يصدق فهل هذا صحيح ، وهل صحيح أن اسرائيل طلبت النجدة السريعة ؟

اجابت جولدا مائير على كيسنجر بالايجاب وابلغته ان ديان طلب ذلك بناء على موافقة مجلس الوزاراء الاسرائيلى . واعترفت بان اسرائيل فى انتظار الوصول الفورى للدبابات الجديدة حتى تنفذ اسرائيل نفسها من الهوة الرهيبة التى وقعت على حافتها واوشكت على السقوط فيها بالفعل بل أنها استخدمت تعبيراً ذكره دافيد اليعازار رئيس الاركان الاسرائيلى فى مذكراته وهو :" أن اسرائيل فى القاع " عندئذ صارحها كيسنجر براية وقال لها ان على اسرائيل ايا كانت النتيجة النهائية أن تجهز نفسها للاوضاع الجديدة المترتبة على هذه الهزيمة ، ومع ذلك فستبذل امريكا اقصى ما فى وسعها لانقاذ اسرائيل ومساعدتها بكل الوسائل الممكنه ، ولكن جولدا مائير حاولت المكابرة مرة أخرى بادعائها أن - اسرائيل مازالت قادرة على دق عظام العرب وطحن جماجمهم .

غير أنه عندما وصل تقرير البنتاجون الى كيسنجر تأكدت لديه فى الحال الابعاد الاسطورية لعبور القناة واقتحام خط بارليف ودخول قوات مصرية رهيبة ضخمة على مدى ١٨٠ كيلو متراً من بورسعيد الى السويس ، وبرغم المانع المائى - المستحيل والتحصينات الاسرائيلية المنيعة ، والجبهة الطويلة الشاسعة لم تحدث خسائر تذكر للقوات المصرية هذا فى الوقت الذى خسرت فيه اسرائيل ٤٠٠ دبابة فى الايام الاربعة الاولى وانكسر الجيش الاسرائلى نهائياً وظهرت اسرائيل على حقيقيتها

عارية أمام الرأى العام العالمى ليرى كم من الوقت خدعته وغررت به وكانت الخسارة فادحة لدى اسرائيل عندما فقدت أفضل طياريها المدربين فقد جاء الهجوم الاسرائيلى المصحوب بالطائرات وبالا على اسرائيل اذ وقعت الطائرات - الاسرائيلية فى المصيدة التى نصبها الطيارون المصريون بالاشتراك مع قوات الدفاع الجوى ، وكانت الطائرات المصرية من طراز ميج ٢١ذات السرعة الاقل من الصوت قادرة على اسقاط طائرات الفانتوم الامريكية التى تفوق سرعتها سرعة الصوت ، وهذا يرجع إلى القضاء على أفضل الطيارين الاسرائيلين فى الموجات الاولى للهجوم ، مما دفع باسرائيل الى تجنيد الطيارين الجدد على الفانتوم بحيث اصبحوا لقمة سائغة للطيارين المصريين .

المأزق الإسرائيلى :

لم يقتصر الامر على ضياع خرافة السلاح الجوى الاسرائيلى وتحطيم وسحق الجندى الاسرائيلى ، بل أن شهرة المدرعات الاسرائيلية دفنت فى الاوحال وهى تفر مذعورة أمام المدرعات المصرية لدرجة أن قائد المدرعات الاسرائيلية الشهير ابراهام مندلر لقى حتفه على الجبهة المصرية بعد أن ظل يستغيث بالاشارات العاجلة ولكن لم يكن هناك فى اسرائيل من ينجده ، أو حتى يسمع صرخاته المذعورة التى طغى عليها هدير المدرعات المصرية وحكاية هذه الاشارات المتبادلة معروفة جداً فى اسرائيل ونشرت بالفعل هناك ، وكان الاسرائيليون يتباهون بمدرعاتهم ويقولون انها صنعت لتقهر وتتقدم ، ولم ولن توجد المدرعات التى يمكن أن تعترض طريقها ، وطالما قالوا انها احسن من البانزر الالمانى التى حازت على شهرة مدوية فى الدوائر العسكرية العالمية ،وقد طلبت اسرائيل من الولايات المتحدة العمل باى شكل على ايقاف اطلاق النار حتى تسترد انفاسها وتعاود الهجوم ، ولكن الامور سارت على غير ما تشتهى اسرائيل وتواليت الانتصارات المصرية يوما بعد يوم .

ولان الهزيمة يتيمة بينما للنصر ألف أب فلقد كان طبيعياً أن يتساءل الاسرائيليون وهم يدفنون قتلاهم الذين فاق عددهم هذه المرة كل التقديرات عن أب لهزيمة التدابير الامنية التي ادت وقوع الزلزال الذى اصاب الاسرائيلين نتيجة للحرب ، وقد عبر ديان آنئذ عن حقيقة الاوضاع الداخلية قائلاً : "لقد انتهى الهيكل الثالث " وقد مس هذا الزلزال كافة جوانب البناء الاجتماعى وهو الذى اسماة الاستاذ يعقوب تالمور استاذ التاريخ الاسرائيلى الشهير " حساب الذات " فلقد رأى الاسرائيليون الجيش - قدس اقداسهم - الذى طالما اعتبروه اساس الحياة الفاضلة وهو يواجه مشاكل سوء الادارة ونقص التخطيط والعجز عن المواجهة ، وفى اعقاب الحرب نشبت موجه عارمة من النقد اشتركت فيها اطراف عدة من جنرالات وسياسيين ومفكرين وصحفيين وجنود ، وتناولت كافة الموضوعات من وضع اقتصادى ، وسياسية خارجية واتجاهات فكرية حتى لقد انتقد المتخصصون فى الشئون العربية الذين قدموا صورة سلبية عن العرب مثل هاركابى وتامير .

ولقد اشارت اصبع الاتهام منذ البداية ، إلى ثلاث اتجاهات : موشى ديان وهيئة اركانه ، المخابرات الاسرائيلية ، الدولة ككل . وتشكلت لجنة " اجرانات " رئيس محكمة العدل العليا فى اسرائيل لتحديد الخطأ والمسئولية . ولقد بدأ وزير خارجية اسرائيل حينئذ " ابا ايبان " الهجوم على "ديان" غداه اندلاع الحرب معلناً " أن ديان يتحمل مسئولية فشل اسرائيل واننا كنا نعيش فى وهم الدولة القوية منذ عام ١٩٦٧ " وفى هذا كتب الاستاذ " أمنون روبنشاين" عميد كلية الحقوق بجامعة تل أبيب " إن وزير الدفاع يتحمل مسئولية كبيرة عن أكبر فشل عرفته اسرائيل فى تاريخها وأن كلمة " تقصير " لا تلخص فشله ، والكلمة الملائمة أكثر هى " اهمال كبير " فلقد أهمل المهمة التى كلف بها وهى : تحمل مسئوليةَ أمن أسرائيل أما الثمن الذى دفعناه مقابل هذا الخطأ فهو أكبر من ان نستطيع وصفه " (١٢) .

ولقد انبرى " ديان " للدفاع عن نفسه وتخفيف حجم الخطأ الذى أرتكبه عندما صرح امام رؤساء تحرير الصحف الأسرائيلية قائلا : " هناك امر واحد مؤكد لم يتم

كما كنت اعتقد ، قدرتنا على وقف بناء الجسور على القناة ، كانت لنا نظرية حول هذا الأمر ، ولعلى أقول أن نظريتى كانت تتمثل فى أنهم سيضطرون إلى العمل ليلة كاملة لاقامة الجسور ونستطيع منعهم بواسطة مدرعاتنا . واتضح انهم بمساعدة جميع المعدات التى يملكونها ، وفى الاساس السلاح الفردى ضد الدبابات والذى يعمل على مدى ثلاثة كيلومترات والذى يستخدمه الاف الجنود ، استطاعوا اصابة معظم دباباتنا بهذا الصاروخ ، كما انهم كانوا متمركزين وراء الحاجز الترابى ولم يتيحوا لدباباتنا المرور واتضح من كل هذا أن الامر ليس سهلاً وقد يكلفنا الاقتراب بالدبابات من القناة لمنع اقامة الجسور ثمناً باهظاً " ويستطرد ديان قائلاً " قبل أن يتم هذا العمل كنا نفكر فى طريقة واحدة ، وفى اثناء العمل اتضح أن الامر يختلف".

ولم يتوقف "ديان" عن محاولة تبرئه نفسه والدفاع عن تدابيره الامنية والخطط التى جابه بها الحشود العربية والقاء الاتهامات على القادة المنفذين قائلاً : (صدر امر الاستعداد قبل يوم الغفران .. قبله بكثير .. هذه مشكلة تنفيذ وليست مشكلة تقييم (١٣) " غير أنه عندما سئل عن تعبئة الاحتياط قال :" ثم تجنيد الاحتياط فى اللحظة التى حصل فيها المسئولون عن معلومات بان الحرب ستنشب (١٤) ، وليس قبل ذلك ، لانهم لم يفترضوا بان الحرب ستنشب (١٥) " وواضح مدى التناقض بين أقوال ديان هذه وبعضها البعض وايضاً بين هذه الاقوال وما ذكرته جولدا مائير فى كتابها " حياتى المتداول فى الاسواق العالمية بانها ستظل نادمة مدى حياتها لانها لم تنصت الى تحذيرات قلبها حينئذ وتصدر امراً بالتعبئة العامة كما سبقت الاشارة .

أما زئيف شيف فهو من الاتجاه الاخر الذى القى عبء المسئولية على المخابرات الاسرائيلية التى عجزت عن فهم التحولات الجذرية داخل المعسكر العربى عشية حرب يوم الغفران ناجماً عن استنتاج خاطئ بان المصريين مازالوا فى الوسع الذى تركناهم عليه فى نهاية حرب الاستنزاف ، أى غير مستعدين لحرب شاملة خوفاً من أن يهزمهم سلاح الجو الاسرائلى " .(١٦)

وكان زئيف شيف قد اتهم المخابرات الاسرائيلية قائلاً : " بان الخطأ لا يعود الى عشية الحرب بل ان الخطأ بدأ يوم انتهت حرب الايام الستة ، أن المفاجآت كانت فى تلاقات القوى ومستوى جندى المشاة المصرى ، والفاعلية المدمرة للسلاح المضاد للدبابات الموجودة لدى سلاح المشاة لا تحدث فجأة بين رأس السنة ويوم الغفران ، بل أن مثل هذه المفاجأة يمكن ان تحدث فقط نتيجة خطأ استمر زمناً طويلاً (١٧) .

كذلك هاجم رئيس الاركان " دافيد اليعازار " المخابرات الاسرائيلية فى مقابلة تليفزيونية قائلاً :" فى هذه المرة كان الانذار قصيراً جداً وغير كاف " .

وحينما دخل حاييم بارليف طرفاً فى الجدل راح يقول :" إن نجاح العدو المفاجئ سواء فى سيناء أوفى هضبة الجولان لم تنبع على كل حال من انعدام المعلومات ، او من وجود مفهوم عملياتى غير صحيح لدى الجيش الاسرائيلى أومن خطأ فى تقدير وتقييم نسبة القوى ، أومن استخدام اسلحة غير معروفة ، أومن قدرات - غير متوقعة لجيوش مصر وسورية وانما تنبع من حقيقة كون نظام الدفاع للجيش الاسرائيلى لم يكن فى الساعة المصيرية لبداية الحرب بكامل الاستعداد الذى يتطلبه خطر حرب شاملة " . (١٨)

وعلى أى حال فمهما كانت فداحه خطأ القيادة العسكرية الاسرائيلية ووزير الدفاع والمخابرات الاسرائيلية فانه من المستحيل فهم وقوع خطأ كبير بهذا الحجم دون البحث عن مسئولية الحكومة بل والنظام بكل مؤسساته وبالتالى المناخ السياسى الذى اشاعته الحكومة داخل اسرائيل وفى هذا المجال يقول " اهارون كوهين " أحد المستشرقين البارزين " ان التقصير فى المجال العسكرى يعود اساساً الى خطأ فى النظرة السياسية ، فمنذ أكثر من ستة أعوام كانت السياسة الاسرائيلية محصنة وراء سور من انعدام المبادرة السياسية ، وغارقة فى منطق القرار بعدم اتخاذ قرار والمناورة اساساً لكسب الوقت ، وقد كانت احدى المسلمات ان "الوقت يعمل لمصلحتنا " وقوبلت مبادرات الاخرين السياسية مثل الدكتور / يارنج ورؤساء افريقيا وغيرهم برد حاسم : " العرب يعرفون عنواننا " (١٩) .

الاعلام العربي :

وهكذا جاءت حرب اكتوبر كأول رد فعل عربي قتالي ضد اسرائيل وذلك بعد ان ظل العرب طوال سنوات الصراع يقبعون دوماً في اسر ردود الفعل اتجاه ردود - فعل اسرائيل ، وهي وان كانت بالفعل أول حرب من حروب الصراع لا تنتصر فيها اسرائيل ولا ينهزم فيها العرب "اللا نصر واللا هزيمة " فانها بالتأكيد الحرب التي استعادت القوة العربية من خلالها وزنها الاستراتيجي في المنطقة [٢٠] وذلك من خلال عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف والجولان وما صاحب ذلك من ظهور امكانية نامية لحل مشاكل التخلف التكنولوجي [٢١] فضلاً عن تبلور حد ادنى من وحدة العمل العربي لم يحدث ان برزت على هذا المستوى من قبل " - وذلك على الرغم من التباين الاجتماعي والسياسي بين الدول العربية - فقد جاءت تحركات الدول العربية وقراراتها اثناء المعاركة وبعدها لتعطى هذه المعركة ما تسمح بها امكاناتها وظروفها ولتتخذ المواقف التي تتفق مع ما تراه افضل لقضية العروبة ، كما تزايد النشاط - الدبلوماسي على أعلى مستوى شمل .كافة الدول والقادة ، فمصر وسوريا تحاربان بكافة مواردها البشرية والمالية في تنسيق متكامل وتحت قيادة موحدة ، واعلنت العراق حالة الطوارئ ودعت إلى وقف تصدير النفط الى الولايات المتحدة بل وأوقفته بالفعل وفي السعودية وضع الملك فيصل الجيش في حالة تأهب وأمد الدول المحاربة بدعم مالي ونفذ كل القرارات لخفض انتاج النفط ثم حضر مؤتمر القمة العربي في الجزائر في شهر نوفمبر ١٩٧٣؛ على أن الملك فيصل هو الذي قام بدور تاريخي مجيد في هذه الحرب وهو الذي اصر بحزم وحسم على استمرار قرار حظر البترول على الولايات المتحدة ما لم يحدث تحول واضح في موقف الولايات المتحدة من مشكلة الشرق الاوسط ، وقد اعاد اليه هذا الدور لقباً محبباً " وهو أمير المؤمنين" فجاءت دعوته للصلاة بالقدس دعوة سياسية دينية اجتذبت عطف وتأييد العالم العربي - ١٢٥ مليون نسمة - والعالم الاسلامي - ٤٧١ مليون نسمة - وهو ما جعل لمشكلة القدس أولوية خاصة .

أما الكويت فقد اشتركت قواتها الموجودة فى جبهة السويس فى القتال منذ بدايته كما اشتركت قوة مدفعية كويتية فى القتال على الجبهة السورية وقدمت دعماً مالياً الى مصر واستأنف معونتها للأردن واستجابت لقرار تخفيض انتاج النفط بنسبة ٢٣٪ مع فرض الحظر على الولايات المتحدة وهولندا ، وعقد فى الكويت مؤتمر قمة عربى محدود من السادات والاسد والشيخ الصباح .

وابلغت دولة اتحاد دولة الامارات العربية مصر وسوريا انها تضع كل مواردها تحت تصرفها كما استجابت لقرارات خفض انتاج البترول ومنعته كلياً عن الولايات المتحدة وهولندا واضطرت الشركات الامريكية والاجنبية ازاء هذا الشعور الفياض أن تبعث ببرقية احتجاج الى نيكسون تدين فيها موقف الولايات المتحدة من العرب .

وقامت البحرين هى الاخرى بإيقاف تصدير النفط الى الولايات المتحدة وهولندا ، واستجابت قطر هى ايضاً لقرارات تخفيض البترول وبالمثل فعلت سلطنة عمان ، وجاء تعاون دولتى اليمن - وقتئذ - فى فرض الحصار على باب المندب نصرا عربياً فى حد ذاته بعد ما ساد بينهما من خلافات ونزاع .

وباختصار فان البترول أدى دوره المنشود فى الصراع ، وتعتبر حرب اكتوبر خير شاهد حيث تسيس البترول لأول مرة واصبح سلاحاً سياسياً حاسما بعد ان كان ذلك من المستبعد بل من الميؤس منه تماما .

كذلك فقد اعلنت بقية الدول العربية تأييدها الكامل لمصر وسوريا ، اما القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية فقد اعلنت ان قواتها دخلت المعركة ضد اسرائيل واشتركت فى معارك ضارية على طول امتداد المواجهة فى القطاع الشرقى كما تمكنت المقاومة حينئذ من تعطيل اذاعة اسرائيل الناطقة بالعربية كما صدرت بلاغات - عسكرية عن عمليات عديدة واعلنت جولدا مائير ان الفدائيين الفلسطينيين قاموا بأكثر من ١٠٠ هجوم على ٤٧ مقراً على الحدود الاسرائيلية .

وهكذا فتحت صفحة جديدة فى تاريخ العرب المعاصر تشمل اقدام العالم العربى على استخدام امكاناته الذاتية وتعكس تماسكاً عربيا ادهش الرأى العام العالمى واثار احترامه ولم يأت استخدام سلاح البترول - بصورته الاستراتيجية والتكتيكية عفوا أو ارتجالا وانما جاء بناء على تخطيط على أعلى مستوى قبل بدء العمليات العسكرية بشهور ، وعندما وضعت الجيوش العربية يدها على سلاحها يوم ٦ أكتوبر وضعت الأمة العربية فى نفس الوقت يدها على مفاتيح مستقبلها ، وعبر الموقف العربى فى المؤتمر التاريخى الذى عقده وزراء البترول العرب فى الكويت فى ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ - عن التضامن والتكامل العربى فى ضرورة استخدام سلاح البترول بذكاء ومرونة وايجابية مع الحفاظ على سلامة اقتصاديات الدول العربية المنتجة للبترول وهو ما أدى إلى آثار بترولية هامة جاءت نتيجة لعوامل عدة اهمها حالة الحرب التى ادت إلى توقف نسبة فى الانتاج فى الدول المتحاربة فتوقف انتاج سوريا بالكامل كما توقف انتاج حقول منطقة خليج السويس كذلك توقفت صادرات الخام العراقى نتيجة لقصف اسرائيل مينائى طرطوس وبنياس ومما ترتب عليه من تعطيل شحن حوالى مليون برميل يوميا بالاضافة إلى قرار وزراء البترول العرب فى ١٧ اكتوبر ١٩٧٣ بتخفيض الانتاج وقطع البترول العربى عن كل من الولايات المتحدة وهولندا وقد ادى ذلك بالتالى الى ارتفاع اسعار البترول الذى لم يكن هدفا اساسيا للسياسة العربية البترولية حيث استفادت منه شركات البترول اكثر مما استفادت الدول العربية ثم حاولت هذه الشركات استغلال الموقف البترولى على ان هذه العوامل جاءت بمجموع من الاثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والسلوكية فى العالم كله ، فأعلن نيكسون ان أوربا واليابان سوف تتجمدان حتى الموت خلال الشتاء بسبب أزمة الطاقة وبدأ المواطن الامريكى والاوروبى يشعران انهما أصبحا من ضحايا أطماع اسرائيل ، ونشرت الصحافة الامريكية عددا من الخطابات وصلتها بهذا المعنى وبالتالى ظهرت بوادر تنبئ بأن الولايات المتحدة قد بدت أقل تمسكا باصرارها على أن اسرائيل حامية مصالحها فى المنطقة وسجلت بورصة الاوراق المالية فى نيويورك انخفاضا بالغا ١٠٠,٠٠٠ مليون دولار فى اسبوعين .

وفى بريطانيا كتبت موسوعة "چينز" تقول : ان احتمال حدوث مجاعة عالمية فى البترول يمكن أن يغير وجه الحرب الحديثة لانه سيحرم قوات العالم من نحو ٩٠٪ من قدراتها على الحركة وقالت الموسوعة ايضا ان نقص البترول سيترتب عليه الحد من استخدام الدبابات والطائرات والوسائل البحرية مما قد يؤدى الى اعادة تقييم الحرب الكيميائية والبيولوچية ، واضافت الموسوعة ان حدوث مجاعة عالمية فى البترول يمكن ان يؤدى الى مواجهة بين القوى العسكرية الكبرى فى منافستها للسيطرة على الامدادات من الدول المنتجة للبترول .

وعموما فقد اثرت القرارات البترولية الخاصة بالخفض تأثيراً بالغ الخطورة على مناطق الاستهلاك الرئيسية لهذه السلعة الاستراتيچية فى الولايات المتحدة وهولندا وأوروبا الغربية واليابان وكان هذا التأثير ذا اثر ملموس وبعيد فى الوقت ذاته وبدأ الرأى العام العالمى يشعر انه من الصعب ان يحس بالامن أو بالدفء والرخاء بينماهناك ملايين من البشر يعانون من الظلم أو الاحتلال ويعيشون أكثر من ربع قرن فى الخيام ، واجمالاً ، وبمقارنة خريطة اكتوبر ١٩٧٣ مع خرائط الحروب الثلاثة وخاصة بعد حرب يونيو ١٩٦٧- يتضح لنا اثر ما نسميه بالمتغيرات الدولية والمتغيرات الدولية تعبير جديد عما كان يسمى فيما نقرأ وندرس بتغير ميزان القوي الدولية وهى عملية مستمرة عبر التاريخ تحدث تغييراً فى اعقاب الاحداث الكبرى مثل الثورات السياسية أو الاجتماعية الكبرى ومثل المخترعات العلمية ... الخ وتظهر هذه الآثار بشكل واضح فى اعقاب الحروب .

وفى خلال هذه الفترة سمعنا وقرأنا كثيراً أن الدول ترسم سياستها الخارجية فى ضوء هذه المتغيرات الدولية ... فى ضوء انهاء الحرب الباردة التى سادت العلاقة بين المعسكر الشرقى والمعسكر الغربى ربع قرن من الزمان ... فى ضوء تخلخل عملية الاستقطاب الدولى وانتهاج كثير من الدول المتوسطة والصغيرة طرقاً سياسية واقتصادية تتعارض احيانا مع الطرق التى تسلكها احدى الدولتين الرئيسيتين .... وفى ضوء مرحلة المهادنة او الوفاق التى سادت العلاقات الدولية بوجه عام ..

وعندما نشيد بخط معين فى السياسة الخارجية نقول انه خط برسوم فى ضوء المتغيرات الدولية الراهنة ، وعندما ننتقد خطا اخر فى السياسة الخارجية نقول ان الذين يرسمونه يجهلون اويتجاهلون ما وقع فى المسرح العالمى من متغيرات دولية .

خريطة أكتوبر والرأى العام العالمى :

ماذا وصلت اليه خريطة اكتوبر ١٩٧٣ بمقارنتها بخرائط الحروب الثلاثة الماضية- وخاصة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، او بمعنى آخر ما هى الحقائق الموضوعية التى تتضح لنا اذا اخذنا فى الاعتبار اثر المتغيرات الدولية .

جواب هذا السؤال ببساطة يمكن فى النقاط التالية :

أولاً : على مستوى الحليفين المباشرين [٢٢] العالميين لاطراف الصراع : فقد حدث تبادل فى المواقع الكيفية بينهما ، فاصبح الاتحاد السوفيتى السابق فى وضع المطمئن والمحدد لسياسته فى ضرورة انهاء الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية بعد عام ١٩٦٧ - والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وعلى العكس من ذلك اصبحت الولايات المتحدة فى وضع قلق وسياستها تتأرجح بين السعى لوقف اطلاق النار والعودة - لحدود ٦ اكتوبر وبين الدعوة لوقف اطلاق النار مع بقاء القوات المتحاربة فى مواقعها الحالية وبين محاولة الى تسوية سليمة ونهائية للازمة تضمن لاسرائيل حق الوجود والاستمرار .

على أن سياسة الوفاق بين الحليفين العالميين المباشرين قد ايقنت تماماً بان الخطر فى المنطقة قد يعرضهما لمواجهة احداهما الاخرى ، ونتيجة لهذا الوفاق اتفق الحليفين العالميين المباشرين لاطراف الصراع - الولايات المتحدة - والاتحاد السوفيتى - على موقف واحد بالنسبة لاسرائيل والدول العربية ، فأكد الاتحاد السوفيتى تمسكه بالوجود الاسرائيلى فى المنطقة واضاف استعداده لحماية هذا الوجود حتى يتفق مع نفس الموقف الذى تتخذه الولايات المتحدة على ان تكتفى الدولتان بالرجوع فى تصريحاتهما وتبرير موقفهما الى قرار مجلس الامن ٢٤٢ وقرار ٣٣٨ من خلال

الاتصالات الدبلوماسية والاجتماعات الدولية ، وبعد هذا لا يهم اذ حلت المشكلة أولم تحل ، أى ان المهم ليس السلام بين العرب واسرائيل ولكن المهم هو السلام بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة .

ثانيـاً : زيادة كم ووزن كتلة الحياد فى اوروبا الغربية بين العرب واسرائيل وبمعنى اخر فان المواطن الاوروبى بدأ يستشعر - وربما لاول مرة - ان تحامله على العرب وتحيزه إسرائيل يمكن ان يضر بمصالحه الشخصية ... والدول العربية فى مجموعها تقريباً قد ارتبطت اما بانجلترا واما بفرنسا واما بايطاليا - وحينما فك هذا الارتباط بفعل التطور وحقائق العصر لم يحمل العرب فى انفسهم ضغينة ولا شرا لاوروبا الغربية وتضافر الصهيونيه العالمية فى خلق هوة واسعة بين الاوروبيين والعرب دون منطق من التاريخ اومبرر من المواقع . وقد اصبحت الحكومات المعتدلة والمنصفة فى اوروبا فى مركز اقوى وافضل فى مواجهة القوى الضاغطة فى بلادها وفى مواجهة فئات مواطنيها المتميزين لاسرائيل وهذا الموقف امكنها ان تصل اليه بفضل الدبلوماسية الهادئة والمصالح البترولية بالعالم العربى وحتى بالنسبة للدول البعيدة عن منطقة الصراع - امكنها من خلال الازمة ان ترى حقيقة ابعاد مصالحها الحالية والمستقبلة فى العالم العربى ، وهكذا صار الحياد فى اكتوبر ١٩٧٣ هو القاعدة العامة فى دول السوق المشتركة واوروبا الغربية بصفة عامة والاستثناء هو تحيز هولندا الى اسرائيل بعكس الحال عام ١٩٦٧ حيث كان حياد فرنسا هو استثناء من القاعدة العامة فى اوروبا .

ثالثـا : زيادة كم ووزن دول العالم الثالث وخاصة فى آسيا وافريقياً التى ربطت بين حركة تحررها وتقدمها وحركة التحرر العربى فى مواجهتها للخطر الصهيونى الامر الذى بلور مواقفها السياسية فى انهاء الاحتلال الاسرائيلى للارض العربية والاعتراف بالحقوق القومية المشروعة للشعب الفلسطينى ، وقد حققت حرب اكتوبر فى العالم الثالث ما كانت تسعى اليه الدبلوماسية العربية فى سنوات وعلى سبيل المثال ، فانه عشية اندلاع حرب ١٩٧٣ لم يكن لاسرائيل علاقات دبلوماسية سوى

مع اربع دول اعضاء فى منظمة الوحدة الافريقية ، وفى افريقيا ايضا نجد ان " حركة افريقيا الجديدة " كانت من اقسى اللطمات التى حلت باسرائيل نتيجة للحرب الى حد جعل موشى ديان يقول :" اننا لابد ان نفيق من الخيال الذى وضعتنا فيه حرب يونيو ١٩٦٧ لنواجه الواقع الذى فرضته حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، ونعيش معه ، ان العالم قد تغير من حولنا ، فهناك سلاح البترول الذى استعمل ، - وهناك قوة العرب التى ظهرت وهناك مواقف جديدة لابد ان يحسب حسابها " .

رابعــاً : حدث تبادل فى المواقع الكيفية بين اطراف الصراع المباشر ، فمصر وسوريا والعرب - لاول مرة - فى مركز الهجوم بينما اسرائيل والصهيونية - لاول مرة ايضاً - فى مركز الدفاع .

ويقينا فان الفضل يرجع بالدرجة الاولى الى صانع قرار العبور الذى كسب مكانته وشعبيته - مثلما كسب الحرب - بالعرق والجهد والعمل والالم وبالانجازات الملموسة وبالتدريج خطوة خطوة ، ومن هنا فقد اختلف السادات عن بعض الزعامات الاخرى ففضلاً عن اتسامة بالواقعية وهى صفة شاركه فيها اوعلى الاصح اشترك هو فيها تماماً مع الشعب المصرى ، وانعكس ذلك على الهوة التى اوقع فيها الاسرائيلين قبل وبعد حرب اكتوبر وبرجلتهم a confuse بعدم اعطائهم خطأ سياسيا وواحداً Ligne Politique وتعامله باستمرار مع الاسرائليين من مواقع ديناميكية -positions dya mique أو ما يطلق عليه ديناميكية السوائل dynamics of liquidated matters ومن هنا فقد جاءت زعامة السادات مختلفة مع زعامة سلفة عبد الناصر الذى كان يسير على خط سياسى واحد [٢٣] one political line of rigid positions . ذو مواقع جامدة position static وقد تابعنا ذلك فى تعقب حرب اكتوبر أو حرب المفاجأة وكيف لعب التمويه والخداع دوراً جوهرياً فى قلب - التوازن لصالح العرب وهو ما كان بداية النصر بفضل تخطيطه العلمى المدروس للاعلام المصرى خلال هذه الفترة التى سبقت الحرب وخلال الحرب ذاتها حيث كانت تعليماته لأجهزة الاعلام بتوضيح الحقائق كاملة بمرها وحلوها ، امام الرأى العام وكانت وجهة نظره فى ذلك انه " قد آن الآوان

لكى يتعود شعبنا على سماع الحقيقة وتقبلها مهما كانت " وقد انعكس ذلك كله على امتلاك الجانب العربى لزمام المبادرة فى كل من الميدان العسكرى لاستمرار التقدم والقتال) ، وفى الميدان السياسى (اعلان تحرير الارض المحتلة واقرار حقوق شعب فلسطين) ، على حين ظل الجانب الاسرائيلى فى حالة رد الفعل ، عسكرياً وسياسياً لفترة طويلة (تكرار تغيير القيادات العسكرية والسياسية - التصريحات المتناقضة) .

كذلك فقد نجح السادات فى فرض نوع من الوفاق العربى امكن من خلاله تسكين الصراعات السياسية والاجتماعية داخل الوطن العربى باعتبار ان الصراع العربى الاسرائيلى لا يعنيه فى قليل أو كثير حسابات الرجعية والتقدمية وانما الذى يعنيه هو وحدة جميع القرى العربية وبالذات الاكثر فاعلية فى الصراع ضد الاحتلال الاسرائيلى ويستوى عنده ان تكون هذه القوى جمهورية أو ملكية ... اشتراكية او رأسمالية أو حتى اقطاعية مادامت تؤدى دورها فى مواجهة اسرائيل من جانب وفى مساندة ودعم القتال المصرية والسورية والفلسطينية من جانب آخر ، ومن هنا كان السعى الحثيث والدائب من جانب السادات من اجل تحقيق ولو حد ادنى من المصالحة بين النظام الاردنى وبين الثورة الفلسطينية وذلك وصولاً الى " موقف عربى موحد :" سواء فى التعامل مع سياسة الخطوة خطوة أو عند الذهاب إلى مؤتمر جنيف، وفى اطار لم شمل القوى العربية لغرض نوع من الوفاق العربى كانت رؤية السادات بضرورة أن تكون حركته محررة من كل قيد اللهم الا الالتزام بالاطار الذى يمنع التنازل عن اى شبر من الارض المحتلة أو المساومة على حقوق شعب فلسطين أو التنكر لمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثلة الشرعية الوحيدة للشعب الفلسطينى ، ومن هنا لم يعترف باى وجود فلسطينى آخر خارج كيان منظمة التحرير الفلسطينية وفى نفس الوقت لم يطالب السادات منظمة التحرير بتأييده ومساندته فى كل حركة من حركاته السياسية ولكنه طالب المنظمة - فى حالات الخلاف - ان تعمد الى مناقشته وليس الى اصدار بيانات بالادانه سواء بطريق مباشر أو غير

مباشر ، وقد وقع بالفعل صدام بين السادات والمنظمة فى اوائل عام ١٩٧٥ حيث هاجمت المنظمة ما اسمته " بسياسة مقايضة جزء من الارض العربية المحتلة بالقضية كلها " وامتنع السادات عن مقابلة الوفد الذى بعثت به المنظمة الى القاهرة وطالب باجراء مناقشة شاملة مع اللجنة التنفيذية للمنظمة بكامل اعضائها وقال :" ان هناك جهات انا لا اريد تسميتها تريد ان تفتعل خلافاً بين مصر والمقاومة عن طريق الايحاء الفلسطينى ان بيننا خلافاً فى التكتيك أو - الاسلوب ... فليس هناك احد يستطيع الادعاء اننا غير ملتزمين بالخط الاستراتيجى السياسي ولسنا بحاجة الى الدفاع عن انفسنا هذا الموضوع لان مسئوليتنا التى حملناها منذ اكثر من ٢٥ سنة وماضحينا به معروف للجميع وهذا ليس منة وانما حقيقة واقعنا بشكل لا يتصوره بشر " . (٢٤)

مؤتمر جنيف والرأى العام الفلسطينى :

طالب الرئيس السادات منظمة التحرير الفلسطينية ان تحسم موقفها بوضوح من مؤتمر جنيف : هل تقبل المشاركة فى اعماله ام لا وذلك دون انتظار - لدعوتها الى ذلك رسمياً من قبل الدولتين المترأستين للمؤتمر وهما الاتحاد السوفيتى السابق والولايات المتحدة ، ذلك ان اعلان المنظمة المشاركة من ناحية المبدأ يسهل - فى تقدير السادات - قضية توجية الدعوة ويضع اسرائيل فى مأزق من ناحية ويحرج الولايات المتحدة من ناحية أخرى ، واذا نفذ ذلك فان السادات رأى امكانية ان تمثلهم- يقصد منظمة التحرير الفلسطينية - وفداً من جامعة الدول العربية قائلاً "وانى احاول تسهيل الامر كله من خلال تجربة عدة اساليب حتى لا تصل الى حالة الجمود ، ولكن ينبغى ان تحظى الصيغة بموافقة الفلسطينين فى نهاية الامر " (٢٥)

كذلك جدد الرئيس السادات ضغطه بعد حرب اكتوبر فى اتجاه ان تقيم منظمة التحرير الفلسطينية " حكومة فلسطينية مؤقتة " لان تكوين هذه الحكومة فى تقديرة يساعد على " انهاء خلافات فى الساحة الفلسطينية والخروج من حالة انفصام

الشخصية " ، فضلا عن اقامة الحكومة " يسهل كثيراً دعوة الفلسطينين الى مؤتمر جنيف لانه بقيامها تنال الاعتراف الدولى وتسقط الحجة الاسرائيلية القائلة بان مؤتمر حكومات والفلسطينيون منظمة ثورية ، فكيف يمكن اشتراكهم ؟" (٢٦)

وكانت منظمة التحرير الفلسطينية قد رفضت اقتراح تكوين الحكومة المؤقتة قبل اندلاع حرب اكتوبر على اساس انها تقسم الصف الفلسطينى ولكنها عادت بعد حرب اكتوبر والاعتراف بها كعضو مراقب فى الامم المتحدة تعلن ان القضية موضع دراسة ولكنها ليست فى عجلة من امرها .

ومن هنا اختلفت الاراء والافكار العربية حول مؤتمر جنيف وحقوق الشعب الفلسطينى وعما اذا كان هذا المؤتمر يعتبر تحولا فى النزاع العربى الاسرائيلى فالبعض افترض أن المؤتمر يعتبر فرصة تاريخية نادرة لحل هذا الصراع وانه لن تتوفر للمشكلة الفلسطينية فرصة مثلها فى تاريخ العلاقات الدولية بينما اعترض اخرون على هذه الاراء حيث لا يعتبر المؤتمر فرصة نادرة فسوف تأتى فرص عدة فى المستقبل والمؤتمر فرصة منها ، اما القول بإن المؤتمر فرصة تاريخية وفرصة نادرة فهذا مبالغ فيه فالتاريخ ملئ بالف فرصة نادرة وغير نادرة وبالتالى فان اصحاب هذا الرأى يذهبون الى القول بانه اذا كان علينا ان نحكم على ضوء التاريخ فان محاولات اقامة نوع من العلاقات السياسية بين الطرفين الاساسيين فى المشكلة الفلسطينية وهما الفلسطينيون فى - الاساس والصهيونية كطرف آخر وان تاريخ مثل هذه المحاولات يعود الى عام ١٩١٣ حيث امتلأت هذه الفترة بالفرص النادرة ومن الممكن فى هذا المجال ذكر محاولات مائدة سان جيمس ومحادثات لجنة التوفيق الدولية وبالتالى لا يعتقد هذا الفريق ان المؤتمر اخطر من المحاولتين السابق ذكرها فالمؤتمر ليس بالفرص النادرة التى ستحقق امانى الفلسطينين كاملة . (٢٧)

واذن فان السؤال التالى هو هل من الممكن معالجة المشكلة الفلسطينية فى المؤتمر خارج اطار القرار رقم ٢٤٢ الذى يعالج مشكلة فلسطين ياعتبارها " مشكلة لاجئين " بمعنى انه حتى فى حالة حضور منظمة التحرير الفلسطينية المؤتمر وابداء رايها من

داخله ، فان القرار ٢٤٢ غير كاف لايجاد حل يضمن الحقوق القومية والوطنية للشعب الفلسطينى ، فهل ممكن معالجة المشكلة خارج اطار هذا القرار؟

والإجابة على هذا السؤال تكمن فى أن كل الامور تفسر حسب الظروف فاذا كانت حركة المقاومة الفلسطينية قوية بشكل يفرض احترامها على الجميع فان مؤتمر جنيف سيجد فى القرار ٢٤٢ تفسيرات لهذه القوة ، واذا لم تكن قوية فسيجد تفسيرات لهذا الضعف ، بمعنى ان المؤتمرات الدولية للسلام تعكس ميزان القوى فى المنطقة وهى ليست منبراً حرا لتبادل الاراء والحجج ويجب ايضا ان ندخل فى الاعتبار التغييرات الاساسية التى طرأت على الرأى العام ومن ضمنها القرارات التى صدرت عن الجمعية العامة للامم المتحدة ومنها قرارات تعترف بحقوق الشعب الفلسطينى ، وبالتالى فانه فقرات أو احكام القرار ٢٤٢ يجب ان تفسر وفقا للقرارات والتوصيات التى صدرت عن الامم المتحدة وبناء على ذلك نستطيع ان نقول انه يتحتم على مؤتمر السلام ان يناقش مستقبل الشعب الفلسطينى ولا يستطيع احد ان يقول ان المشكلة هى مجرد مشكلة لاجئين عرب [٢٨] .

ويوجد ايضاً القرار رقم ٢٣٨ الذى اخذ بعين الاعتبار فقط القرار ٢٤٢ دون الاشارة الى القرارات أو التوصيات اللاحقة وعليه لو اراد مجلس الامن ان يأخذ هذه القرارات بعين الاعتبار لكان قد اوردها فى القرار ٢٣٨ (اكتوبر ١٩٧٣) الذى اشار فقط الى القرار ٢٤٢ دون غيره .

وعموماً فقد رأى بعض المفكرين الفلسطينيين ان الاراء المطروحة حول تفسيرات القرار ٢٤٢ تقضى على ان هذا القرار لا يحقق الحد الادنى للاهداف التى ترمى اليها سياسة تجربة الحلول السليمة لدى الاطراف العربية وان كانت هذه السياسة لا تعتبر البديل الوحيد للوصول الى هذه الاهداف واذا اخذنا القرارين ٢٤٢ ، ٣٣٨ حسب نصهما الصريح فلاشك ان هدفهما هو تصفية اثار الاعتداء الاسرائيلى عام ١٩٦٧ ولاشئ غير ذلك لانه من الواضح ان القرار ٢٤٢ يعالج مشكلة فلسطين من زاوية

واحدة هى مشكلة اللاجئين وحتى هذا الهدف لا يمكن اعتباره من الاهداف الرئيسية للقرار ٢٤٢ لانه ورد كفكرة قانونية فى القرار مثل فتح قناة السويس فهذان القراران الرئيسيان هما انسحاب اسرائيل من الاراضى التى احتلتها عام ١٩٦٧ واعتراف الدول العربية باسرائيل وسيادتها ووحدة اقليمها ولم يرد ان الانسحاب سيكون مقابل الاعتراف ، ولكن الاعتراف ورد فى متن القرار واعتبر الانسحاب والاعتراف الهدفين الرئيسين للقرار لذلك فمن الواضح - طبقاً لهذا الرأى - انه لا يعالج مشكلة فلسطين وانما يعالج تصفية هذه القضية لمصلحة اسرائيل والاعتراف بسيادتها وحدودها وكيانها كذلك اذا اعتبرنا ان غاية مؤتمر جنيف الرئيسية هى تنفيذ القرار ٢٤٢ كما ورد فى القرار ٣٣٨ فى ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ فان الغرض من المؤتمر سيكون تثبيت اقدام اسرائيل عن الناحية القانونية واعتراف الدول العربية بدولة اسرائيل(٢٩).

وقد سادت هذه الفترة حقائق جديدة فرضت نفسها وتمثلت فى تجزئة قضية فلسطين الى مشكلتين : الاولى مشكلة النزاع الفلسطينى الصهيونى والثانية مشكلة النزاع العربى الاسرائيلى ، واستتبع ذلك ان مؤتمر جنيف ليس سوى محاولة لحل النزاع العربى الاسرائيلى باعتباره نزاعاً بين حكومات ذى - سيادة وهو ما سوف يكون بالتالى على حساب المشكلة الفلسطينية اضف الى ذلك ان النزاع ما بين الفلسطينيين واسرائيل هو النزاع الاساسى بمعنى انه هو أساس المشكلة اما النزاع بين الدول العربية واسرائيل فهو نزاع فرعى نشأ عن هذه المشكلة الاصلية ، لذلك - وطبقا لاراء عديد (٣٠) من الفقهاء فانه عندما يعالج القرار٢٤٢ أو يحصر المعالجة فى النزاع الثانى فانه يتجاهل المشكلة الاولى وينبيها.

غير ان هناك رأياً آخر ان التصريحات الرسمية وغير الرسمية التى صدرت من المسئولين فى الدول العربية تربط رباطاً وثيقاً بين النزاع الفلسطينى الاسرائيلى والنزاع العربى الاسرائليل وبمعنى آخر لا يمكن الفصل بين النزاع المحلى والنزاع الاقليمى فهناك علاقة وثيقة بين النزاعين فمنذ عام ١٩٤٥ ، يوجد عشرات بل

مئات من التأكيدات على أن الدول العربية تتمسك بالعلاقة الجذرية بين النزاعين وترفض المحاولات الدامية الى فصل النزاع الاول عن الثانى لان احدهما متداخل فى الثانى وبالعكس [٣١] ويذهب هذا الرأى ايضا الى ان السياسة الحكيمة لكل دولة عربية تقتضى منها ان تاخذ بعين الاعتبار وجهة نظر الفلسطينين حتى لضرورات استمرارها داخليا في بلدها ، وبالتالى فان مشكلة شعب فلسطين هى اساسامشكلة فلسطينية وكأنه لا يمكن فصلها عن القضية العربية ككل فهناك امة عربية قومية وثمة اجماع - طبقاً لهذا الرأي - ان مشكلة فلسطين لا يمكن حلها إلا ضمن نطاق عربى ياخذ بعين الاعتبار الحقوق الكاملة للشعب الفلسطينى فى ارضه . [٣٢]

واذا عدنا مرة اخرى الى المناقشات التى دارت حول اشتراك منظمة التحرير فى مؤتمر جنيف فقد قيل ان نجاح المنظمة فى مشاركتها للمؤتمر انما يعنى تعديلاً فى اهداف المؤتمر الاساسية التى وردت فى القرارين ٢٤٢ ، ٣٣٨ ولاشك انه إذا كانت المنظمة - قد حضرت وعرضت وجهة نظر شعب فلسطين - كان بالامكان أن يصبح أمام المؤتمر العنصر المفقود فى هذا الوقت لان معالجة مشكلة فلسطين فى غياب ممثلى اهالى فلسطين لا يمكن ان تؤدى الى نتيجة مفيده أو الى حل سلمى ، وعليه فان وجود منظمة التحرير الفلسطينية فى المؤتمر كان بمثابة ضرورة اساسية للتوصل الى تسوية عادلة ،ولكن اذا كان القصد من حضور المنظمة هو فقط ابلاغها بتسوية توصل اليها الاطراف ، عند ذلك لم تكن هنالك فائدة من حضورها ، اضف الى ذلك ان اشتراك المنظمة سيكون بمثابة اعتراف من الولايات المتحدة بالمنظمة واعتراف من اسرائيل ايضا بالمنظمة الامر الذى سيؤكد الشخصية الدولية للمنظمة وسيدعم مركزها على المحيط الدولى والرأى العام العالمى وبالتالى فان توجيه الدعوة الى المنظمة من قبل الجهات الداعية للمؤتمر يمثل حداً ادنى من الواقعية السياسية فى منطقة الشرق الاوسط ، وهذه الواقعية تقتضى الاعتراف بالمنظمة وان تجاهل المنظمة هو تجاهل للظروف الموضوعية السائدة فى الشرق الاوسط وهذا التجاهل هو بالتالى جهل للعوامل الضرورية لاقامة سلم فى المنطقة .

غـيـر ان هناك رأى آخـر عـارض ذلك وكـان يرى ان مـؤتمر جنيف ليس هو الذى سيضفى على منظمة التحرير الاعتراف ، فالاعتراف بالمنظمة ينشأ بما ينشأ من قوتها فى المنطقة المحتلة بالدرجة الاولى وفى المنطقة العربية بالدرجة الثانية ، اضف الى ذلك ان هناك اجماعاً استرايجيا على ان كل ما سيحدث فى جنيف لن يكون كثيراً ، ولن يتجاوز ما يجرى فى المنطقة ، فالاساس هو ما يحدث فى الشرق الاوسط ، والامر الاساسى هو التوصل الى اجماع عربى ومثل هذا الاجماع لا يحصل بسهولة .

واذا كانت هذه هى الظروف الدولية والعربية المحيطة بالمؤتمر فالسؤال الان هو : هل كان مطلوبا من المنظمة اتخاذ قرار اضطرارى لمجاراة موازين القوى فى المنطقة ، وعالميا بهدف الحصول على ما يمكن الحصول عليه ريثما يحين الوقت وتتغير الموازين وتصبح اكثر مناسبة لقرار اكثر فعالية ، ان عبور الجسر يتم عند الوصول اليه ، ولذلك فمن الاهمية الابقاء على درجة عالية من المخططات الاحتمالية con-tingency planning تحت الدرس الفلسطينى والعربى المستمر ، وان من الامور الاساسية التى تفتقدها الانظمة السياسية العربية هو التنسيق الفكرى خاصة وان الرأى العام العربى يواجه قضايا مصيرية ولا يمكن لاى جهة ان تنفرد او تحدد مستقبلاً الموقف الذى سنتخذه ، غير ان هذا الرأى هو الاخر وجد -بضم الواو وكسر الجيم - من يعارضه ، فلا يمكن تأجيل البت فى الموضوع حتى يتم تكوين لجنة عملية عربية فالقرارات تتخذ بسرعة عادة ، بمعنى انه لو صدر قرار يتم بموجبه نوع من الانسحاب - مثل الانسحاب الاول والثانى من سيناء - فان هذا شئ افضل من لاشئ .

وعلى الجانب الفلسطينى فانه اذا تم الحصول على الضفة الغربية وقطاع غزة واتاحة اقامة سلطة وطنية حرة قادرة وفاعلة فهذا شئ حسن بدون شك اما اذا كان الثمن هو الحصول على دويلة Ministate من النوع الذى لا يستطيع ان يتحرك وتفرض اسرائيل عليها نوعا من الحماية المباشرة أو غير المباشرة بمعنى انه اذا صرخ

مواطن فلسطينى فى نابلس مثلا فستحضر القوات الاسرائيلية وتسكته ، واذا كان صراخه مرتفعاً فستطرده الى الخارج ، فمثل هذه الدولة ستكون العوبة Puppet أو دولة مصطنعه ، فكيف يمكن اجهاض الثورة الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية والقبول بنوع من الاحتلال تحت اسم دولة ذات سيادة .

السلطة الوطنية الفلسطينية وما دار حولها من مناقشات :

وعموماً فان موضوع السلطة الوطنية الفلسطينية والدولة الفلسطينية له جانبين: الجانب القانونى والجانب السياسى فمن الزواية القانونية ، اذا افترضنا قبول انشاء دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وغزة مع العلم بان هذه المناطق لا تشكل اكثر من خمس مساحة فلسطين فمعنى ذلك ضياع قضية فلسطين بنسبة اربعة اخماس ، ومن الناحية الثانية ، اذا تم قبول القسم المتبقى فى فلسطين (الضفة وغزة) فمعنى ذلك هو التسليم بمشروعية الدولة اليهودية أولا ضمن الاراضى التى خصصها لها قرار التقسيم لعام ١٩٤٧ ويكون قد تم التسليم ايضا باحتلال اسرائيل للاراضى التى استولت عليها زيادة على مشروع التقسيم فى الفترة ١٩٤٨ - ١٩٤٩ الامر الذى يعنى الخضوع لعمل غير قانونى ، ولاعتداء حدث مخالفاً للقانون الدولى ومخالفاً لقرار التقسيم نفسه الذى انشأ دولة اسرائيل مما يشكل من الناحية القانونية انهياراً لكل قضية فلسطين .

اما الجانب السياسى فلاشك ان كل حركة ثورية لا يمكن ان تنجح بصورة فعالة اذا لم تمتلك قاعدة ارضية unebase territoriale فاذا كان الهدف والغرض هو ايجاد قاعدة ارضية مهما كانت مساحتها ، وقتها يمكن ان يكون لهذا القرار مبررات ، وكأننا يجب ان نتحفظ ، فمن الخطأ القول اننا نسير على مبدأ خذ وطالب ، لاننا اذا قبلنا القسم المتبقى فى فلسطين على اساس امكانية أو امل ان نستعمله كمنطلق لتحرير باقى فلسطين فان ذلك يكون نوعاً من الخطأ فى التقدير لان الاسرائيليين لن يسلمونا القسم المتبقى الصغير والضئيل الا مقابل ضمانات واعترافات وربما كانت ضمانات دولية ، ومثال على ذلك فعندما وجه يارنج ورقة الاسئلة لمصر والاردن حول

تنفيذ القرار٢٤٢ طلب من حكومات هذه البلدان اصدار صريح بتقديم تعهد بمنع السماح للقيام بعمليات مسلحة لمنظمة التحرير من فوق اراضيها ، وهذا يعنى أنه لن يكون من السهل على الفلسطينيين تحرير فلسطين من قاعدة ارضية محشورة ومضيق عليها إقليميا ومقيدة بضمانات دولية ومقيدة باعترافات بسيادة اقاليم الدول المجاورة ، وبالاضافة الى ذلك مقيدة بتعهدات من قبل الدول العربية بان تقضى على اى عمل فدائى من اراضيها ، لذلك يجب الا نتوهم بان - مجرد قبول القسم المتبقى من فلسطين بعد انسحاب اسرائيل سيعطينا فرصة لتحرير باقى اراضى فلسطين طبقا لهذا الرأى .

ويمكن ان نستشف من هذه الاراء - التى سادت فى هذه الفترة - انها تجمع حول رفض قيام دولة فلسطينية مسخ " فلسطينستان palestinasan " على غرار البانتوستان Pantatan فى جنوب افريقيا ، وهذا الاجماع مبدأ قومى حول رفض تصفية مشكلة فلسطين دوليا .

غير أنه قد وجدت اراء أخرى فى مدرسة التفكير السياسى الفلسطينى تعتبر عدم اتخاذ المنظمة لقرار حاسم بشأن مؤتمر جنيف هو نوع من ابقاء المنظمة خارج حلقة الارتباطات أو الالتزامات التى ستقيد من قدرتها على التحرك فى المستقبل بمعنى ان الصمت وعدم اتخاذ القرار سيجعلان المنظمة فى المستقبل فى وضع اقوى للمطالبة بامور لن تستطيع ان تطالب بها لو حضرت مؤتمر جنيف ، وإستند هذا الرأى إلى ان على الرأى العام العربى والحركات الوطنية فى العالم العربى ان ينجزوا دوراً ضاغطا لمنع اتخاذ قرارات دولية ستربط المنطقة باتفاقيات سلبية على القضية الفلسطينية ، وهنا نعود مرة ثانية الى ضرورة تحسين النظام السياسى العربى باعتباره لازمة اساسية pasicre refrain فاذا كان هنالك اتجاه نحو محاولة حل المشكلة الفلسطينية من خلال المؤتمر فليكن ذلك ايضاً بتنسيق عربى وعلينا ان نسجل للتاريخ ان ما جرى فى حرب اكتوبر أو حرب التحرير العربية من تنسيق عربى كان اوسع تنسيق شهدته الامة العربية فى تاريخها الحديث والمعاصر .

والخلاصة ان مؤتمر جنيف للسلام فى الشرق الاوسط قد مثل فى هذه الفترة فرصة من عدة فرص - لايجاد حل للنزاع العربى الاسرائيلى وافضل فرصة هى تلك التى تكون نتيجة لاقتصاديات القوة والارادة العربية ، اما القرار رقم ٢٤٢ فانه يعد قاعدة قانونية غير كافية - من وجهة نظر المفكرين الفلسطينين - لاقرار حل عادل ودائم للمشكلة الفلسطينية ، اضف الى ذلك ان حضور منظمة التحرير الفلسطينية للمؤتمر لا يعنى انها ستحقق كل اهدافها ولا يمكن لهذا الحضور ان يكون ايجابيا الا اذا ضمن موقف عربى موحد .

الموقف المصرى :

لم يكن حضور منظمة التحرير الفلسطينية مؤتمر جنيف ايجابياً من وجهة النظر المصرية وقتئذ الا اذا كان ضمن موقف عربى موحد ، وهو ما حرصت عليه مصر ، فمهما تباينت الوسائل فان الالتزامين العربيين الرئيسين اللذين التزمت بهما مصر هما العمل بكل الجهود على تحرير الارض العربية وضمان الحقوق السياسية للشعب الفلسطينى [٣٣]، ومن المناطق العربية المحتلة الاخرى نجد ما هو اكبر منها ٤ أو ٥ مرات ومن هنا فليس هناك أى مغزى سياسى لهذا الاتفاق كما ادعت بعض اجهزة الاعلام العربية التى غضبت ورفضت واستنكرت هذا الاتفاق فصيغة الاتفاق لم تكن جديدة ، فلقد وقعت سوريا ومصر ولبنان اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩ ونصت وبياناتها على انها اتفاقيات بين حكومات هذه الدول وحكومة اسرائيل ... كان هذا فى الوقت الذى لا توجد فيه ايه ارض مصرية أو سورية خاضعة للاحتلال الاسرائيلى وكانت اسرائيل لا تحتل الا ارضاً فلسطينية وكانت المشكلة لا تزال محصورة فى المشكلة الفلسطينية فقط ، ومع ذلك تم توقيع اتفاقيات الهدنة بوفدين مع الحكومة الاسرائيلية . [٣٤]

وعلى الرغم من هذا فان اتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩ والتى مازالت قائمة من الناحية القانونية والتى اقرها مجلس الامن وتلتزم بها الدول الغربية - بالرغم من

اعلان بن جوريون من طرف واحد انها ماتت ودفنت - فلم تمنع هذه الاتفاقيات من قيام ثلاثة حروب الاولى عام ١٩٥٦ والثانية عام ١٩٦٧ والثالثة فى ١٩٧٣ كما لم تمنع خلال العقود الماضية من قيام الفدائيين بممارسة عمليات المقاومة وكانت نتيجة كل هذا عدم الوصول الى حالة السلام النهائى بين الدول العربية واسرائيل واستمرار حالة الحرب وبالتالى فقياساً على ما سبق لا يمكن تحميل اتفاقية فك الارتباط اللاحقة على حرب أكتوبر ١٩٧٣ اكثر مما تحتمل اذا انها لا تتضمن اى اضافات أو التزامات جديدة ، بل العكس فهى فى عباراتها ونصوصها اقل بكثر ، ولا - يمكن مقارنتها بما جاء فى اتفاقية الهدنة السورية الاسرائيلية والمصرية الاسرائيلية ، وقد تمسك العرب باتفاقيات الهدنة ومازالوا يتمسكون بها لانها الوثيقة الدولية الوحيدة التى اقرها مجلس الامن واعترفت فيها اسرائيل كتابة بالحدود الدولية لاطراف النزاع ، لذلك أراد بن جوريون ان يتخلص منها من طرف واحد . (٣٥)

هنا عبرت مصر عن رأيها فى تحقيق السلام فى منطقة الشرق الاوسط فى مؤتمر عدم الانحياز الذى انعقد فى ليما فى اواخر اغسطس ١٩٧٥ بان مصر تؤمن انه لن يكون هناك سلام فى منطقة الشرق الاوسط طالما بقى وجود عسكرى اسرائيلى على اية ارض عربية وطالما لم تعد حقوق شعب فلسطين اليه .(٣٦)

وعلى اساس هذا المبدأ رفضت مصر المحادثات التى اجراها هنرى كيسنجر فى شهر مارس ١٩٧٥ وتمسكا بهذا المبدأ ايضا فقد قامت مصر بمحادثات عن نفس الاساس وبالرغم من توقيع الاتفاقية فان هذا لا يعنى ان مصر قد اعتبرت نفسها فى حالة سلام مع اسرائيل على اساس ان القوات الاسرائيلية مازالت تحتل جزءا من سيناء ومن الجولان والضفة الغربية والقدس ... وايضا على اساس أن حقوق شعب فلسطين لم تعد اليه بعد ، واى تقييم موضوعى صادق وامين بالنسبة لموقف مصر من مشكلة فلسطين ينتهى الى ان سياسة مصر فى هذا الميدان ثابته لم تتغير ، وكل ما فى الامر انه بدلاً من التحدث مع من لايملكون قدرة التنفيذ اصبح التحدث مع من - يملكون قوة الضغط وامكانية الحركة بالنسبة لاسرائيل الا هى امريكا ، ومن

ناحية اخرى فان اسرائيل قد اصبحت حقيقة بواسطة القوتين الاعظم ، وعلى حد قول السادات فاذا وجد من يضع رأسه فى الرمال فهو ليس معهم فاسرائيل حقيقة قائمة وفى الحرب الأخيرة منع العرب تماما من هزيمة اسرائيل هزيمة كاملة ،حيث ارسلت اسرائيل فى اليوم الرابع نداء الى امريكا بانقاذ اسرائيل وهنا تدخلت امريكابالكوبرى الجوى الذى يقع وراء الخطوط المصرية لمباشرة وبالاسلحة التى لم يستخدمها الجيش الامريكى نفسه .

واذا كان تاريخ امريكا فى المنطقة يحكم عليها وليس لها فان ذلك لا يعنى ان يبقى العرب على خصام معها وان يرفضوا التحدث اليها واشراكها فى التوصل الى السلام العادل والدائم فى الشرق الاوسط ، والحديث مع امريكا لا يعنى الوفاق مع اسرائيل واشراك امريكا فى جهود السلام العادل لا يعنى تخلى مصر عن مبادئها ، ومن الثابت ان مصر استطاعت بانتصارها فى اكتوبر ان تغير من المفاهيم الامريكية بالنسبة للشرق الاوسط وفى مقدمتها تغيير نظرتها الى العرب حيث اصبحت تتسم بالاحترام ، ومصدر هذا الاحترام ايضا هو الحكمة التى كان يرسم بها السادات السياسية المصرية والكفاءة التى يدير بها الصراع العربى مع اسرائيل والشجاعة التى يحسم بها كل الامور وقد ادى هذا الى الانسحاب الاسرائيلى الثانى من سيناء ردود فعل مختلفة .

ففى اسرائيل اجتاحت المظاهرات اليهودية مدينتى القدس وتل ابيب بين معارضين للاتفاق مع مصر ومؤيدين له ، لدرجة ان شيمون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلى وقتئذ اعلن ان الاتفاق يعتبر باهظ التكاليف بالنسبة لاسرائيل التى تخلت فى المجال العسكرى عن الممرات الاستراتيجية كما تخلت عن ابار البترول فى ابورديس فى المجال الاقتصادى بالاضافة الى انها فى المجال السياسى تعهدت بعدم اللجوء للحرب . (٣٧)

كذلك اعترضت سوريا والعراق على الاتفاقية ، ففى سوريا قامت مظاهرات فى دمشق ضد مصر بهتافات عدائية ضد فك الارتباط ، وفى العراق هاجمت الصحف العراقية الموقف المصرى ، كما صدر بيان من القيادة القومية لحزب البعث العربى الاشتراكى فى العراق يدين ما اسماه " استعداد النظام المصرى لعقد معاهدة صلح مع العدو "

وقد اوضح السادات خطأ وخطورة هذه الافكار واعتبرها مأساة حقيقية تهدف اليها اسرائيل لشق الصف العربى ونسف الجبهة العربية من داخلها وفى خطابه امام اللجنة المركزية ومجلس الشعب يوم ١٩٧٥/٩/٤ كشف السادات بصراحة عن عرضيين رفضتها مصر وفاء منها بالتزامها العربى ومسئولياتها التاريخية ازاء تحرير الارض العربية وحقوق شعب فلسطين :

العـــرض الاول : الإنسحاب من كل سيناء مقابل معاهدة صلح مع اسرائيل

العرض الثانى : انسحاب القوات الاسرائلية الى خط شرقى العريش واوضح السادات أن مصر رفضت العرضين لا خوفاً من احد وانما ايمانا بدورها العربى .

وعاتب السادات فى خطابه رفاق السلاح فى سوريا قائلا : (لقد كان ضروريا احداث فصل ثان للقوات على الجبهة السورية ، اما حقوق شعب فلسطين فكانت ماثلة خلال المباحثات الاخيرة التى دارت مع كيسنجر وكانت مشغلى الشاغل حتى الساعات الاخيرة فى يوم توقيع الاتفاق وكانت موضع التركيز فى حديث مع الرئيس الامريكى فورد ، واضاف السادات معاتبا الرئيس السورى قائلاً : (وعندما ارسلت نائب رئيس الجمهورية الى الرئيس الاسد حتى يشرح له كل الحقائق لم يقابله الرئيس السورى ، وتساءل السادات عن معنى المظاهرات التى خرجت فى دمشق والقرارات والبيانات التى صدرت هنا وهناك مؤكدا فى النهاية ان مصر سوف تضبط اعصابها لانها لا تريد ان تدخل اية معارك جانبية ولانها فى النهاية حريصة على الصف العربى ووحدته .

وفى تحديد ، لموقف مصر بعد اتفاق فصل القوات الثانى على جبهة سيناء اكد السادات على الحقائق الاتية :-

أولاً: - ان مصر ترى ان تجنب نشوب حرب جديدة فى المنطقة مازال مرهونا من وجهة نظرها بانسحاب آخر من جبهة الجولان والحفاظ على حقوق الشعب الفلسطينى.

ثانياً: - انه اذا كان الاتفاق الاول يعنى ففى الاشتباك بين القوات المتحاربة فان الاتفاق الثانى يعنى بوضوح كامل قبول اسرائيل الصريح للانسحاب من الارض العربية .

ثالثاً : - ان مصر صريحة على ان تبقى جذور القضية مشتعلة حتى تحقيق الانسحاب الكامل وحتى تكون للفلسطينين دولتهم التى تعبر عن امالهم وانه لاعودة الى سياسة الجمود واللاحرب واللاسلم ولا قبول بتجميد القضية بالوفاق أو بالشقاق الدولى .

رابعاً : ان مصر لا تريد سلاما باى ثمن ، ولكنها تريد سلاما عادلا للجميع ، ومن هنا فهى لازالت على حرصها من ضرورة دعم القوة العسكرية العربية والبدء فوراً فى التصنيع العربى للسلاح .

خامساً : ان هؤلاء الذين مازال يؤثر فى وجدانهم تصريحات الاسرائيلين هم فى النهاية اسرى الواقع الذى ساد المنطقة لاكثر من ربع قرن عندما كانت كلمة اسرائيل هى القانون وارادتها هى العليا وان على هؤلاء ان يدركوا ان موقف المفاوض العربى قد اختلفت جذريا بعد حرب اكتوبر المجيدة .

اما عن رد فعل الاتحاد السوفيتى السابق وقتئذ بخصوص الاتفاقية الثانية للفصل بين القوات على الجبهة المصرية ، فان اى دراسة سوفيتية جادة لم تتعرض لموقف السوفيت من الانسحاب الثانى من سيناء ، وقد لزم السوفيت الصمت تماماً حيال ذلك اللهم الا ما اعلنوه من انهم لن يشاركوا فى التوقيع النهائى على هذا

الاتفاق في جنيف ، وقد ذكر السادات في خطابه المشار اليه ان هناك تحريضاً سافراً يقوم به الاتحاد السوفيتي السابق في محاولة لشق وحدة الصف في الامة العربية ، وكذب السادات ايضا السوفيت فيما المحو اليه من ان هناك بنودا سرية في الاتفاق واعتبرهم بمثابة " الوسواس الخناس " الذي يبلغ المذكرات سراً .

ومن الثابت ان اصعب ما واجهته مصر بعد ان فكت الاشتباك مع الولايات المتحدة هو حرصاً على استمرار علاقاتها قوية بناءة مع الاتحاد السوفيتي السابق، فلم تكن العلاقة بين الدولتين ابدار - وكما صرح السادات - اكثر من علاقة مرحلية ، اى تقوم على مرحلة الحرب مع اسرائيل وتتوقف في مرحلة الهدنة ، ولكنها دائما علاقة مستمرة حتى بعد ان قامت الخلافات والازمات حول استيراد السلاح فان اتجاه مصر الى الاسواق العالمية بمافيها السوق الامريكية لم يغنيها ابدا عن السلاح السوفيتي ، ومصر ليست في حاجة الى السلاح في اوقات الحرب فحسب ولكنها في حاجة اليه اكثر في حالة الهدنة المسلحة ، وربما كان هذا التحليل هو مالم يصدقه السوفيت الذين توهموا ان مصر تسعى الى صداقة الولايات المتحدة على حساب صداقتها للاتحاد السوفيتي مادامت هذه الصداقة لا تفسر على اساس الانتماء أو التكتل أو ضياع الشخصية وفقدان الارادة الذاتية ، وهو ما يتطلب من السوفيت اعادة تقييم سياستهم الدولية حتى لايدفعوا مصر في وضع لاتريده ، ومن ناحية أخرى حتى لا يتركوا مجالا للبعض الذين يحاولون تفسير الانسحاب الاسرائيلي الثاني بانه خسارة للسياسة السوفيتية .

الموقف الامريكي من الانسحاب الاسرائيلي وردود الفعل :

أما عن موقف الولايات المتحدة من هذا الانسحاب فمن الثابت انها قد كسبت من هذا الانسحاب الاسرائيلي في اثبات وجودها العالمي ووجودها داخل المنطقة واذا كانت قد مرت فترة طويلة وامريكا تلعب باسرائيل لعبة الحرب، فقد اثبتت انها تستطيع ان تلعب بها لعبة السلام فقد كانت نتيجة اغلاق قناة السويس ثم نتيجة

التضامن العربى الذى ادى الى اشهار البترول كسلاح يمس مصالح معظم دول العالم ، كانت النتيجة أن اصبحت دول اوروبا وآسيا تحمل الولايات المتحدة مسئولية متاعبها الاقتصادية بسبب موقفها من اسرائيل ، وقد اعترف كيسنجر فى محادثاته مع اسرائيل ان القضية لم تعد قضية الشرق الاوسط ولكنها قضية تهدد تحالف الولايات المتحدة مع دول اوروبا الغربية ومع اليابان ... وبذلك فان الولايات المتحدة لاتحدد موقفها على أساس علاقتها بمصر أو اسرائيل ولكنها تحدده على أساس كيانها كقوة دولية تضطر الى حماية واثبات قوتها وذلك بجانب ما اكتسبه من تعديل علاقتها بدول المنطقة وفتح اسواقها للمنطقة كلها بما فيها اسواق السلاح ... حتى مصر اعلنت انها ستحاول شراء السلاح الامريكى (٣٨)

اما منظمة التحرير الفلسطينية فقد جاء رد فعلها هى الاخرى ضد مصر من الانسحاب الاسرائيلى الثانى من سيناء ، وقد ركزت عناصر معادية على اثارة معارك بين مصر والمنظمة بالرغم من ان السادات لم يعط لنفسه الحق ابدا لينفرد أو ليتحدث باسم الفلسطينين وايضا فانه لم يعترف اطلاقا بحل لا يشمل الفلسطينين وقد عاتب السادات فى خطابه الفلسطينين عموماً وياسر عرفات على وجه الخصوص قائلاً : ان الاخ ياسر عرفات قد تنكر لما قامت به مصر للمشكلة الفلسطينية ، وكان ياسر عرفات قد اصدر تصريحا اختتمه بقوله :" تخطئ امريكا واسرائيل ان اعتقدنا ان الجيش المصرى سيقف مكتوف اليدين اذا ضربت الثورة الفلسطينية وان السلام لن يكون امريكيا وان السلام هو سلام فلسطين " .

وازاء هذا التحريض فقد قامت مصر باغلاق اذاعة صوت الثورة الفلسطينية من القاهرة وواضح ان السادات اعتبر ردود فعل اتفاق فض الاشتباك الثانى مع اسرائيل بمثابة شرخ عميق فى الجدار العربى ، فالرأى العام العالمى يرفض هزيمة اسرائيل وان اللف والدوران ورمى اسرائيل فى البحر والقضاء على اسرائيل .. كل هذا الكلام

اعتبره السادات لا يمثل الحقيقة فضلاً عن ان الهدف الاسمى بالنسبة للعرب ينبغى ان يكون هو استعادة اراضيهم والسير فى عمل وطن قومى للفلسطينين يستعيدون به حقوقهم التى انطمست تحت الرمل طيلة خمسة وعشرين عاما ، وهو ما عبر عنه السادات صراحة فى مناسبات عديدة انطلاقا من ان مصر هى ثلث العرب فهى مستودع القوى البشرية الطبيعى و الطاقة الحيوية الاول فى المنطقة ومن ثم فهى آلة الحرب الاساسية وقلعة العروبة الحامية وقوتها الضاربة ، وباختصار فان مصر بالجغرافيا والديموغرافيا ، بالتاريخ والحضارة هى عاصمة للعرب استراتيجيا ، على كتفيها وقع عبء الدفاع عن المنطقة كلها عبر التاريخ واليها آلت بالضرورة مسئولية استرداد فلسطين ، اى ان الطريق الى فلسطين يمر حتما واساسا بمصر فاذا كان السلام والحرب يبدأن من فلسطين - على حد قول ياسر عرفات فى خطابه امام الولايات المتحدة - فاننا نضيف ان السلام والحرب يتحددان من مصر حيث تأخذ فلسطين لاعلى انها مجرد قضية قومية عليا تخص كل العرب على السواء ولكن ايضا وأساسا كقضية وطنية محضة ... قضية مصرية بحته بمعنى انها تخصها مباشرة مثلما تخصها اى مشكلة داخلية .

ان مصر ليست دولة بترولية بالمقياس العربى فقد اخطأها " حدث " البترول ذلك الطارئ السحرى ... احد اخطر مفاتيح القوة الاستراتيجية فى عالمنا المعاصر .. وهو ما جعل مصر ترحب بهذه القوة الاستراتيجية للعرب دون اية حساسية منها او تقلقل من مسئوليتها تجاه مشكلة فلسطين حيث كرست وبذلت مصر وبأقصى فداء وعطاء دون ادنى تحفظ ولا حساب طوال اربع قرون من الصراع المستميت خاضت مصر خلال هذه الفترة اربعة حروب وفقدت نحو مائة الف شهيد وانفقت مالا يقل عن خمسة وعشرين الف مليون جنيه عدا الخسائر المادية والتخريب الاقليمى الرهيب والمصالح الاقتصادية حتى اصبحت هى الضحية الثانية لاسرائيل بعد فلسطين واصبحت بالتالى من افقر البلاد العربية بعد ان كانت اغناها ، واذا كانت فلسطين هى فدية العرب فان مصر اكثر من غيرها كانت وستبقى طويلا فدية فلسطين .

وانطلاقا من هذا المفهوم فقد اعلنت مصر التزامها الكامل بقرارات مؤتمرى القمة فى الرباط والجزائر خاصة فيما يتعلق بانسحاب اسرائيل الكامل من الاراضى العربية المحتلة وحصول الفلسطينين على دولتهم المستقلة فى فلسطين ، وان ما حدث سواء فيما يتعلق باتفاقيات فك الارتباط الاول بين مصر واسرائيل وسوريا واسرائيل ، وكذلك فك الارتباط الثانى على الجبهة المصرية ليس سوى خطوات عسكرية تمهد لحل المشكلات المعقدة الخاصة بالتوصل الى سلام نهائي على اساس قرارات الامم المتحدة وطبقا لقرارات مؤتمرات القمة العربية فى هذا الشأن ، وبالتالى فان اتفاق فك الارتباط الثانى بين مصر واسرائيل لا يمكن اعتباره اجراءا نهائياً منفرداً اذا انه مجرد اتفاق عسكرى لفك الارتباط وانه حتى باقرار الاسرائيليين انفسهم لا يمثل اتفاقاً نهائيا للسلام ، وقد ادى هذا الاتفاق الى انسحاب الاسرائيلين من بعض اراضى سيناء الى مسافة خمسة وخمسين كيلو متر وهى منطقة الممرات ولا يزال هناك ١٥٠ كليو مترا من سيناء محتلة بواسطة الاسرائيلين غير ان المنظمات الفلسطينية عموماً استمرت فى مهاجمتها للموقف المصرى بالرغم من ان وزير خارجية مصر قد شرح تفصيلا الى ياسر عرفات وزملائه بنود هذا الاتفاق ومغزاه ، ونفى وزير الخارجية المصرى وقتئذ كل ما قالته اسرائيل أو بعض المجلات الامريكية من تكهنات بان هناك تعهدات سرية ، بل انه تحدى اسرائيل او اى جهة ان تبرز ورقة فيها تعهد سري مصري واحد لان مصر تخلت عن هذا الاسلوب بالكامل ، وفيما يتعلق بمرور البضائع الاسرائيلية فان الاتفاقية لم تأت بجديد فى هذا الشأن ، فقد اعلن السادات على الرأى العام العالمى واكثر من مرة ان مصر سوف تسمح بمرور البضائع الاسرائيلية غير الاستراتيجية وكما هو معروف فقد كانت السلطات المصرية فى عهد عبد الناصر تسمح بمرور البضائع الاسرائيلية غير الاستراتيجية ، وذكر وزير خارجية مصر لياسر عرفات وزملائه ايضا ان مشكلة فلسطين والارض العربية المحتلة لازالت هما المشكلتان الرئيستان وان المطلب الفلسطينى المحدد والمطلب العربى الاساسى نتيجة عرض المشكلة على الامم امتحدة هو مطالبة اسرائيل بتنفيذ

قرارات الامم المتحدة بالوسائل الدبلوماسية وان القرارات التى تامل الدول العربية الحصول عليها من الأمم المتحدة هى ان تلزم اسرائيل بتنفيذ قرارات الامم المتحدة فيما يختص بالانسحاب الكامل من الاراضى العربية وانشاء كيان فلسطينى وليس لدى الامم المتحدة لتنفيذ ذلك على احسن الفروض - الا الاساليب السلمية المنصوص عليها فى الميثاق .. أى التفاوض أو الوساطة أو التحكيم ... الخ .

غير ان منظمة التحرير الفلسطينية استمرت فى هجومها على مصر واتهامها بالضعف والعزلة وهو ماحدا بالسادات فى مناسبات عديدة بمعاقبة المنظمات الفلسطينية عموما وياسر عرفات وزملائه على وجه الخصوص لاعتقادهم بان مصر قد ضعفت وانعزلت موضحاً ان افتراض هذا المنطق الفلسطينى تجاه مصر سوف يشجع بعض المنظمات الى الهجوم او التهجم على مصر وان مصر قد تعلمت من تجاربها الماضية - بخصوص الاستقطاب المصرى لمنظمة التحرير الفلسطينية منذ عشر سنوات - ان لا تستأثر مصر بمنظمة فلسطينية تابعة لها لتحميها فى مواجهه بقية المنظمات الفلسطينية وتكون قوة لمصر فى تحركاتها السياسية ... فسوريا لها منظمة ، وليبيا لها منظمة ، والعراق ، والكويت ، .... الخ كل دولة عربية لها منظمة فلسطينية خاصة تصد عنها الهجمات الفلسطينية وبالتالى فليست هناك منظمة فلسطينية تهاجم الكويت أو السعودية أو العراق أوليبيا ، وقد اتفقت سوريا مع كيسنجرعلى فك الاشتباك الاول فلم تهاجمها اى منظمة فلسطينية واتفقت مع الملك حسين على قيادة مشتركة ولم تهاجمها اى منظمة ...لماذا ... لان سوريا تعيش فى حماية منظمة فلسطينية خاصة وتعيش معها فى امان داخلى الى حد ان ليس من حق اى فرد فى هذه المنظمة ان يخرج الى الشارع مسلحا .. فلماذا لا تسعى مصر لاقامة منظمة فلسطينية خاصة تعيش هى ايضا فى حمايتها وخاصة ان شخصيات فلسطينية كثيرة تقدمت تعرض نفسها على مصر . وهذا المنطق يرفض الاقتناع بان مصر تبلغ من القوة الى حد تستطيع معه ان تتعامل مع الشعب الفلسطينى كله كوحدة حتى وهو ممزق بين تعدد المنظمات والمذاهب والطبقات وان كل

ما تعرضه مصر هو ما يحقق هذا الوجود الفلسطينى الكامل كأن تكون القاهرة مركز الحكومة الفلسطينية او مركز رئاسة منظمة التحرير .... ومصر تعلم أن قوة فلسطين الاساسية هى قوة مصر فهي ليست فى حاجة الى حق يحميها من حرب الكلام لان الكلام ينتهى والقوة تبقى .

وفى مناسبة مرور عامين على حرب اكتوبر ، وفى لقائه مع الاتحاد الاشتراكى كشف السادات بعض حقائق الزوابع التى حاول " البعض " اثارتها ضد مصر والتى وصفها السادات بانها وان اختلفت بواعثها الا انها انقضت كلها فى تجاوزها كل حدود الحوار المقبول والجدل الجاد وانها ايضا تسابقت فى الهبوط والاسفاف ازاء قضية مصيرية للامة العربية ، وتحدث السادات عن ثلاث مسرحيات لحزب البعث - السورى ... وفى كل مسرحية منها كان يحاول ان يصور مصر انها خرجت من المعركة وانها - دون علم سوريا - تقوم باتفاقيات " لبيع " القضية ، وان سوريا وحدها فى الميدان تحارب ، وقال السادات ان هذه المسرحيات بدأت بعد وقف اطلاق النار وكانت بدايتها عندما ابلغ السادات الرئيس السورى الساعة الثامنة من صباح يوم ١٩ من اكتوبر بان مصر بعد ان وجدت نفسها عشر ايام متصلة تحارب امريكا ... قررت طلب وقف اطلاق النار ، ورغم معرفة سوريا بكل تفاصيل الموقف خلال هذه الساعات فقد خرج حزب البعث السورى ببيان يعلن فيه ان مصر هى التى خرجت من المعركة وانها افسدت العملية العسكرية .

وقال السادات انه بعد هذه المسرحية من حزب البعث السورى فى عملية وقف اطلاق النار تجددت المسرحية مرة أخرى بالنسبة للاتفاق الاول لفض الاشتباك والذى كان الرئيس الاسد على علم كامل بكل تفاصيله والخطوات التى سيتعقبه بالنسبة لفض الاشتباك على الجبهة السورية ومرة ثالثة تجددت مسرحية حزب البعث السورى فى خلال محاولات كيسنجر السابقة فى مارس ١٩٧٥ والتى لم ينجح فيها بسبب موقف مصر ورفضها الاستجابة لمطلب اسرائيل ان تعلن مصر انهاء حالة الحرب ،وذكر السادات انه فى خلال هذه المسرحيات كان حزب البعث السورى هو الذى يبدو وواضحا على مسرح المناورات الا انه بدأ اخيراً يستخدم " يافطة : فلسطين

ويستخدم الفلسطينين فى هذه المسرحيات واشار السادات الى بيان فلسطينى يعلن "ان مصر تقايض قطعة من الارض بقطعة من المبادئ" وقال ان صورة من هذا البيان كاملة كانت لدى مصر قبل اذاعته بخمسة ايام وان الاتحاد السوفيتى هو الذى كتب هذا البيان وان الرئيس السادات واجه ياسر عرفات بذلك فى لقائه معه فى الرياض وحذره من ان يستخدم الذين يريدون مهاجمة مصر لافتة فلسطين مشيراً بذلك الى الاتحاد السوفيتى ، وسرد السادات محاولات السوفيت منذ الساعات الاولى للمعركة لارغام مصر على طلب وقف اطلاق النار رغم ان القوات المصرية كانت استطاعت فى اقل من ٦ ساعات تحقيق هدف العبور وبكبارى متخلفة كانت تستخدم فى الحرب العالمية الثانية وامد الاتحاد السوفيتى بها مصر وهى كبارى يستغرق مدها ٥ ساعات فى حين ان الكبارى الحديثة التى لدى السوفيت يتم مدها فى نصف الساعة ، وذكر السادات الى السفير السوفيتى - فى مقابلة عاجلة يوم ٦ اكتوبر - ادعى كذبا ان الرئيس الاسد طلب وقف اطلاق النار ثم عاد السفير السوفيتى يكرر الطلب فى اليوم الثانى ثم جاء رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى الى مصر خلال المعركة مركزا على ان تطلب مصر وقف اطلاق النار - ولكن الرئيس السادات فى كل هذه المرات أعلن ان مصر لن توقف اطلاق النار الا بعد ان تنفذ القوات المصرية اهدافها تماما.

وبالاضافة الى ذلك فان السادات قد كشف فى مناسبة اخرى حقيقة الموقف السورى من قرار وقف اطلاق النار عندما اعلن ان سوريا قدمت الى الاتحاد السوفيتى حتى من قبل ان تبدأ الحرب بيومين طلبات رسمية بوقف اطلاق النار وانهاء المعركة بعد ساعات من بدايتها وكشف السادات لاول مرة حقيقة خطيرة عندما قال ان وزير الخارجية المصرية قد اطلع بنفسه على هذه الطلبات الرسمية فى موسكو ، متسائلا لماذا لم يجهد حزب البعث السورى نفسه للاجابة على سر هذه المطلبات التى قدمت الى السوفيت حتى من قبل ان تبدأ الحرب ، ووجه السادات كلامه الى الرئيس السورى حافظ الاسد مؤكداً ان الرئيس السورى سوف يظل بالرغم

من كل شئ موضع احترام مصر وتقديرها لانه بدأ المعركة مع مصر مصححا له فى نفس الوقت الوقائع التى نسبت اليه حول تشابه اتفاقية فصل القوات الثانية على الجبهة المصرية بما كان معروضا على الملك حسين ملك الاردن قبل انعقاد مؤتمر الرباط، وفى ختام حديثه اكد السادات على استراتيجية مصر قائلاً : ان ما يهم الامة العربية هو شورى بيننا جميعا، ولكن ما يخص الوطن المصرى هو ملك لابناء هذا الوطن ، طالما اننا فى ممارستنا لسيادتنا الوطنية لا نشترى شيئا بحقوق الغير ولانقبل شيئا يعطل المسيرة العربية الشاملة ، ومن هذه الاستراتيجية المحددة اوضح السادات ما يلى :

١ - اننا لا نريد ان نغلق جسورا مفتوحة ولا ان نرد يدا مشدودة .

٢ - ان عقولنا وقلوبنا مفتوحة للحوار ولكن الحكم الاخير فيما يخصنا هو ارادتنا .

٣ - ان موقفنا من المشكلة الفلسطينية لن يتغير بسبب اى استفزاز ، فنحن لا نفكر بطريقة حزبية وانما نفكر فى المصلحة العليا للملايين الثلاثة الذين هم الشعب الفلسطينى واننا سوف نحاول مرة اخرى ان نتحمل لممثلى الشعب - الفلسطينى بالذات تسرعهم و،انخداعهم رغم اننا كنا معهم صادقين .

٤ - اننا لا نخادع ولا نضلل ولا ندعى ما لا قبل لنا به وان ما تصدينا له وحققناه هو جزء مما التزمنا به واعلناه وما نتحدث به فى القاعات المغلقة لا يختلف عما نتحدث به امام الميكروفونات ، كما ان لساننا واحد ولهجتنا واحدة سواء مع العرب أو الامريكيين أو السوفيت .

وقد جاء رد الفعل الفلسطينى على هذا الخطاب معترفا بفضل مصر على المشكلة الفلسطينية وان عروبة مصر مسألة غير مطروحة للنقاش ، وناشد الفلسطينيون اصحاب الفكر والقلم فى مصر ان يرتفعوا فوق مستوى الادانة والسباب والتجريح بالمجازات المقاومة الفلسطينية وتسفيهها ، كذلك اوضح الرد الفلسطينى على بعض الكتاب المصريين بخصوص بيع شعب فلسطين لارضه أن الجالية اليهودية في فلسطين لم تكن تملك عام ١٩٤٨ وبعد طرد شعب فلسطينى من وطنه مباشرة سوى

٦٪ من مجموع اراضى فلسطين وان جزءاً من هذه النسبة الضئيلة حصل عليها اليهود من سلطات الانتداب البريطانية كاراض اميرية .

كذلك جاء رد الفعل الفلسطينى يلوم بعض الصحف المصرية التى رددت نغمة مؤداها " لقد بلغ السيل الزبى ، وهذه هى فرصتنا لننفض ايدينا من العروبة - ومشكلة فلسطين " وأوضح الرد الفلسطينى محاولات الغرب لعزل مصر من الامة العربية قبل ثورة ١٩٥٢ عن طريق محاولة ادخالها ضمن احلافه العسكرية ثم حاول عزلها عام ١٩٥٤ بواسطة حلف بغداد وعام ١٩٥٦ بواسطة العدوان الثلاثى ، وعام ١٩٥٨ بواسطة مشروع ايزنهاور وعام ١٩٦١ بواسطة الانفصال السورى وعام ١٩٦٧ بواسطة العدوان الاسرائلى وهكذا [٣٩].

واوضح رد الفعل الفلسطينى على الحملة الصحفية المصرية التى اثيرت فى الفترة من ١٨ - ٢٠ / ٩ / ١٩٧٥ ان مصر قد رفضت وصمدت وضحت وقاتلت وانتصرت لانها تؤمن بان ارتباطها العربى حقيقة استراتيجية وليست تكتيكية ، وتساءل الرد الفلسطينى على الحملة الاعلامية المصرية فى معالجتها للمشكلة الفلسطينية قائلاً : " هل يعقل ان نطالب الان باقلام بعض كتابنا ومثقفينا بما سعى اليه الاعداء دون جدوى على مدى ربع قرن ، وكيف يجوز ان يصدر ارتباط مصر العربى على انه هوائى وخاضع لتقلبات الطقس السياسى العربى ، ثم من قال ان مشكلة اسرائيل تخص الشعب الفلسطينى دون سواه من الشعوب العربية ، الم تقنعنا اعتداءات اسرائيل المتكررة ونواياها التوسيعية وقتلها الاطفال والشيوخ والنساء وتدميرها المدارس والمعامل والمنشآت واحتلالها الحالى لاراضى مصر وسوريا وفلسطين بان العدو مشترك وانه خطر على الفلسطينين كما هو على السوريين والمصريين واللبنانيين والاردنيين .

واعترف الرد الفلسطينى صراحة ان مصر بحكم وزنها السياسي والعسكرى والبشرى والنضالى هى التى اعادت للعرب مع سوريا الحبيبة كرامتهم وثقتهم القتالية وان مصر هذه لن تكون الا عربية ، فلا مصر بلا عرب ولا عرب بلا مصر

وان هذا هو قدر العرب وعقيدة الشعب الفلسطينى . ثم جاء خطاب السادات فى افتتاح الدورة الجديدة لمجلس الشعب فى ١٨ اكتوبر ١٩٧٥ اكثر وضوحا فى الموقف المصرى حيث ركز على التزام مصر الاساسى امام كل الامة العربية بتحرير كل الارض العربية المحتلة واسترداد حقوق شعب فلسطين وتمكينه من الامساك بزمام امره وحرية تقرير مصيرة وفى هذا المجال قال الرئيس السادات : ليس هناك ارض عربية اقل عزازا من ارضنا فالقدس ونابلس ليست اقل اعزازا من القنطرة أو العريش ، واضاف السادات قائلا : اننا حين فاوضنا على فض الاشتباك الثانى لم نكن نتحدث عن مصر وحدها والا لحصلنا على الكثير ولكننا كما نتحدث عن سوريا وفلسطين ايضا وحصلنا على تعهدات عن الرئيس فورد بارتباط جديد على الجبهة السورية واتخاذ خطوة نحو الاعتراف بحقوق شعب فلسطين . وان اساس حسابنا بالنسبة لفلسطين ان تكون سنة ١٩٧٦ هى سنة فلسطين ، فلقد أنجزنا الدور الاكبر فى اعتراف عدد من الدول بمنظمة التحرير الفلسطينية ووصول هذه المنظمة الى هيئات دولية كثيرة .

وفى مناسبة أخرى قال الرئيس السادات انه عندما اشار الى ان سنة ١٩٧٦ هى سنة فلسطين فانه يعنى ان التسلسل الطبيعى هو الدخول فى التسوية النهائية بالاشتراك مع الفلسطينين بعد ان يتم فض اشتباك على الجولان واضاف السادات انه لو ترك الاتحاد السوفيتى وحزب البعث السورى الفلسطينين ورفعوا وصايتهما عليهم لتمكن الفلسطينين من الوصول بسرعة الى القرار المطلوب واعتبر الرئيس السادات قضية فلسطين هى قضية الصراع العربى الاسرائلى والح على الفلسطينين بضرورة تكوين حكومة مؤقتة قائلاً " وليتهم استمعوا الى كلامى منذ ثلاث سنوات كما طلبت منهم حينئذ لاعترف العالم اجمع بهم فى ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ ولكان مسار مشكلة فلسطين غير المسار الذى هى فيه الان ..ومع ذلك فانه نتيجة ٦اكتوبر دخل الفلسطينيون الامم المتحدة لاول مرة وتحولت المشكلة الفلسطينية من قضية لاجئين انسانية الى قضية تحرير وارض عربية واعتراف العالم كله بهما ودخولهم الامم المتحدة وتكلم ياسر عرفات - امامها " (٤٠)

واثناء زيارته للولايات المتحدة الامريكية فى اواخر اكتوبر ١٩٧٥ عاد السادات ليؤكد - فى كافة لقاءاته الصحفية وخطاباته - ان المشكلة الاساسية هى مشكلة الشعب الفلسطينى الذى لم ينل الاعتراف من قبل جميع الاطراف والذى عانى لاكثر من ربع قرن دون ذنب اقترفه والذى حرم من حق تقرير المصير والذى يمكن يالرغم من ذلك كله ان يكون قوة من قوى السلام اذا ما وضعت مشكلته فى اطارها الصحيح وقد اعلن السادات انه انطلاقا من هذا المفهوم فان مصر على اتصال بالقوتين الكبيرتين - امريكا والاتحاد السوفيتى السابق - من اجل عقد مؤتمر جنيف فى اسرع وقت بحضور كل الاطراف المعنية ، بما فيهم الطرف الفلسطينى " لان مشكلة فلسطين هى الجوهر والاساسى فى مشكلة الشرق الاوسط " كما طالب السادات ايضا بتحقيق انسحاب اخر على جبهة الجولان . واعلن انه طلب الى الولايات المتحدة ان تبدأ باجراء حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية بهدف اشراكهم فى محادثات السلام الشامل المزمع اجراؤها فى جنيف ، واعرب السادات عن اعتقاده بان الولايات المتحدة هى العامل الرئيس فى لعبة الشرق الاوسط وانه لابد من اشراك الفلسطينين فى اى محاولة للوصول الى حل شامل للصراع فى المنطقة ، واكد ان مصر وسوريا متفقتان تماما فى انه لا ينبغى السماح لاسرائيل بالاستمرار فى احتلال الارض العربية ولكن سوريا لها وجهة نظرها الخاصة كى تتعلق بالتكتيكات التى يجب اتباعها للوصول الى هذا الهدف وهذا الا يعنى على الاطلاق اننا نعمل ضد بعضنا البعض [٤١]

وفى خطابه امام الجمعية العامة للامم المتحدة فى ١٩٧٥/١٠/٢٩ طالب السادات بضرورة تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية - باعتبارها الممثل الشرعى الوحيد لشعب فلسطين - فى اعمال مؤتمر جنيف وذلك على قدم المساواه مع باقى الاطراف المشتركة فى المؤتمر ، كذلك فقد ركز الرئيس السادات على ترحيب مصر بالوفاق الدولى اذا أخذ فى الاعتبار مصالح الدول الصغرى وامانى شعوبها ، غير انه حذر من خطورة هذا الوفاق اذا خرج عن هدفه المعلن ، وطالب الا تكون مجالات

اتخاذ القرارات مقصورة علىَ الدولتين العظيمتين ، واعلن ان مصر لم تفقد حماسها للسلام وايمانها به لانه هدف استراتيجى لها ، وقد كان الهدف من حرب اكتوبر هو فتح الطريق للسلاح من جديد ولكى يعرف العالم اننا لن نرضخ للاحتلال أولا تتعارض حقوق شعب فلسطين .

وفى يوم ١٩٧٥/١٠/٣٠ (٤٢) بدأ الوفد المصرى فى الامم المتحدة مشاوراته مع رؤساء وفود الدول العربية والافريقية ومجموعة دول عدم الانحياز للمشاركة فى تقديم مشروع القرار حول المقترحات التى اعلنها السادات فى خطابه امام الجمعية العامة والخاصة بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى حضور مؤتمر جنيف كطرف اصلى كامل (٤٣) .

وقد جاء رد الفعل حادا فى اسرائيل فقد اعلن حاييم هرتزوج المندوب الاسرائيلى فى الامم المتحدة بانه من غير المعقول الاعتقاد بان اسرائل ستتفاوض مع الفلسطينيين اذ ان منظمة التحرير الفلسطينية تعمل على تحطيم اسرائيل كما ان اسرائيل تعتقد ان الجمعية العامة لا علاقة لها بمؤتمر جنيف للسلام فى الشرق الاوسط ، واعلن اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل رفضه الحالى والمستقبل للمناقشة مع المنظمات الفلسطينية وقال ان احتمال التوصل الى السلام لن يتم الا خلال مرحلة طويلة وتدريجية .

ومن فوق منبر الكونجرس الامريكى خاطب السادات فى ١٩٧٥/١١/٥ الرأى العام الامريكى كله داعيا الى ضرورة ان تبدأ الولايات المتحدة الامريكية حواراً مع الفلسطينين ذلك ان امريكا برفضها الحوار مع الفلسطينيين حتى الان تخرج على اجماع العالم كله الذى ادرك اخيرا ان المشكلة الفلسطينية هى الجوهر الاساسى فى صراع الشرق الاوسط ، وبوضوح قاطع قال السادات لاعضاء مجلس الشيوخ والنواب فى الجلسة المشتركة نفسها ان الثورة الفلسطينية هى فى النهاية تعبير عن ادارة شعب يتطلع الى حق تقرير المصير واقامة دولته المستقلة (٤٤)، وحث السادات

اعضاء الكونجرس الامريكى والحكومة الامريكية والشعب الامريكى على عدم عداء الثورة الفلسطينية قائلا انه ليس هناك من سبب منطقى لمعاملة الثورة الفلسطينية على هذا النحو ، مؤكداً ان الثورة الفلسطينية هى فى النهاية التعبير الحقيقى لارادة شعب يريد كيانه الوطنى المستقل ويريد حق تقرير مصيره وان الولايات المتحدة باهمالها وتجديها لمشاعر الشعب الفلسطينى انما تدعو لاستمرار التطرف والعنف بينما العالم كله يدرك اهمية الاستقرار والهدوء فى منطقة الشرق الاوسط . وفى ختام حديثه على المشكلة الفلسطينية - قال السادات لاعضاء المجلسين " اننى اهيب بكم بكل ما املك من قوة وبأكثر العبارات قطعا ان تعطوا الشعب الفلسطينى والقضية الفلسطينية مساندتكم " .

الأمم المتحدة ودعوة منظمة التحرير الفلسطنية :

فى ١٠ نوفمبر ١٩٧٥ وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة باغلبية ١٠١ صوت ضد (٤٥) ٨ اصوات وامتناع ٢٥ دولة عن التصويت على مشروع القرار المصرى الذى اعلنه السادات فى خطابه التاريخى امام الجمعية العامة والذى ينص على دعوة منظمة التحرير الفلسطينية - ممثل شعب فلسطين - للاشتراك فى جميع الجهود والمناقشات والمؤتمرات الخاصة بالشرق الاوسط التى تعقد فى اطار المنظمة الدولية وذلك على قدم المساواة مع الاطراف الاخرى ، وطالب القرار كورت فالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة بابلاغ الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بصفتهما تشتركان فى رئاسة مؤتمر جنيف الخاص بالشرق الاوسط باتخاذ كافة الخطوات الضرورية لضمان دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة فى اعمال المؤتمر وفى كل الجهود الاخرى من اجل السلام فى الشرق الاوسط ، واعرب القرار فى مقدمته عن اقتناع الجمعية العامة بان اشتراك الشعب الفلسطينى فى اية جهود أو مشاورات تستهدف تحقيق سلام عادل ودائم فى المنطقة أمر ضرورى .

كما اقرت الجمعية العامة باغلبية ٩٣ صوتا ضد ١٨ وامتناع ٢٧ دولة عن

التصويت على مشروع قرار ثان منفصل تقدمت به منظمة التحرير الفلسطينية وينص على تشكيل لجنة تضم ٢٠ عضوا للبحث والتوصية بوضع برنامج يضمن للشعب الفلسطينى الحصول على وطن مستقل وممارسة حقوقه الثابتة ، وطالب القرار بان يبحث مجلس الأمن مسألة ممارسة الشعب الفلسطينى لحقوق الثابتة التى اعترفت بها الامم المتحدة وذلك فى اسرع وقت ممكن بعد ان تقدم اللجنة تقريرها .

وعقب عملية التصويت رحبت منظمة التحرير الفلسطينية بالقراريين ووصفتهما بانهما قراران تاريخيان ، غير ان حكومة اسرائيل نددت بالقرارين واعلنت رفضهما بان تشترك مع منظمة التحرير الفلسطينية فى اية مفاوضات بالرغم من قرار الجمعية العامة الذى يطالب بدعوة المنظمة للاشتراك فى محادثات مؤتمر جنيف ، وقد صرح اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل فى بيان اصدره فى القدس بان اسرائيل لن تتعاون مع اللجنة التى نص القرار الثانى على تشكيلها لبحث تنفيذ قرارات الامم المتحدة بشأن حقوق الشعب الفلسطينى .

وفى يوم ١١ نوفمبر وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة باغلبية ٧٢ صوتا ضد ٣٥ وامتناع ٣٢ دولة عن التصويت على قرار بادانه الصهيونية بصفتها شكلا من اشكال العنصرية وهو أول قرار فى تاريخ المنظمة الدولية يدين السياسة التى اقيمت على اساسها اسرائيل ، وقد جاء رد فعل الرأى العام الاسرائيلى عنيفا على هذا القرار ففى الامم المتحدة فرق حاييم هيرتزوج - فى ثورة من الغضب الوثيقة التى تحوى مشروع القرار قائلا انه بالنسبة لاسرائيل " ليس سوى قطعة من الورق ، وسنعاملها على هذا الاساس " وفى اسرائيل اعلن الكنيست موافقته خلال جلسة حضرها اسحق رابين رئيس الوزراء موافقته على مشروع يدعو الحكومة الى تجاهل قرارات الامم المتحدة ومقاطعة مؤتمر جنيف اذا اشتركت فيه منظمة التحرير الفلسطينية ، كذلك اعربت صحف اسرائيل كلها عن استنكارها للقرار وطالبت صحيفة " معاريف " بانشاء منظمة دولية جديدة - تشكل قواتها من الدول الخمس والثلاثين التى صوتت ضد القرار وقالت صحيفة " على همشمار " ان وجود اسرائيل

بتعرض للهجمات وطالبت الصحيفة بتعبئة كل قوى الشعب اليهودى .

وفى نطاق اللهجة البالغة العنف التى اثارتها اسرائيل ضد القرارات الثلاثة شهدت مدينة القدس وتل ابيب وصيفا وناتانيا موجة من المظاهرات طوال النصف الثانى من شهر نوفمبر ١٩٧٥ وانتشرت حمى اطلاق لاسماء صهيونية على الشوارع والطرق التى كانت تسمى باسماء عربية أو باسماء الامم المتحدة ، واقترحت جولدا مائير ان يحمل كل يهودى ميدالية مكتوب عليها " انا صهيونى "

أما رد الفعل العربى (٤٦) فقد جاء - فى معظمه مؤيداً للخطوات المصرية الايجابية من أجل احلال السلام القائم على العدل فى منظمة الشرق الاوسط واستعادة الحقوق الشرعية لشعب فلسطين . كذلك ينبغى ان نشير الى ان القرارات التى طرحتها الدول العربية عموما - ومصر على وجه الخصوص فى رسالة المنظمة الدولية قد تصعيداً هاماً فى الصراع الدبلوماسى والسياسى فى المواجهة مع اسرائيل وكان ذلك رد فعله على المستوى العالمى انعكس فى انماط التصويت فى الامم المتحدة على القرارات الخاصة بمشكلة فلسطين كما يتضح من العرض التحليلى خلال عامى ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ :-

تحليل مضمون أنماط التصويت فى الأمم المتحدة على القرارات الخاصة بمشكلة فلسطين ١٩٧٤-١٩٧٥

١٩٧٤	١٩٧٥
دعا منظمة التحرير الفلسطينية لاشتراك فى مداولات الجمعية العامة حول مشكلة فلسطين .	دعا منظمة التحرير للاشتراك فى جميع الجهود والمؤتمرات التى تعقد بشأن الشرق الأوسط تحت اشراف الأمم المتحدة على قدم المساواة مع سائر الاطراف .
اعترف وأكد بأن للشعب الفلسطينى الحق فى تقرير مصيرة والحق فى الاستقلال والعودة لدياره .	قرر انشاء لجنة معنية بممارسة الشعب الفلسطينى لحقوقه .
اعتبر ان لمنظمة التحرير الحق فى المشاركة كمراقب فى جلسات وأعمال كل المؤتمرات الدولية التى تعقد تحت اشراف الامم المتحدة	اعتبر الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية والتميز العنصرى .
موقف الولايات المتحدة :	معارضة لجميع القرارات
امتناع عام عن التصويت على القرارين الأول والثانى فيما عدا تأييد كل من فرنسا وايرلندا وايطاليا. ومعارضةعامة للقرار الثالث فيما عدا امتناع فرنسا عن التصويت .	امتناع عام عن التصويت على القرار الاول فيما عدا معارضة بريطانيا والمانيا الاتحادية وهولندا . معارضة عامة للقرارين الثانى والثالث فيما عدا امتناع ايطاليا وايرلندا عن التصويت على القرار الثانى .
تأييد عام لجميع القرارات .	تأييد عام لجميع القرارات . وتغيب رومانيا عن التصويت على القرار الثالث ولم تشترك الصين والبانيا فى التصويت على القرار الاول .
تأييد عام لجميع القرارات فيما عدا امتناع ٣ دول عن التصويت على القرارين الثانى والثالث .	تأييد عام للقرار الأول فيما عدا امتناع دولتين عن التصويت وتغيب افريقيا الوسطى . تأييد عام للقرار الثانى فيما عدا امتناع ٧ دول عن التصويت - تأييد ١٦ دولة وامتناع ١٢ عن التصويت ومعارضة ٥ دول للقرار الثالث .

ونتيجة لحرب اكتوبر وللتحرك المصرى الواعى المدرك لابعاد السياسة الدولية والمتغيرات فقد تغير موقف الولايات المتحدة تجاه الفلسطينيين فمن ناحية دعا السادات الى اجراء حوار حقيقى بين الولايات المتحدة والفلسطينيين ومن ناحية أخرى اما الولايات المتحدة الامريكية فقد جاء رد فعلها على لسان هارولد سنسوندرز وكيل الخارجية الامريكية فى بيان رسمى قائلا انه يجب سماع الصوت الفلسطينى وبدونه تستحيل التسوية الشاملة وان المشكلة الفلسطينية هى جوهر مشكلة الشرق الاوسط فهناك ثلاثة ملايين فلسطينى يريدون تحديد مستقبلهم السياسى وتناول سوندرز مختلف وجهات النظر التى ترددت حول الاهداف المشروعة للفلسطينين بما فى ذلك ما يطالب منظمة التحرير الفلسطينية اقامة دولة علمانية تضم العرب واليهود قائلاً " ان المطلب الان هو تحديد اكثر دقة لهذه الاهداف وعندئذ يمكن التوصل الى تفاهم اوضح حوا كيفية طرحها للتفاوض للتوصل الى حل للجوانب الفلسطينية للمشكلة . (٤٧)

وقد جاء رد الفعل الاسرائيلى عنيفاً تجاه هذا البيان الرسمى الامريكى الذى اطلق عليه فيما بعد " ورقة تحديد موقف امريكا " ففى اسرائيل قال اسحق رابين رئيس الوزراء امام مجموعة من الطلبة الاسرائيلين : ان اسرائيل تعلن رفضها للوثيقة الامريكية ، وزعم رابين ان هذه الوثيقة تتضمن " تزييفا ، وتمزيقا ، وتشويها وعرضاً سيئاً وغير موضوعى "

وعلى الجانب العربى كانت ابرز ردود فعله فى التحرك السياسى المصرى للدول العربية فقد زار كل من حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية وقتئذ وممدوح سالح رئيس الوزراء وقتئذ لثلاثة عشرا دولة عربية ، واوضح المسئولان المصريان لملوك ورؤساء الدول العربية ان رحلة السادات للولايات المتحدة ولندن كانت من اجل المشكلة الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطينى (٤٨).

هوامش الفصل الرابع : -

١ - من مذكرات الرئيس السادات فى الاهرام ١٠/٣ - ١٩٧٥/١٠/٥ ، وقد علق الرئيس حسنى مبارك فى خطابه لمؤتمر شباب الجامعات بجامعة الزقازيق فبراير١٩٩٦ - وحضره المؤلف - قائلا : إن السادات كان سابقاً لعصره فيما يتعلق بقرار الحرب وجهوده السلمية.

٢ - من حديث الرئيس السادات الى الامة فى ١٩٧٢/١/١٢ .

٣ - من حديث الرئيس أنور السادات الى الضباط والجنود فى اسوان ٧٢/١/٣٠ (حيث حضر المؤلف هذا المؤتمر)

٤ - من حديث الرئيس أنور السادات مع محرر مجلة نيوزويك فى ١٩٧٢/٢/٢٨

٥ - هارتس ١٩٧٣/١١/٤ .

٦ - يرجع فى تفصيل ذلك الى مذكرات الرئيس السادات فى الاهرام :

٣ /٧٥/١٠ - ١٩٧٥/١٠/٥ .

٧ - وهو ما ثبت بالفعل هذا الحرب ويرجع فى تفصيل هذا الى عديد من البحوث التى قدمت الى الندوة الدولية لحرب اكتوبر - القاهرة اكتوبر ١٩٧٥

٨ - من تصريح للفريق أول / محمد عبد الغنى الجسمى .

٩ - من تصريح للفريق / محمد على فهمى رئيس الاركن وقائد الدفاع الجوى فى حرب اكتوبر .

١٠ - من تصريح للدكتور / محمد عبد النادر حاتم .

١١ - هارتس ١٩٧٣/١١/٨ .

١٢ - يرجع في تفصيل ذلك الى مذكرات الرئيس السادات في الاهرام ٣/١٠ - ٥/١٠/٧٥ .

١٣ - هارتس ١٩٧٣/١١/٣ .

١٤ - هارتس ١٩٧٤/٢/١٥ .

١٥ - المرجع نفسه .

١٦ - معاريف ١٩٧٣/١١/١١ .

١٧ - هارتس ١٩٧٤/٢/٢٠ .

١٨ - هارتس ١٩٧٣/١١/٢٦ .

١٩ - هارتس ١٩٧٣/١١/٢ .

٢٠ - معاريف ١٩٧٣/١١/٩ .

٢١ - على همشمار ١٩٧٣/١١/٢٥ .

٢٢ - تريفور دبيوي : هزائم اسرائيلية ثلاث في ساعات الحرب الاولى : ٢٧/١٠/٧٥ - ٢/١١/٧٥ بحث مقدم الى الندوة الدولية لحرب اكتوبر - القاهرة. والباحث المذكور كان في هذه الفترة عضوا هيئة تدريب بجامعات هارفارد واوهايو ورانجون .

٢٣ - انتوين فارا هوكلى : ثورة في مسرح الحرب وخاصة في المجال التكنولوجي بحث مقدم الى الندوة الدولية لحرب اكتوبر - القاهرة - جامعة القاهرة - ٢٧/١٠/٧٥ - ٢/١١/٧٥ والجنرال انتونى فارار هوكلى كان يشغل وقتئذ منصب مدير تطوير القتال في الجيش البريطانى .

٢٤ - المرجع السابق .

٢٥ - من مذكرات الرئيس السادات فى الاهرام ١٠/٣ - ٧٥/١٠/٥ .

٢٦ - نفس المرجع السابق .

٢٧ - يرجع فى تفصيل موقف الرئيس السادات بهذا الخصوص الى :

الاتحاد الاشتراكي العربى - امانة الشئون السياسية والعلاقات الخارجية :

خطب الرئيس محمد أنور السادات فى عام ١٩٧٤ (مجموعة وثائق) .

٢٨ - من حديث للرئيس السادات الى مجلة الحوادث اللبنانية ١٩٧٥/٣/٢٠ .

٢٩ - من حديث للرئيس السادات الى مجلة تايم الامريكية ١٩٧٥/٤/٦

٣٠ - د/ بطرس بطرس غالى رئيس تحرير السياسة الدولية ، د/ جورج جبور المستشار برئاسة الجمهورية السورية فى دمشق فى : ندوة السياسة الدولية - السياسة الدولية العدد ٣٨ - اكتوبر ١٩٧٤ ص ٢٤٦ .

٣١ - من حديث الرئيس السادات الى النهار اللبنانية ١٩٧٥/٤/١٤ .

٣٢ - المرجع السابق .

٣٣ - دكتور / عدنان العمد وهو دبلوماسى فلسطينى ببعثة الجامعة العربية فى جنيف وقتئذ، دكتور / هنرى كتن المحامى الفلسطينى فى : ندوة السياسة الدولية مرجع سابق .

٣٤ - وهو ما يراه كل من دكتور / صلاح دباغ ، دكتور عدنان العمد ، دكتور / هنرى كتن ويرجع ايضا الى دكتور / هنرى كتن : حقوق الانسان فى فلسطين : بحث مقدم أمام الحلقة الدراسية حول حقوق الانسان فى مؤتمر المسيحين من أجل فلسطين يناير ١٩٧٤ ، وقد اشترك فى هذه الحلقة عدد من خبراء القانون الدولى من عدة دول .

٣٥ - دكتور بطرس غالى ندوة السياسة الدولية مرجع سابق .

٣٦ - د/ جورج جبور : ندوة السياسة الدولية ، مرجع سابق

٣٧ - د/ هنرى كتن : ندوة السياسة الدولية ، مرجع سابق .

٣٨ - جاء هذا صريحا وواضحا تماما فى جميع خطابات الرئيس السادات وخاصة عام ١٩٧٣ ، ويرجع فى تفصيل ذلك الى : الاتحاد الاشتراكى العربى امانة الشئون السياسة والعلاقات الخارجية : خطب الرئيس أنور السادات عام المعركة ١٢٩٣هـ ١٩٧٣ م (مجموعة وثائق) .

٣٩ - من تصريح للسيد / اسماعيل فهمى وزير خارجية مصر وقتئذ الى Monday Morning, Berieut 8/9/1975 .

٤٠ - من تصريح للسيد/ اسماعيل فهمى الى صحيفة القبض الكويتية فى ١٩٧٥/٩/١٣ .

٤١ - نفس المصدر السابق .

٤٢ - يرجع فى تفصيل ذلك إلى خطاب السيد / محمد رياض مندوب مصر الى مؤتمر عدم الانحياز فى ليما .

٤٣ - الاهرام ١٩٧٥/٨/٢٩ .

٤٤ - من تصريح للرئيس السادات فى ١٩٧٥/٨/٢٨ ويرجع ايضا الى : الاتحاد الاشتراكى العربى : امانة الشئون السياسية : خطب الرئيس محمد أنور السادات فى عام ١٩٧٥ (مجموعة وثائق) .

٤٥ - يرجع تفصيلا الى خطاب الرئيس السادات فى الذكرى الخامسة لوفاة الرئيس جمال عبد الناصر .

٤٦ - انظر رد مركز البحوث والدراسات الفلسطينية بمنظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت على الحملة الصحفية المصرية التى اثيرت فى الفترة من ١٨ - /١٩٧٥ ٩/٢٠ فى : الاهرام ١٩٧٥/٩/٣١ تحت عنوان : عروبة مصر غير مطروحة للنقاش .

٤٧- من حديث للرئيس السادات الى صحيفة القبس الكويتية ١٩٧٥/١٠/٢٣ .

٤٨ - الاهرام ١٩٧٥/١٠/٢٨ .

٤٩ - الاهرام ١٩٧٥/١٠/٢٩ .

٥٠ - الدول التى صوتت ضد القرار هى الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الاتحادية واسرائيل وهولندا وكوستاريكا وهندوراس ونيكاراجوا .

٥١ - وهو ما ظهر خلال الزيارات التى قام بها كل من السيد / حسنى مبارك نائب رئيس جمهورية مصر الى تسع دول عربية وكذا السيد / ممدوح سالم فى الجولة التى قام بها الى اربع دول عربية اخرى فى النصف الثانى من شهر نوفمبر ١٩٧٥ .

٥٢ - من حديث الرئيس السادات الى صحيفة لونوفيل اوبزفاتير الفرنسية فى ١٩٧٥/١٢/١٣ .

٥٣ - الاهرام ١٩٧٥/١١/١٤ .

خـــاتـمة :

ومن ردود الفـعل الاسـرائيليـة العـربيـة والعـالميـة هذه تجاه احداث مـشكلة[٤٩] فلسطين التى طواها عـام ١٩٧٥ فقد تطلبت المرحلة التـاليـة المزيد من الحرص على دعم الموقف العربى الموحد والحيلولة دون وقوع انشقاق ربما كان المستفيد الوحيد منه هو اسرائيل التى تسعى الى كسب الوقت ، وإدراك العرب ان اسرائيل تخسر بالسلام اكثر مما تخسر بالحرب ، كما ادركوا ان الصراع وان تغيرت ادواته فسوف يستمر طويلا وهو ما يقتضى نفسا طويلا منهم فى نضالهم فـالقضايا الباقـيـة فى الصراع العربى الاسرائيلى مـازالت لب المشكلة ومازالت هى الاساس وهى التحرير الكامل للارض العربيـة وضمان الحقوق السياسيـة للشعب الفلسطينى وهو ما يتطلب من العرب جميعا خوض الاختيار الحضارى [٥٠] المطروح عليهم وحتمية اقامة مجتمعات حديثة متطورة قادرة على اللحاق بركبى الثورة العلمية والتكنولوجية ، وهناك بدون شك مؤشرات تثبيت تزايد القوة السـياسيـة العربيـة وبالتـالى التأثير على اصدار القرارات على المستوى العالمى ومن هذه المؤشرات تزايد القوة الاقـتصادية للعرب نتيجة لامتلاكهم مصادر البترول ، وواضح ان قدرا كبيرا من الترشيد والتنسيق والتخطيط وحسن الاستخدام مازال ينقص استثمار العرب القومى لمواردهم البترولية الحيوية [٥١] ولابد من ان يوجه جزء كبير من هذه الثروة الى توظيفه فى خدمة قضية فلسطين ، ولما كـانت مصـر بحكم كل شئ هى القوة الضـاربة الاسـاسيـة فى ادارة الصراع فـهى الاشد حاجة بالطبع الى الدعم المادى الكثيف انطلاقا من مفـهوم مـفاده انه اذا كان حتما ان يمر تحرير فلسطين بطريق البترول فان هذا البترول لابد حتما ان يمر بمصر [٥٢].

كذلك فقد شهدت هذه الفترة وما تلاها تجريد المشكلة الفلسطينيـة من الخرافات التى تشيع فيها جوا معتما والتى لم تعد تجد من يغتربها غير اغلبية متضائلة من الحمقى مازالت تعرقل المساعى التى يبذلها رجال حسنت نواياها .

ومن ثم كان التسليم بالواقع - طوال عام ١٩٧٦ وما تلاه - امرا ضروريا ومحاولة اقامة الحلول المعقولة من هذا الواقع ، وان على الاسرائيليين هذه المرة - وبعد نصر اكتوبر ان يثبتوا قدراً من التعقل وعدم تحوير الحقائق أو تشويهها على اسرائيل أن تكف عن العمل الدائب من أجل زيادة عدد اللاجئين إليها ، على أن تعمل فى نفس الوقت على الاقلال من اللاجئين الفلسطنيين فهناك مليون وثلاثمائة ألف من هؤلاء اللاجئين يجب أن يحسب لهم حساب وهم أناس قاسوا من العذاب والبؤس الشئ الكثير ويجب أن يقدم لهم كل عون وانصاف ، فضلا عن أن نصر أكتوبر قد جاء ليقلب عناصر المشكلة الفلسطينية رأسا على عقب ومن هنا أصبح من المستطاع توقع قيام نوع من السلام .

كذلك شهدت هذه الفترة اقتراح البعض لإنشاء دولة عربية فى الضفة الغربية من نهر الأردن وقطاع غزة ، وكون هذه الدولة العربية مرتبطة اقتصاديا باسرائيل ومنزوعة السلاح وقبولها وجود الجيش الاسرائيلى على حدودها والجدل الذى أثير حول أن دولة كهذه لن تكون فى الواقع الا دولة تابعة ، ومن العسير ونحن فى القرن العشرين الذى ينتهى فيه عهد الاستعمار ان يوفر حل كهذا اسباب الحياة للدولة المقترحة ، انه حل يسير ضد تيار التاريخ .

ومن ناحية ثانية تعالت أجهزة الاعلام العربية [٥٣] معلنة أن اطالة فترة الاحتلال للأراضى العربية من شأنه أن يزيد من أعمال العنف ... حقيقة أن السلطات الاسرائيلية تقوم بقمع هذه الاعمال الا أن التاريخ الحديث لم يأت لنا بمثال واحد استطاعت فيه أعمال القمع الوحشية أن تكبح جماح اندفاعات المقاومة الوطنية خاصة وأن النزاع بين العرب واسرائيل نزاع فذ حقاً وقد أثبتت تطوراته وظروفه أن هذا الصراع لا يمكن أن ينتهى بارادة الخصمين المتعارضين وحدهما فقط وانما هناك أيضا الدول الكبرى وخصوصاً الدول العظمى وهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

وهكذا طوى عام ١٩٧٦ أحداثه بتوقع تحقيق نوع ما من السلام الذى وجد مزيدا من مناداة أجهزة الاعلام العربية بضرورة انجازه وجاءت المفاجأة الكبرى أو بمعنى آخر قنبلة السلام الذى أطلقها السادات بزيارته لاسرائيل فى ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ وخطب أمام الكنيست الاسرائيلى .

وأدت هذه الزيارة إلى توقيع اتفاقيتى كامب ديفيد بين مصر " السادات " واسرائيل " مناحم بيجين " وبمشاركة الولايات المتحدة " جيمى كارتر " وحددت الاتفاقية أسس علاقات السلام بين اسرائيل والدول العربية ودعت الأردن وسوريا ولبنان إلى الموافقة عليها ؛ ونصت على على إقامة حكم ذاتى فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، أما الاتفاقية الثانية فقد رسمت أسس معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، وفى مارس ١٩٧٩ تم توقيع اتفاقية السلام المصرية الاسرائيلية وقد أعقب الاتفاقية تغيير كبير فى مسيرة السلام فى منطقة الشرق الأوسط والذى قامت أجهزة الاعلام بدور متعاظم تجاهه خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى السابق وانبثاق ما يسمى بالنظام الدولى الجديد وعما إذا كان أحادى القطبية ممثلا فى القيادة الامريكية المنفردة للعالم ، أم ان العالم اليوم هو عالم متعدد الأقطاب تمارس فيه أوربا الموحدة واليابان دوراً متميزاً وتقوم فيه أجهزة الاعلام وتكنولوجيا الاتصال بدور بالغ الأهمية .

الصفحة

حرب أكتوبر والإعلام الدولى

مطابع رويال

صاحبها ومديرها . محمد بسيوني
خلف ١٦١ ش فرنسا ☎ ١٨٠٩٠٠٥ الاسكندرية

